١٠ - الحُجَجُ البَيِّنَات
في إثْبَات الكَرَامَات

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمدُ لله الفتَّاح العليم، الوهَّاب الكريم، منح أولياءَه مِنحةً من عَطائه، ونفحهم نفحةً من آلائه، قرَّبهم إليه بمحبَّته، وحفظهم من طوارق الأغيار برعايته، فكان سمعهم وبصرهم ويدهم، ولا بحلولٍ ولا اتِّحادٍ، لكن عنايةً خاصَّة كعناية الأمِّ بصغار الأولاد.

والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قطب الوجود، وشمس دائرة الشُّهود، عين الأعيان والجوهر الفرد في نوع الإنسان:

مُنَـزَّهٌ عَـنْ شَرِيـكٍ في محاسِـنِهِ فجَـوهَرُ الحُسْـنِ فيـه غـيرُ مُنقَسِـمِ

والرِّضى عن آله الكرام، وصحابته الأعلام، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ قيام السّاعة وساعة القيام.

أما بعد: فقد طلب منِّي صديقي الأستاذ الفاضل الحاج محمَّد أحمد عمارة - جنَّبه الله آفات الوقت وأغياره- أن أُحرِّر له رسالةً في كرامات الأولياء، وبيان جوازها عقلًا، ووقوعها نقلًا، فتأخّرت عن إجابته مُدّةً لأسباب عدةٍ.

أهمّها: اشتغالي بكتاب "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ في آخر الزمان" وهو الكتاب الذي رددتُ به علىٰ بعض مبتدعة العصر ممّن قلَّ نصيبهم في العلم وكثُر خطأهم في الفهم.

فلمّا قضىٰ الله بإتمامه، واستوفىٰ الردُّ غاية مرامه، بادرت إلىٰ إجابة الطّلب، وأسرعت إلىٰ تلبية الرّغب، وألّفت هذه الرسالة التي سمّيتها: بـ **"الحُجَج**

البيِّنات في إثبات الكَرَامَات"، وتجنَّبتُ فيها الإكثار المُملَّ والإقلال المُخلَّ، جعلها الله هُدًى للقاريء المستفيد، وقذًى في عين الحاسد العنيد، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلت وإليه أنيب.

مقدِّمة
في معنى الوليِّ

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

قال الزمخشريُّ في "الكشَّاف": «الوليُّ من تولَّىٰ الله بالطّاعة فتولّاه الله بالكرامة».

وقال السَّعد التفتازانيُّ في "شرح العقائد النَّسفيّة" ، والجلال المحلّيُّ في "شرح جَمْع الجوامع": «الوليُّ العارف بالله حسبما يُمكن، المواظب علىٰ الطّاعات، المُجتنب للمعاصي، المُعرض عن الانهماك في اللذّات والشَّهوات».

وقيل: الوليُّ من يُحب أخاه المؤمن لا يحبّه إلَّا لله، وقيل غير ذلك.

وقد تبدو هذه الأقوال -لأوّل وهلةٍ- مُتنافرةً مُختلفةً، لكنَّها في التحقيق متوافقةٌ مؤتلفةٌ، إذ ما من وليٍّ إلَّا وهو مُتصفٌ بما ذُكر فيها من الصِّفات، ومُتَّسمٌ بغيرها من كريم الخلال والسِّمات، وقد جاءت الأحاديث مُختلفةٌ في هذا الباب كاختلاف الأقوال، وذلك محمولٌ علىٰ اختلاف الأحوال مع قصد الشَّارع الحضّ علىٰ أنواعٍ من فضائل الأعمال.

ففي "صحيح البخاريِّ" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذَنتُهُ بالحرب، وما تَقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يَتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أَحببتُه كنت سَمْعه الذي يَسمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمشي بها، ولئِن**

سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه...» الحديث.

وفي "سنن أبي داود" عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ من عباد الله لأُنَاسًا ما هُم بأنبياء ولا شُهداء، يَغبِطُهُم الأنبياء والشُّهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول، الله تُخبِرنا من هم؟ قال: هم قومٌ تَحابُّوا برُوح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يَتعاطَوْنها، فوالله إنَّ وجوههم لنورٌ، وإنَّهم لعلى نورٍ، لا يخافون إذا خاف النَّاس، ولا يَحزنون إذا حَزِنَ النَّاس، وقرأ هذه الآية:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]. وروىٰ النَّسائيُّ عن أبي هريرة نحوه.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في "كتاب الأولياء" بسندٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ رفعه قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه استَحَقَّ ولاية الله: حِلمٌ أصيلٌ يدفع سفَه السَّفِيه عن نفسه، وورعٌ صادقٌ يحجُزه عن معاصي الله، وخُلقٌ حَسَنٌ يُدارِي بِه النَّاس**».

وروىٰ أحمد بإسنادٍ ضعيفٍ عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أنَّه سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا يجد العبد صَرِيح الإيمان، حتَّى يُحِبَّ لله تعالى، ويُبغضَ لله، فإذا أَحَبَّ لله تبارك وتعالى، وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استَحَقَّ الولاء من الله**».

ورواه ابن أبي الدنيا في "الأولياء" وزاد في آخره: «**قال الله: إنَّ أوليائي من عبادي وأحِبَّائي من خَلقي الذين يُذكَرون بذكري وأُذكَر بذكرهم**».

وروىٰ النَّسائيُّ والبزَّار عن ابن عبَّاسٍ قال: «**سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: من هم أولياء الله؟ قال: هم الذين يُذكر الله عند رؤيتهم**».

ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا، وغيرهما عن سعيد بن جبير مرسلًا

وهو أصح وأشهر.

وروى ابن أبي الدنيا في "الأولياء" عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**ألا أخبركم بخير جُلسائكم؟ من ذَكَّركم اللهَ رؤيتُه، وزادكم في عِلمكم منطقُه، وذَكَّركم بالآخرة عملُه**».

وروى الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" عن الحسن البصريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بُدلاء أمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ، ولكن دخلوها برحمة الله، وسلامة الصّدور، وسخاوة الأنفس، والرحمة بجميع المسلمين**».

وروى ابن أبي الدنيا عن بكر بن خنيس يرفعه: «**علامة أبدال أمَّتي أنَّهم لا يَلعنون شيئًا أبدًا**». وهذا معضلٌ.

وروى أبو نعيمٍ في "الحلية" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقول الله تعالى: إنَّما أتقبَّل الصَّلاة ممَّن تواضع لعظمتي، ولم يتعاظَم على خَلْقي، وكفَّ نَفْسَهُ عن الشَّهواتِ ابتغاء مَرْضاتي، فقطع نهاره في ذِكْري، ولم يَبِتْ مُصرًّا على خطيئةٍ، يُطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم الضعيف، ويُؤوي الغريب، فذاك الذي يُضيء وجهه كما يُضيء نور الشمس، يدعوني فأُلبِّي، ويسألني فأُعطي، ويُقسم عليَّ فأَبَرُّ قَسَمَهُ، أجعل له في الجهالة عِلْمًا، وفي الظُّلْمَةِ نورًا، أكلأه بقوَّتي، وأَسْتَحْفِظُهُ ملائكتي**».

والأحاديث كثيرةٌ في هذا المعنى، إذا تتبَّعها الباحث استخلص من مجموعها أنَّ الوليَّ مَن تولَّى الله بصنوف القُربات، فتولَّاه الله بأنواع من المَكْرُمات، حقَّقنا الله بولايته، وكلأنا بقوته، إنَّه قريبٌ مُجيبٌ.

باب
في بيان جواز الكرامات ووقوعها

وهو يشتمل على فصولٍ:

الفصل الأول

الكرامة: اسم من الإكرام والتكريم، تقول: أَكرمت العَالِمِ وكَرَّمته إِكرامًا وتكريمًا، إذا فعلت معه ما يدل علىٰ تعظيمه واحترامه، والاسم: الكَرَامة، كما يُقال: وَكَّلَه تَوكيلًا ووكالة، وحمله تحميلًا وحمالة، في نظائر أخرىٰ تعرف من كتب اللغة.

والكرامة في اصطلاح أهل السُّنَّة القائلين بها: هي أمرٌ خارقٌ للعادة يُظهره الله علىٰ يد مؤمنٍ صالحٍ غير مقرونٍ بدعوىٰ النبوَّة.

وقد قسَّموا الخوارق التي تظهر من بعض الأشخاص عِدَّة أقسامٍ فقالوا: الخارق للعادة إن ظهر علىٰ يد مُدَّعي النُّبوَّة وِفق طلبه فهو المعجزة، وإن كان علىٰ خلاف طلبه فهو الإهانة: مثل ما يُروىٰ أنَّ مُسيلمة الكذَّاب دعا لأعورٍ بأن يفتح الله عينه فعمي، ومسح بيده رأس يتيم فقرع، وبلغه أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تَفَل في بئرٍ فكثر ماؤها وعذب -بعد أن لم يكن كذلك- فتفل هو في بئر ليَعْذُب ماؤها فصار ملحًا أُجاجًا.

وإن ظهر الخارق علىٰ يد مؤمنٍ صالحٍ فهو الكرامة، أو علىٰ يد فاسقٍ فهو الاستدراج، وقد يقع الخارق لبعض عوامِّ المسلمين تخليصًا له من محنةٍ أو مكروهٍ، ويُسمَّىٰ مَعونةً.

ومذهب أهل السُنَّة في كرامات الأولياء أنَّها حقٌّ؛ لأنَّها أمورٌ ممكنةٌ دلَّ علىٰ وقوعها الكتاب والسُنَّة كما سيأتي.

قال أبو الحسن الأشعريُّ في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المُضلِّين": «جُملةُ ما عليه أهلُ الحديثِ وأهلُ السُّنَّة: الإقرار بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، وما جاء من عند الله، وما رواه الثِّقات عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يردّون من ذلك شيئًا»، وذكر العقيدة إلىٰ أن قال: «وأنَّ الصَّالحين قد يجوز أن يَخُصَّهم الله تعالىٰ بآياتٍ تَظهرُ عليهم»، وقال في آخر العقيدة: «فهذه جملة ما يؤمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكلِّ ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب».اهـ

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن إسحاق البخاريّ الكَلَاباذيُّ في كتاب "التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف" في الباب السادس والعشرين منه ما نصُّه: «أجمعوا علىٰ إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي علىٰ الماء، وكلام البهائم، وطَيِّ الأرض، وظُهُور الشيء في غير موضعه ووقته، وقد جاءت بها الأخبار وصحَّت الروايات، ونطقَ بها التَّنزيلُ من قصَّة الذي عنده علمٌ من الكتاب في قوله تعالىٰ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وقصَّة مريم حين قال لها زكريَّا: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقصّة الرجلين اللذين كانا عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ خرجا فأضاء لهما سَوْطَاهما، وغير ذلك.

وجواز ذلك في عصر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وغير عصره واحدٌ

وذلك أنَّه إذا كانت في عصر النبيِّ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ معنىٰ التَّصديق، لكان في غير عصره علىٰ معنىٰ التَّصديق، وقد كان بعد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعُمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه حين نادىٰ سارية قال: «يا سارية بن حصن الجبلَ الجبلَ، وعمر بالمدينة وسارية في وجه العدوِّ علىٰ مسيرة شهرٍ، والأخبار في هذا كثيرةٌ وافرةٌ».اهـ ثُمَّ ذكر بقيّة المذاهب والأقوال فليُنظر كلامه.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ في "الرسالة": «ظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائزٌ، والدّليل علىٰ جوازه: أنَّه أمرٌ موهومٌ حدوثه في العقل لا يُؤدِّي حُصوله إلىٰ رفع أصلٍ من الأُصول، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة علىٰ إيجاده، وإذا وجب كونه مقدورًا لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله، وظهور الكرامات علامة صِدق مَن ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقًا فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدلُّ عليه أنَّ تعريف القديم سبحانه إيَّانا حتىٰ نُفرِّق بين من كان صادقًا في أحواله وبين من هو مبطلٌ من طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلَّا باختصاص الوليِّ بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها، ولابُدَّ أن تكون هذه الكرامة فعلًا ناقضًا للعادة في أيام التكليف ظاهرًا علىٰ موصوف بالولاية في معنىٰ تصديقه في حاله».اهـ

وقال أيضًا -بعد كلام في الكرامة-: «وبالجملة فالقول بجواز ظهورها علىٰ الأولياء واجبٌ، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها علىٰ الأولياء في الجملة عِلمًا قويًا انتفىٰ عنه الشكوك».اهـ

وقال الإمام النوويُّ في "بستان العارفين": «اعلم أنَّ مذهب أهل الحقِّ إثبات كرامات الأولياء، وأنَّها واقعةٌ موجودةٌ مُستمرةٌ في الأعصار، ويدلُّ عليها دلائل العقول وصَرائح النُّقول، أمَّا دلائل العقل فهي أمرٌ يمكن حدوثه، ولا يؤدِّي وقوعه إلى رفع أصلٍ من أصول الدِّين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدورًا كان جائز الوقوع، وأما النُّقول فآياتٌ في القرآن العظيم وأحاديث مستفيضةٌ».اهـ

وفي "شرح المقاصد" للسعد ما نصَّه: «ظهور كرامات الأولياء تكاد تَلحقُ بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيبٍ من أهل البدع والأهواء، وإنَّما العجب من بعض فقهاء أهل السنَّة حيث قال فيما رُوي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنَّهم رأوه بالبصرة يوم التَّروية وفي ذلك اليوم بمكة: أنَّ من اعتقد جواز ذلك يكفر».

والإنصاف ما ذكره الإمام النَّسفيُّ حين سُئل عمَّا يُحكى: «أنَّ الكعبة كانت تزور أحدًا من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال: نَقْضُ العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائزٌ عند أهل السنَّة».اهـ

وفي "العقائد النَّسَفِيَّة" للعلَّامة نجم الدِّين النَّسفيِّ وشرحها للعلَّامة سعد الدِّين التفتازانيِّ ما نصُّه: «وكرامات الأولياء حقٌّ، والدّليل على حقية الكرامة ما تواتر عن كثيرٍ من الصّحابة ومَن بعدهم، بحيث لا يُمكن إنكاره خصوصًا الأمر المشترك وإن كانت التفاصيل آحادًا، وأيضا الكتاب ناطقٌ بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليهما السَّلام، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز».

ثُمَّ أورد كلامًا يُشير إلىٰ تفسير الكرامة، وإلىٰ تفصيل بعض جزئيَّاتها المُستبعدة جدًّا فقال: «فتظهر الكرامةُ علىٰ طريق نقض العادة للوليِّ من قطع المسافة البعيدة في المُدَّة القليلة، كإتيان صاحب سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام -وهو آصف بن برخيا علىٰ الأشهر- بعرش بلقيس قبل ارتداد الطَّرف مع بُعد المسافة، وظهور الطّعام والشّراب واللِّباس عند الحاجة إليها كما في حقِّ مريم؛ فإنَّه قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ٣٧]، والمشي علىٰ الماء كما نُقل عن كثيرٍ من الأولياء، وفي الهواء كما نُقل عن جعفر بن أبي طالب ولقمان السرخسي وغيرهما، وكلام الجماد والعجماء، واندفاع المتوجِّه من البلاء، وكفاية المهمِّ من الأعداء.

أمَّا كلام الجماد: فكما رُوىٰ أنَّه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما قصعةٌ فسبَّحت وسمعا تسبيحها.

وأمَّا كلام العجماء: فكتكليم الكلب لأصحاب الكهف، وكما رُوي أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينما رجلٌ يَسُوقُ بقرةً له قد حَمَلَ عليها إذ التَفَتَت البقرةُ إليه فقالت: إنِّي لم أُخلق لهذا ولكنِّي إنَّما خُلقتُ للحرثِ؛ فقال النَّاسُ: سُبحانَ الله أَبقرةٌ تَكَلَّمُ؟ !فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: آمنت بهذا**».

وغير ذلك من الأشياء مثل رؤية عمر رضي الله عنه وهو علىٰ المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند، حتَّىٰ أنَّه قال لأمير جيشه: يا سارية الجبلَ الجبلَ، تحذيرًا له من وراء الجبل لمكر العدوِّ هناك، وسماع سارية كلامه مع بُعد المسافة، وكشُرب خالدٍ رضي الله عنه السُمَّ من غير تضرُّرٍ به، وكجريان النِّيل بكتاب عمر

رضي الله عنه، وأمثال هذا أكثر من أن تُحصىٰ.

ولَمَّا استدلَّ المعتزلة المنكرون لكرامات الأولياء: بأنَّه لو جاز ظهور خوارق العادات من الأولياء لاشتبه بالمعجزة فلم يتميَّز النبيُّ من غيره.

أشار إلىٰ الجواب بقوله: (**ويكون ذلك**) أي: ظهور خوارق العادات من الأولياء أو الولي الذي هو من آحاد الأمة (**معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمَّته؛ لأنه يظهر بها**) أي: بتلك الكرامة (**أنه ولي، ولن يكون وليًّا إلا وأن يكون محقًّا في ديانته، وديانته الإقرار**) باللسان والتصديق بالقلب (**برسالة رسوله**) مع الطاعة له في أوامره ونواهيه، حتىٰ لو ادعىٰ هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليًّا ولم يظهر ذلك علىٰ يده.

والحاصل: أن الأمر الخارق للعادة هو بالنسبة إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام معجزة، سواء ظهر ذلك من قِبَله أو من قِبَل آحاد من أمته، وبالنسبة إلىٰ الولي كرامة لخلوه عن دعوىٰ نبوة من ظهر ذلك من قبله، فالنبي لابد من علمه بكونه نبيًّا ومن قصده إظهار خوارق العادات، ومن حكمه قطعًا بموجب المعجزات بخلاف الولي.اهـ

وقال اللَّقَاني في "الجوهرة":

وأَثْبِـــتَن لِلأَوْلِيَـــا الكَرَامَـــه وَمَـــنْ نَفَاهَـــا فانْبِـــذَنْ كَلامَـــه

ونصوص العلماء في هذا كثيرةٌ جدًّا نكتفي منها بما ذكرناه.

وأنكر المعتزلة إلَّا أبا الحسين البصريَّ الكرامات جُملةً، ووافقهم من الأشعريَّة أبو إسحاق الإسفرايينيُّ وأبو عبدالله الحليميُّ الشَّافعيَّان، واستدلُّوا بأدلَّةٍ أجاب عنها أهل السُّنَّة بأجوبةٍ مَبسوطةٍ في كتب العقائد وغيرها لا داعي إلىٰ إيرادها.

وقال الزمخشريُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧] ما نصُّه: «في هذا إبطالٌ للكرامات؛ لأنَّ الذين تُضاف إليهم وإن كانوا أولياء مُرتضين فليسوا برسلٍ، وقد خصَّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطِّلاع علىٰ الغيب».اهـ

وتعقبه العلَّامة ابن المنير في "الانتصاف" بما نصُّه: «ادَّعىٰ عامًّا واستدلَّ بخاصٍّ، فإنَّ دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية إبطال اطِّلاع الوليِّ علىٰ الغيب خاصَّةً، فيجوز إعطاء الوليِّ الكرامات كلَّها إلَّا الاطِّلاع علىٰ الغيب».اهـ

وقد اختلف العلماء في الكرامات اختلافاتٍ كثيرةً لخَّصها إمامُ الحرمين في كلامه، حيث قال: «الذي صار إليه أهل الحقِّ جواز انخراق العادة في حقِّ الأولياء، وأطبقت المعتزلة علىٰ إنكار ذلك، ثُمَّ مِن أهل الحق مَن صار إلىٰ أنَّ الكرامة الخارقة للعادة شرطها أن تجري من غير اختيارٍ من الوليِّ وصار هؤلاء إلىٰ أن الكرامة تُفارق المعجزة من هذا الوجه، وهذا القول غير صحيحٍ.

وصار آخرون منهم إلىٰ تجويز وقوع الكرامة علىٰ حكم الاختيار، ولكنَّهم منعوا وقوعها علىٰ مُقتضىٰ الدَّعوىٰ فقالوا: إذا ادَّعىٰ الوليُّ الولاية واعتضد في إثبات دعواه بما يخرق العادة فإنَّ ذلك ممتنعٌ، وهؤلاء فرَّقوا بين المعجزة والكرامة بهذا، وهذه الطَّريقة غير مَرضيَّة أيضًا، ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدَّعوىٰ المفروضة.

وصار بعض أصحابنا إلىٰ أنَّ ما وقع معجزةً لنبيٍّ لا يجوز تقدير وقوعه كرامةً لوليٍّ، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وينقلب العصا ثعبانًا، وتَحيىٰ الموتىٰ إلىٰ

غير ذلك من آيات الأنبياء كرامة لوليٍّ، وهذه طريقة غير سديدةٍ أيضًا.

والمَرْضِيُّ عندنا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات، وغرضنا من إبطال هذه المذاهب والطُّرق إثبات الصّحيح عندنا، وأمَّا الفرق بين المعجزة والكرامة فلا يفترقان في جواز العقل إلَّا بوقوع المعجزة علىٰ حسب دعوىٰ النُّبوَّة، ووقوع الكرامة دون ادِّعاء النُّبوَّة».

وذكر كلامًا في هذا المعنىٰ إلىٰ أن قال: «والفرق بين السِّحر والكرامة: أنَّ السِّحر لا يظهر إلا علىٰ فاسقٍ، وليس ذلك من مقتضيات العقل، ولكنَّه مُتلقّىٰ من إجماع الأمَّة، ثُمَّ الكرامة وإن كانت لا تظهر علىٰ فاسقٍ معلن بفسقه فلا تشهد بالولاية علىٰ القطع، إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها العواقب، وذلك لم يجز لوليٍّ في كرامة باتفاق».اهـ نقله الإمام النووي في "بستان العارفين" وسَلَّمه.

وقال الإمام أبو بكر بن فورك: «المعجزات دلالات الصِّدق، ثُمَّ إن ادَّعىٰ صاحبها النُّبوَّة فالمعجزات تدلُّ علىٰ صِدقه في مقالته، وإن أشار صاحبها إلىٰ الولاية دلَّت المعجزة علىٰ صِدقه في حاله فتُسمَّىٰ كرامةً ولا تُسمَّىٰ معجزةً، وإن كانت من جنس المعجزات للفرق».اهـ

وقال أيضًا: «من الفرق بين المعجزات والكرامات: أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام مأمورون بإظهارها، والوليُّ يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبيُّ يدَّعي ذلك ويقطع القول به، والوليُّ لا يدَّعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرًا».اهـ

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي: «المعجزات تختصُّ بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء، ولا تكون للأولياء معجزةٌ؛ لأنَّ

من شرط المعجزة اقتران دعوىٰ النُّبوَّة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنَّما كانت معجزةً لحصولها علىٰ أوصافٍ كثيرةٍ، فمتىٰ اختلَّ شرطٌ من تلك الشرائط لا تكون معجزةً، وأحد تلك الشَّرائط دعوىٰ النُّبوَّة، والوليُّ لا يدَّعي النُّبوَّة والذي يظهر عليه لا يكون معجزةً».اهـ

قال الأستاذ القشيريُّ: «وهذا القول الذي نعتمده وندين به، فشرائط المعجزات كلُّها أو أكثرها توجد في الكرامة إلَّا هذا الشَّرط الواحد، والكرامة فعلٌ لا محالة محدثٌ؛ لأنَّ ما كان قديمًا لم يكن له اختصاص بأحدٍ، وهو ناقضٌ للعادة، وتحصل في زمان التَّكليف وتظهر علىٰ عبد تخصيصًا له وتفضيلًا، وقد تَحصُل بدعائه واختياره وقد لا تَحصُل، وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات، ولم يُؤمر الوليُّ بدعاء الخلق إلىٰ نفسه، ولو ظهر شيءٌ من ذلك علىٰ من يكون أهلًا له لجاز».اهـ

قلت: قوله: «وتحصل في زمان التَّكليف»، هذا تقييد ليس بلازمٍ كما قال بعضهم: لجواز أن تحصل الكرامة في غير زمان التَّكليف، كأن الله يكرم بها صبيًّا أو ميتًا، وقد حصل ذلك كثيرًا، ونصوص العلماء في جواز الكرامات كثيرةٌ يَعسُر تتبُّعها.

وفي "طبقات الشَّافعيَّة الكُبرىٰ" للتَّاج السُّبكيِّ بحثٌ جيِّدٌ في ذلك مذكورٌ في (صـ ٥٧ جـ٢) من الطَّبقات فليُراجَع، وللعلَّامة عماد الدِّين إسماعيل بن هبة الله بن باطيس كتاب "مُزيل الشُّبهات في إثبات الكرامات"، وذكر فيه جملةً من النّصوص وقدرًا لا بأس به من الكرامات المنقولة عن الصّحابة والتّابعين وغيرهم، وهو واحدٌ من مئاتٍ أفردوا مبحث الكرامات بالتّأليف.

(تـنبيه): كل كرامة لولي معجزة لنبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

قال الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ في "الرسالة" -بعد أن استدلَّ لوقوع الكرامات بقصَّة صاحب سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام، وبقول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل- ما نصُّه: «فإن قيل: كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني علىٰ معجزات الرسل؟ وهل يجوز تفضيل الأولياء علىٰ الأنبياء عليهم السَّلام؟

قيل: هذه الكرامات لاحِقَةٌ بمعجزات نبيِّنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ كلَّ من ليس بصادقٍ في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة، وكلُّ نبيٍّ ظهرت كرامةٌ علىٰ واحدٍ من أمَّته فهي معدودةٌ من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقًا لم تظهر علىٰ يد من تابعه الكرامة.

فأمَّا رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السَّلام للإجماع المنعقد علىٰ ذلك.

وهذا أبو يزيد البِسْطامي رضي الله عنه سُئل عن هذه المسألة فقال: مِثْلُ ما حصل للأولياء كمثل زِقٍّ فيه عسلٌ ترشح منه قطرةٌ، فتلك القطرة مِثل ما لجميع الأولياء، وما في الظرف مِثل ما لنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

قلت: ما أجاب به الأستاذ القشيريُّ تقدَّم معناه في كلام صاحب "العقائد النَّسَفِيَّة"، وإليه يُشير قول الإمام البوصيريِّ رحمه الله:

والكَرَامَــاتُ مِــنْهُمُ مُعْجِــزاتٌ ... ناله‍ـا مِــنْ نَوَالِــكَ الأَوْلِيــاءُ

وبهذا: يُجاب عمَّا يعترض به منكروا الكرامات في هذا العصر حيث يقولون: إنَّ ما تَروونه عن الأولياء لم يحصل كثيرٌ منه للأنبياء وقد كانوا أولىٰ بذلك، وهذا جهلٌ أو تجاهل من هؤلاء المعترضين؛ لأنَّ من المعلوم بالضَّرورة

أنَّه ليس من شرط النبيِّ أن يأتي بجميع الخوارق أو أكثرها، وإنَّما شرطه أن يأتي بما يكون دالًّا على نبوَّته، وهذا هو ما حصل للأنبياء عليهم السَّلام فإنَّ كلَّ نبيٍّ منهم «**أُعطِيَ ما مِثلهُ آمن عليه البَشَرُ**». كما في الحديث الصحيح، فإذا ظهرت كرامةٌ على وليٍّ كانت معجزةً لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّما لم تحصل له مباشرةً لحصول الكفاية بغيرها من المعجزات العظيمة، خصوصًا القرآن العظيم الذي أعجز الخلائق أجمعين، وهذا واضحٌ لمن أنصف وطرح التعصُّب جانبًا. والله وليُّ التَوفيق.

الدليل على وقوع الكرامات وحصولها

اعلم أنَّ المنقول من أنواع الكرامات عن الصحابة والتابعين وتابعيهم وزهَّاد الأمَّة وصُلحائها، وصُلحاء الأمم السّابقة شيءٌ كثير جدًّا لا يكاد يُحصىٰ، بحيث يُعدُّ مُنكِره بالغًا حدَّ النِّهاية في الجهل والمُكابرة، فلا جواب له إلَّا الإعراض عنه كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وسنُثبت في هذه الأوراق ما فيه الكفاية مُستمدِّين من الله العون والهداية، مُبتدئين بما ورد في القرآن من ذلك، وهو بضعة مواضع.

منها: قوله تعالىٰ في شأن مريم عليها السّلام: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال أهل التفسير: كان زكريّا عليه السَّلام يدخل عليها وهي صغيرةٌ في كفالته، فيجد عندها فاكهة الصّيف في الشّتاء وفاكهة الشّتاء في الصّيف. وقد

أخبر الله عنها أنَّها كانت صِدِّيقةً، والصِّدِّيقيَّة: أعلىٰ مقامٍ في الولاية.

ومنها: قول الله تعالىٰ في شأن أهل الكهف: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١١، ١٢]، إلىٰ آخر ما قصَّه الله عنهم، وليسوا أنبياء بالإجماع.

ومنها: قول الله تعالىٰ في قصَّة صاحب سليمان عليه السّلام: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ الآية [النمل: ٤٠]، وليس نبيًّا بالإجماع.

ومنها: قصَّة الخضر وما جرىٰ علىٰ يده من الكرامات، بناءً علىٰ أنَّه لم يكن نبيًّا وهو المشهور عند جمهور الأشاعرة وجماعة الصُّوفيَّة، قال النَّوويُّ: «وهذا خلاف المختار»، قال: «والذي عليه الأكثرون أنَّه كان نبيًّا»،

قلت: وهو الصَّحيح.

الفصل الثاني

في ذكر بعض أحاديث تعد على طريق الإجمال أصولًا لأنواع من الكرامات

ثبت في "صحيح البخاريِّ" عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد كان فيما قبلكم من الأُمَمِ مُحَدَّثُون، فإن يكن في أُمَّتي أَحَدٌ فإنَّه عُمَر**».

وفي روايةٍ: «**قد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل يُكَلَّمُون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَر**».

وفي "صحيح مسلمٍ" عن عائشة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه كان يقول: «**قد كان يكون في الأُمَم قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أُمَّتِي منهم أَحَدٌ فعُمَرَ منهم**». قال ابن وَهْبٍ: تفسير «مُحَدَّثُونَ»: مُلْهَمُون.

في هذا الحديث: إثبات كرامات الأولياء كما قال الإمام النوويُّ رضي الله عنه، والمحدَّث -بفتح الدال المشدَّدة- اختلف في تأويله، فقال الأكثرون: هو الملهم كما قال ابن وهب.

قالوا: وهو الرجل الصَّادق الظنَّ يُلقىٰ في روعه شيءٌ من قِبَل الملأ الأعلىٰ فيكون كالذي حدَّثه غيره به.

وقيل: من يجري الصَّواب علىٰ لسانه من غير قصدٍ.

وقيل: مُكَلَّم تُكلِّمه الملائكة بغير نبوَّةٍ كما سبق في إحدىٰ روايتي البخاريِّ.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري قيل: «**يا رسول الله وكيف يُحَدَّث؟ قال تَتكلَّم الملائكة على لسانه**». رواه الجوهريُّ في "فوائده".

قال الحافظ: «ويُحتمل ردُّه إلىٰ المعنىٰ الأول أي: تُكلِّمه في نفسه وإن لم يرَ

مُكلَّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام، وقوله: «**فإن يكن في أُمَّتِي أَحَدٌ...**» الخ.

قال الحافظ: «قيل لم يورد هذا القول مورد للترديد، فإنَّ أُمَّته أفضل الأمم، وإذا ثبت أنَّ ذلك وُجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنَّما أورده مورد التّأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديقٌ فإنَّه فلانٌ، يريد اختصاصه بكمال الصَّداقة لا نفي الأصدقاء، ونحوه قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفِّني حقِّي، وكلاهما عالم بالعمل، لكن مراد القائل: أنَّ تأخيرك حقِّي عمل من عنده شك في كوني عملت.

وقيل: الحكمة فيه أنَّ وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقَّق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذٍ فيهم نبيٌّ، واحتمل عنده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ألَّا تحتاج هذه الأمَّة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبيٍّ، وقد وقع الأمر كذلك -أي حصل الاستغناء بالقرآن- حتى أنَّ المُحدَّث منهم إذا تحقَّق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لابُدَّ من عرضه على القرآن، فإن وافقه أو وافق السنَّة عَمِل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع لكنَّه نادرٌ ممن يكون أمره منهم مبنيًّا على اتباع الكتاب والسنَّة، وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف هذه الأُمَّة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم، فلمَّا فات هذه الأُمَّة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيِّها خاتم الأنبياء عُوِّضوا بكثرة المُلهمين».اهـ

وأخرج الطَّبرانيُّ في "الكبير"، وأبو نعيم في "الطب النَّبويِّ"، والترمذيُّ الحكيم في "النَّوادر" عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤمِنِ، فإنَّه يَنظُرُ بنورِ الله**».

ورواه الترمذيُّ في "جامعه" عن أبي سعيدٍ الخدري به مرفوعًا، ورواه ابن جريرٍ وأبو نعيمٍ من حديث ابن عمر، وهو حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ والحافظ السيوطيُّ، ولم يُصِب ابن الجوزي في الحُكم عليه بالوضع.

وهذا الحديث أصلٌ في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء، تجد الواحد منهم يُكاشِف الشَّخص بما حصل له في غيبته كأنَّه كان حاضرًا معه.

وسبق في المقدمة حديث البخاريِّ: «**من عادَى لي وَلِيًّا فقد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ**» الحديث. وهو أصلٌ فيما يُكرَم به الأولياء من إجابة الدُّعاء، وفيما ينزل ممن آذاهم من البلاء.

وأخرج الطبسيُّ في "الترغيب"، والديلميُّ في "مسند الفردوس"، وأبو عبدالرحمن السُلَّمي في "الأربعين" التي له في التَّصوُّف، بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ من العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُونِ لا يَعلَمُه إلَّا العُلَماءُ بالله تعالى، فإذا نَطَقُوا به لا يُنكِرُهُ إلَّا أهل الغِرَّة بالله عزَّ وجلَّ**».

وأخرج المَرْوَزِيُّ في "زوائد الزُّهد" لعبدالله بن المبارك قال: حدَّثنا أبو معاوية، أنبأنا حجَّاج، عن مكحولٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أَخلَصَ لله أربعين يومًا ظَهرتْ ينابيعُ الحِكْمةِ من قَلْبِه على لِسَانِه**». هذا إسنادٌ صحيحٌ لكنَّه مرسلٌ، وقد ورد موصولًا من حديث أبي أيوب في "حلية أبي نعيم" بإسنادٍ ضعيفٍ.

وسبق في المقدِّمة حديث ابن عبَّاسٍ القدسيُّ: «**إنَّما أتقبَّل الصَّلاة ممَّن تواضَعَ لعَظَمَتي...**» الحديث. وفيه: «**أجعل له في الجهالة عِلْمًا**».

فهذه الأحاديث أصلٌ فيما يفاض على الأولياء من العلوم والمعارف والأسرار ممَّا قد يُنكره بعض الأغرار الذين يجهلون أو يتجاهلون فضل الله على عباده المُخلِصين، فيتهمون الأولياء بالزَّندقة والخروج على الدِّين.

ورأيت الذهبيَّ قال في ترجمة ذي النُّون المصريِّ ما نصُّه: «كان ممَّن امتُحِن وأُوذي لكونه أتاهم بعلمٍ لم يَعهدوه، كان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء، فقال الجهلة: هو زنديقٌ، قال السُلميُّ: لما مات أظلت الطيور جنازته». اهـ

وروى الحاكم والخطيب بسندٍ صحيح عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: «قال لي أحمد بن حنبلٍ: يبلغني أنَّ الحارث هذا -يعني المحاسبيَّ- يُكثر السكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكانٍ أسمع كلامه لفعلت، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا وصلُّوا العتمة ثُمَّ قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوتٌ إلى قريب نصف اللَّيل، ثُمَّ أخذ الحارث في الكلام وكأنَّ على رؤوسهم الطَّير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يَخِرُّ، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكى حتى غُشي عليه.

فلمَّا تفرَّقوا قال أحمد: ما أعلم أنِّي رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم». اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «إنَّما نهاه عن صحبتهم؛ لعلمه بقصوره عن مقامهم، فإنَّه مقامٌ ضَيِّقٌ لا يسلكه كلُّ أحدٍ ويخاف على من يسلكه ألَّا يوفِّيه حقَّه». اهـ

وروى الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد": قال أخبرنا أبو عبدالرحمن

إسماعيل بن أحمد الحيري، أنبأنا محمَّد بن الحسين السُلميُّ، قال: سمعت محمَّد بن الحسن البغداديَّ يحكي عن ابن الأعرابيِّ قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل، وكان يقول: ما تقول فيها يا صوفيُّ؟

الفصل الثالث
فيما حَدَّثَ به النَّبيُّ صلَّى اللهِ عليه وآله وسلَّم من كرامات صُلحاءِ الأمَمِ السّابقة

ثبت في "الصَّحيحين" عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**انطَلَقَ ثلاثةُ رَهْطٍ ممَّن كان قبلكم حتَّى أَوَوْا المبِيتَ إلى غَارٍ، فدخلوه فانحَدَرَتْ صخرةٌ من الجبل فسَدَّتْ عليهم الغار فقالوا: إنَّه لا يُنجِيكُم من هذه الصَّخرةِ إلَّا أن تدعوا الله بصَالِحِ أعمالكم.**

فقال رجلٌ منهم: اللَّهمَّ كان لي أَبَوَانِ شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبِقُ قبلهما -أي لا أُقدِّمُ في شُرب اللَّبن عليهما- **أهلًا ولا مالًا، فَنَأَى بي في طَلَبِ شيءٍ يومًا فلم أُرِح عليهما حتَّى نَامَا، فحَلَبتُ لهما غَبُوقَهُما فوجدتُهما نائمين، وكَرِهتُ أن أَغبِقَ قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثتُ والقَدَحُ على يدَيَّ أنتظِرُ استِيقَاظَهُما حتَّى بَرَقَ الفجرُ والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غَبُوقَهُما، اللَّهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصَّخرةِ، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج**».

قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وقال الآخر: اللَّهمَّ كانت لي ابنة عَمٍّ كانت أحبَّ النَّاسِ إليَّ فأردتها عن نفسها؛ فامتنعت مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السِّنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينارٍ على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها،**

ففعلت حتَّى إذا قَدَرتُ عليها قالت: لا أُحِلُّ لك أن تَفُضَّ الخاتم إلَّا بحَقِّهِ، فتحرَّجتُ من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ النَّاسِ إليَّ، وتركتُ الذَّهب الذي أَعطَيتُها، اللَّهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنَّا ما نحن فيه؛ فانفَرَجَتْ الصَّخرةُ غير أنَّهم لا يستطِيعون الخروجَ منها.

قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وقال الثَّالثُ: اللَّهمَّ استأجرتُ أُجَرَاءَ فأعطَيتُهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ تركَ الذي له وذهبَ، فثَمَّرْتُ أجره حتَّى كَثُرَتْ منه الأموالُ فجاءني بعدَ حينٍ فقال: يا عبدالله أَدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كُلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرَّقِيقِ، فقال: يا عبدالله لا تَستَهزِئ بي، فقلت: إنِّي لا أستهزئُ بك فأخذه كلَّه فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللَّهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافْرُجْ عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرةُ فخرجوا يَمْشُونَ**».

ولهذا الحديث ألفاظٌ وروايات في "الصّحيحين"، ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من حديث أبي هريرة أيضًا، ثُمَّ إنَّ البخاريَّ ذكر هذا الحديث في "صحيحه" عَقِب قصّة أصحاب الكهف، وعَنْونَ عليه بحديث الغار.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" ما نصَّه: «عَقَبَ المُصنِّفُ قصّة أصحاب الكهف بحديث الغار إشارةً إلى ما ورد أنَّه قد قيل: إنَّ الرَّقيم المذكور في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]، هو الغار الذي أصاب فيه الثلاثة ما أصابهم، وذلك فيما أخرجه البزَّار والطَّبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن النُّعمان بن بَشيرٍ: أنَّه سمع النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يذكر الرَّقيم- قال: «**انطَلَقَ ثلاثة فكانوا في كَهْفٍ، فوقع**

الجبل على باب الكهف فأوصَدَ عليهم...» فذكر الحديث.اهـ

واستُنبِط من هذا الحديث أمورٌ، منها: إثبات كرامة الأولياء، وإثبات التَّوسُّل بصالح الأعمال وهو مُتّفقٌ عليه، وإنَّما الخلاف في التَّوسُّل بالذَّوات، وقد أَلَّفتُ فيه رسالةً صغيرةً سمَّيتُها "إتحاف الأذكياء"، ثُمَّ أَلَّفتُ كتابًا كبيرًا رَدَدَتُ به على بعض الوهّابيين سمَّيته "الرد المحكم المتين".

ومنها استحباب الدُّعاء عند الكرب وأنَّه ينفع في دفع البلاء، وأنَّ الإنسان إذا دعا بعملٍ صالحٍ فلا يَجزِم به بل يُفوِّضه إلى علم الله كما في الحديث بأن يقول: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّ عملي خالصٌ لك أو نحو ذلك، وفضل بِرِّ الوالدين، وفضل العِفَّة والكفُّ عن الحرام مع القُدرة عليه، وأنَّ ترك المعصية يمحو مُقدِّمات طلبها، وأنَّ التوبة تَجُب ما قبلها، وفضل الإخلاص والصِّدق، والإخبار عمَّا جرى للأُمَمِ الماضية ليعتبر السّامع بأعمالهم فيعمل بحَسَنِها ويترك قَبيحَها، وفيه غير ذلك من الاستنباطات الفقهية التي أخذ بها الأئمَّة، وهي مبسوطةٌ في "فتح الباري" وغيره من شُروح الحديث.

(تنبيه): ذكر الحافظ أنَّ هذا الحديث ورد من حديث أنسٍ، وأبي هريرة، والنُّعمان بن بشيرٍ بأسانيد حسانٍ، إلَّا حديث أنسٍ فإنَّ أحد إسناديه صحيحٌ، وورد من حديث عليٍّ، وعقبة بن عامرٍ، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفةٍ، وقد استوعب طُرقه أبو عوانة في "صحيحه"، والطَّبرانيُّ في "كتاب الدُّعاء" قال: واتَّفقتْ الروايات كلُّها على أنَّ القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين، إلَّا حديث عقبة ففيه بدل الأجير أنَّ الثالث قال: **«كنتُ في غَنَمٍ أرعاها فحَضَرتِ الصَّلاة فقمتُ أُصَلِّي، فجاء الذئبُ**

فدخل الغَنَمُ، فكرهتُ أن أقطع صلاتي فصبرت حتَّى فَرَغت...». قال: فلو كان إسناده قويًّا لحُمل على تعدُّد القصّة، ثُمَّ ذكر أنَّ الروايات اختلفت فبعضها قَدَّم ذكر المرأة ثُمَّ الأجير ثُمَّ الأبوين، وبعضها عكس على أنحاء متعدِّدة.

قال: وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الرواية بالمعنى سائغةٌ شائعةٌ، وأن لا أثر للتَّقديم والتَّأخير في مثل ذلك، ثُمَّ رجَّح مِن حيث الإسناد رواية تقديم الأبوين، ثُمَّ المرأة، ثُمَّ الأجير.

قال: وأمَّا من حيث المعنى فيُنظر أي الثلاثة كان أنفع لأصحابه؟ والذي يظهر أنَّه الثالث؛ لأنَّه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه، وإلَّا فالأول أفاد إخراجهم من الظلمة، والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإمكان التَّوسل إلى الخروج بمعالجة، والثالث هو الذي تهيّأ لهم الخروج بسببه فهو أنفعهم لهم، فينبغي أن يكون عمله أفضل من عمل الآخرين، ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة، فصاحب الأبوين فضيلته مقصورةٌ على نفسه؛ لأنَّه أفاد أنَّه كان بارًّا بأبويه، وصاحب الأجير نفعه مُتعدٍّ وأفاد أنَّه كان عظيم الأمانة، وصاحب المرأة أفضلهم؛ لأنَّه أفاد أنَّه كان في قلبه خَشية ربِّه، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأنَّ له الجنَّة، وأضاف إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النَّفع القاصر النَّفع المُتعدِّي، ولاسيّما وقد قال إنَّها ابنة عمِّه فتكون فيه صلة رحمٍ أيضًا، وتقدَّم أنَّ ذلك كان في سنة قحطٍ فتكون الحاجة إلى ذلك أَحْرَى».اهـ

فيترجَّح على هذا: رواية تقديم الأبوين، ثُمَّ الأجير، ثُمَّ المرأة، والله أعلم.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لم يتكلَّم في المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجلٌ**

يقال له: جُرَيْجٌ، كان يُصَلِّي جاءته أُمُّهُ فدَعَتْهُ فقال: أُجِيبُها أو أُصَلِّي، فقالت: اللَّهمَّ لا تُمِتهُ حتَّى تُرِيَهُ وجُوهَ المُومِسَاتِ، وكان جُرَيجٌ في صَومَعَتِهِ، فتعرَّضَتْ له امرأةٌ وكلَّمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها؛ فولدت غُلامًا فقالت: من جُرَيجٍ، فأتوه فكَسَروا صَومَعتهُ وأنزلوه وسَبُّوه، فتوضَّأ وصَلَّى ثُمَّ أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الرَّاعِي، قالوا: نبني صَومَعتك من ذهبٍ، قال: لا إلَّا من طِينٍ.

وكانت امرأةٌ تُرضِعُ ابنًا لها من بني إسرائيل فمَرَّ بها رجلٌ راكبٌ ذو شَارَةٍ، فقالت: اللَّهمَّ اجعل ابني مثله فترك ثَديَهَا وأقبل على الرَّاكب فقال: اللَّهمَّ لا تجعلني مِثلَهُ، ثُمَّ أقبل على ثديها يَمَصُّهُ -قال أبو هريرة رضي الله عنه: كأنِّي أنظُرُ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَمَصُّ إصبَعَهُ- **ثُمَّ مُرَّ بأَمَةٍ فقالت: اللَّهمَّ لا تجعل ابني مثل هذه فتَرَك ثديَهَا فقال: اللَّهمَّ اجعلني مِثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ من الجبَابِرَةِ، وهذه الأَمَةُ يقولون: سَرَقْتِ زَنَيْتِ، ولم تَفعَل**». وهذا الحديث له ألفاظٌ وطُرُقٌ في "الصّحيحين"، و"مسند أحمد".

ويُستنبط من قصّة جُريجٍ أمورٌ منها: عِظم برِّ الوالدين، وإجابة دعائهما في الولد، وأنَّ صاحب الصِّدق مع الله لا تَضرُّه الفتن، وقوَّة يقين جُريجٍ، وصحّة رجائه؛ لأنَّه استنطق المولود مع كون العادة أنَّه لا ينطق، وإثبات كرامات الأولياء ووقوعها لهم بطلبهم واختيارهم، إلى غير ذلك ممَّا بينه الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله.

كما يُستنبط من قصّة المرأة وابنها: أنَّ الكرامة قد تقع في غير زمن التّكليف، وقول الطِّفل: «**اللهمَّ اجعلني مثل الجارية**» يعني في السَّلامة من المعاصي

وليس المراد أن يكون مثلها في النِّسبة إلىٰ باطلٍ يكون منه بريئًا، كذا قال النّوويُّ في "شرح مسلم".

(تنبيه): قوله في أول الحديث: «**لم يتكَلَّم في المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ**».

قال القرطبيُّ: «في هذا الحصر نظرٌ، إلَّا أن يُحمل علىٰ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك قبل أن يعلم الزّيادة علىٰ ذلك وفيه بُعدٌ، ويُحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مُقيَّدًا بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مَهدٍ، لكنَّه يُعكِّر عليه أنَّ في رواية ابن قتيبة: «**أنَّ الصَّبيَّ الذي طَرحته أُمُّه في الأخدود كان ابن سبعة أشهرٍ**». وصرَّح بالمهد في حديث أبي هريرة، وفيه تعقُّبٌ علىٰ النوويِّ في قوله: «إنَّ صاحب الأخدود لم يكن في المهد».اهـ من "فتح الباري".

ويظهر لي أنَّ الحديث مرويٌّ بالمعنىٰ بدليل حديث أبي هريرة الآتي: «**لم يتكلَّم في المهد إلَّا أربعةٌ**». وحديث ابن عبَّاسٍ الآتي أيضًا: «**تكلَّم في المهد أربعةٌ**». إذ من المحال أن ينطق النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام بجميع هذه الألفاظ المُتضاربة، فلا وجه لذلك إلَّا أن يكون الراوي عَبَّر بلفظه حسب فهمه كما حصل في غير هذا من الأحاديث.

يؤيِّد هذا ما جاء عند الطَّبرانيِّ عن عِمرانَ بن حُصَينِ رضي الله عنه قال: تَذَاكَرنا البِرَّ عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأنشأ يُحدِّثنا فقال: «**إنَّه كان فيما قبلكم من الأُمَمِ رجلٌ يتعبَّدُ في صَومَعَته يُقال له جُرَيجٌ...**». وذكر قصَّة جُريجٍ وفي آخرها: فزعم أبو حرب -وهو أحد الرواة- أنَّه لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثةٌ عيسىٰ، وشاهد يوسف، وصاحب جُريجٍ.

والذي تلَخَّص من مجموع الروايات صحيحها وسقيمها: أنَّ الذين

تكلَّموا في المهد عشرةٌ: هؤلاء الثلاثة المذكورون في الحديث، وصاحب الأخدود، وابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وستأتي أحاديثهم.

ويحيىٰ عليه السَّلام زعم الضَّحَّاك في "تفسيره": أنَّه تكلَّم في المهد.

وإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام ذكره البغويُّ في "تفسيره".

ونبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام ذكر الواقديُّ في "سِيره": أنَّه تكلَّم أوائل ما وُلد، وذكر ابن سبعٍ في "الخصائص": أنَّ مهده كان يتحرَّك بتحريك الملائكة، وأنَّ أول كلامٍ تكلَّم به أن قال: «**الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا**».

هؤلاء تسعةٌ، والعاشر مبارك اليمامة.

روىٰ ابن قانع، والبيهقيُّ في "دلائل النُّبوَّة"، والخطيب في "التاريخ" من طريق الكُدَيميِّ، عن شَاصُونة بن عُبيدٍ أبي محمَّد اليماميِّ قال: حدَّثني مُعرِّض بن عبدالله بن مُعرِّض بن مُعَيقِيبٍ اليماميُّ، عن أبيه، عن جدِّه قال: حجَجَتُ حَجَّة الوداع، فدخلتُ دارًا بمكّة فرأيت فيها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجهه مثل دَارَة القمر، وسمعت منه عَجَبًا، جاءه رجلٌ من أهل اليمامة بغلامٍ يوم وُلد -وقد لفَّه في خِرقَةٍ- فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا غلام، مَن أنا؟**» قال: أنت رسول الله، قال: «**صَدَقت بارك الله فيك**». قال: ثُمَّ إنَّ الغلام لم يتكلم بعدها حتَّىٰ شَبَّ، قال: قال أبي: فكنَّا نُسمِّيه مُبَاركَ اليَمامَةِ.

وورد من غير طريق الكُدَيميِّ عن شَاصُونة أيضًا، رواه البيهقيُّ في "الدلائل" والخطيب في "تاريخ بغداد" وغيرهما، ولتراجع ترجمة معرض بن مُعَيقِيبٍ في "الإصابة" للحافظ ابن حجرٍ.

وأخرج مسلمٌ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن حِبَّان في "صحيحه"، وابن جريرٍ

والطبرانيُّ والبزَّار وغيرهم، واللَّفظ لمسلمٍ، عن صُهيبٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له سَاحِرٌ، فلمَّا كَبِرَ قال للمَلِكِ: إنِّي قد كَبِرَت فابعث إليَّ غلامًا أُعلِّمه السِّحر فبعث إليه غلامًا يُعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك رَاهِبٌ فقعد إليه وسَمِعَ كلامه فأعجبه؛ فكان إذا أتى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهب وقعد إليه، فإذا أتى السَّاحر ضربه، فشكا ذلك إلى الرَّاهِبِ فقال: إذاخشيتَ السَّاحِر فقل حَبَسَنِي أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَت النَّاسَ، فقال: اليوم أعلمُ السَّاحر أفضل أم الرَّاهب أفضل، فأخذ حَجَرًا فقال: اللهمَّ إن كان أمرُ الرَّاهِبِ أحَبَّ إليك من أمر السَّاحِرِ فاقتل هذه الدَّابَّةَ حتَّى يمضي النَّاسُ، فرماها فقتلها ومضى النَّاسُ، فأتى الراهبَ فأخبره، فقال له الرَّاهب: أي بُنيَّ، أنت اليوم أفضلُ مِنِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنَّك ستُبتَلَى، فإن ابتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عليَّ، وكان الغلام يُبرئُ الأكمه والأبرص ويداوي النَّاس من سائر الأدواء، فسمع جَلِيسٌ للملك كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إنِّي لا أَشفِي أحدًا إنَّما يَشفِي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى المِلِكَ فجلس إليه كما كان يجلسُ فقال له المِلِكُ: من رَدَّ عليك بصرك؟ قال: رَبِّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: رَبِّي ورَبُّكَ الله، فأخذه فلم يزل يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُنَيَّ قد بلغ من سِحرِكَ ما تُبرئَ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إنِّي لا أَشفِي أحدًا إنَّما يَشفِي الله، فأخذه فلم يزل يُعذِّبه حتَّى دلَّ على الرَّاهِبِ، فجيء بالرَّاهِب، فقيل له:**

ارجع عن دينك، فأَبَى، فدعى بالمِنشَار فوضعوا المِنشَار في مَفرِقِ رأسه فشقَّه حتَّى وقع شِقّهُ، ثُمَّ جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجِع عن دينكَ فأَبَى، فوضع المِنشَارَ في مَفرِقِ رأسه فشقَّه به حتَّى وقع شِقَّاه، ثُمَّ جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأَبَى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جَبَلِ كذا وكذا فاصْعَدُوا به الجبل فإذا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فإن رَجَعَ عن دِينِهِ وإلَّا فاطْرَحُوهُ، فذهبوا به فصعدوا به الجبلَ فقال: اللهمَّ اكفنيهم بما شِئتَ فرَجَفَ بهم الجبلُ فسقطوا وجاء يمشي إلى المَلِكِ فقال له المَلِكُ: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانِيهِم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُورٍ -بضمِّ القافين: سفينة صغيرة- فتوسَّطوا به إلى البحر فإن رجع عن دينه وإلَّا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهمَّ اكفنيهم بما شِئتَ، فغرِقُوا وجاء يمشي إلى المَلِكِ، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانِيهِم الله، فقال للمَلِكِ: إنَّك لست بقاتِلِي حتَّى تفعل ما آمُرُكَ به، قال: وما هو؟ قال: تَجمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، وتَصلُبُني على جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا من كِنَانَتي، ثُمَّ ضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوسِ ثُمَّ قل: بسمِ الله ربِّ الغلامِ، ثُمَّ ارمني فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ وصَلَبه على جِذعٍ، ثُمَّ أخذ سهمًا من كِنَانَته ثُمَّ وضع السَّهم في كَبِدِ القوس ثُمَّ قال: بسم الله ربِّ الغلام، ثُمَّ رماه فوقع السَّهم في صُدغِهِ فوضع يده في صدغه في موضع السَّهم فمات، فقال النَّاسُ: آمنَّا بربِّ الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيتَ ما كنتَ تَحذَرُ قد -والله- نزل بك حذرك، قد آمن النَّاسُ، فأمر بالأخدود في أفواه السِّكَك فَخُدَّتْ، وأضرم النِّيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها -أي ارمُوه فيها ليُحمَى-

أو قيل له: اقتحِم، ففعلوا حتَّى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها فتقاعَست -أي توقَّفت- **أن تَقَعَ في النَّار، فقال الصَّبيُّ: يا أُمَّهْ اصبرِي فإنَّك على الحقِّ**».

في هذا الحديث: إثبات كرامات الأولياء في عِدَّة مواضع منه، وأنَّ الكرامة قد تقع بطلب الوليِّ واختياره، وجواز الكذب في الحرب ونحوها، وفي إنقاذ النَّفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممَّن له حُرمة.

وفيه أنَّ هذه القصّة كانت بعد عيسىٰ عليه السَّلام؛ لأنَّ الرهبان من أتباعه إذ هم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النَّفس في الصَّوامع ونحوها، نبَّه عليه الحافظ في الكلام علىٰ قصَّة جُريجٍ الرَّاهب، وقد ذكرناها قبل هذا الحديث، والله أعلم.

(تنبيه): القصّة المذكورة في هذا الحديث هي المُشار إليها بقوله تعالىٰ:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ١: ٩].

وأخرج أحمد، وابن أبي شيبة، والبزَّار، وأبو يعلىٰ، والحاكم، وابن حِبَّان، والبيهقيُّ في "الشُّعب" من طريق حمَّاد بن سلمة، عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لمَّا أُسرِيَ بي مَرَّت بي رائحةٌ طيِّبَةٌ، فقلت: ما هذه الرائحةُ؟ قالوا: مَاشِطَةِ بنت فرعونَ وأولادها، سَقَطَ مشطها من يدها فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي، قالت: ربِّي هو ربُّك وربُّ أبيك، قالت: أو لك ربٌّ غير أبي؟ قالت: نعم، فدَعَاهَا، فقال: أَلَكِ رَبٌّ**

غيري؟ قالت: نعم ربِّي وربُّك الله؛ فأمر ببَقَرةٍ من نُحَاسٍ فأُحمِيَتْ، ثُمَّ أمر بها لتُلقَى فيها وأولادها فألقوا واحدًا واحدًا حتَّى بلغ رضيعًا فيهم فقال: قعي يا أُمَّهْ ولا تقاعسي فإنَّك على الحقِّ» قال: «**وتكلَّم أربعةٌ وهم صِغَارٌ: هذا، وشَاهِدُ يُوسُفَ، وصاحبُ جُرَيجٍ، وعيسى ابن مريم**».

قال الحافظ السيوطيُّ في "الخصائص الكُبرىٰ": «إسناده صحيحٌ».

قلت: كذا قال، ولكن عطاء فيه كلامٌ من أجل اختلاطه كما يُعرف من كتب الرجال.

نعم روىٰ الحاكم من طريق مسلم بن إبراهيم، عن جرير بن حازم، عن محمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة رفعه: «**لم يتكلَّم في المهد إلَّا أربعةٌ: عيسى، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيجٍ، وابن ماشطة فرعون**». صحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشّيخين وسلَّمه الذهبيُّ.

فهذا شاهدٌ صحيحٌ لحديث ابن عبَّاسٍ، وفيه إثبات كرامات الأولياء، وقُوَّة إيمان ماشطة فرعون حيث واجهت فرعون بعقيدتها غير خائفةٍ من ظُلْمِه وعَسَفِه، وكلام الطِّفل يحتمل كونه بلا تَعقُّلٍ كالجماد، وكونه عن معرفةٍ قاله المناويُّ.

وانظر "تفسير الآلوسيِّ" في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦].

وروىٰ الإمام أحمد والنَّسائيُّ والبخاريُّ -معلقًا بصيغة الجزم- والإسماعيليُّ من طريق عبدالرحمن بن هُرْمُز، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سَأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَهُ ألف دينارٍ فقال: ائتِنِي بالشُّهداء أُشهِدُهم، فقال: كَفَى بالله**

شهيدًا، قال: فأتني بالكَفِيلِ، قال: كَفَى بالله كَفِيلًا، قال: صَدَقتَ؛ فدفعها إليه إلى أَجَلٍ مُسَمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثُمَّ التمس مَركَبًا يَركَبُها يَقدَمُ عليه للأجل الذي أَجَّلَه فلم يجد مَركَبًا فأخذ خَشَبَةً فنقَرَها فأدخل فيها ألف دِينارٍ وصَحِيفَةً منه إلى صاحبه، ثُمَّ زَجَّجَ موضعها ثُمَّ أتى بها إلى البحر فقال: اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي كنتُ تَسَلَّفتُ فلانًا ألفَ دِينارٍ فسألني كَفِيلَا فقلتُ: كَفَى بالله كَفِيلًا فرَضِيَ بك، وسألني شهيدًا فقلت: كَفَى بالله شهيدًا فرضيَ بك، وإنِّي جَهَدتُ أن أَجِدَ مَركَبًا أبعثُ إليه الذي له فلم أَقدِر، وإنِّي أَستودِعُكَها، فرَمَى بها في البحر حتَّى وَلَجَت فيه ثُمَّ انصرف وهو في ذلك يلتمس مَركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أَسْلَفه ينظر لعلَّ مَركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها حَطَبًا لأهله فلمّا نَشَرها وجد المال والصَّحيفة، ثُمَّ قَدِم الذي كان أَسْلَفه فأتى بالألف دينارٍ، فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مَركبٍ لآتيك بمالك فما وَجدتُ مَركبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجد مَركبًا قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدِّينار راشدًا».

وصله البخاريُّ في «باب التِّجارة في البحر» من «كتاب البيوع» وعلَّقه في «باب بمن يبدأ في الكتاب» من «كتاب الاستئذان» عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة بصيغة الجزم، ووصله في "الأدب المفرد"، ومن هذا الطَّريق رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

وفي "مسند الصّحابة الذين نزلوا مصر" لمحمَّد ابن الرَّبيع الجيزيِّ بسندٍ فيه مجهولٌ، عن عبدالله بن عمر ويرفعه: «أنَّ رجلًا جاء إلى النَّجاشيِّ فقال له:

أَسْلِفْني ألف دِينارٍ إلى أجلٍ، فقال: من الحميل بك؟ قال الله، فأعطاه الألف فضرب بها -أي سافر بها في تجارةٍ- **فلمّا بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسته الرِّيح فعمل تابوتًا...**» وذكر الحديث، نحو ما سبق.

قال الحافظ: «استفدنا منه أنَّ الذي أقرض هو النَّجاشيُّ، فيجوز أن تكون نسبته إلىٰ بني إسرائيل بطريق الاتباع لهم لا أنَّه من نسلهم».اهـ

وفي الحديث فوائد: منها إثبات كرامات الأولياء، وفضل التَّوكل علىٰ الله، وأنَّ من صحَّ توكُّله تكفَّل الله بنصره وعَوْنه.

وقال ابن التِّين: «قيل في قصَّة صاحب الخشبة إثبات كرامات الأولياء وجمهور الأشاعرة علىٰ إثباتها، وأنكرها الإمام أبو إسحاق الشيرازيُّ من الشَّافعيَّة، والشّيخان أبو محمَّد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسيُّ من المالكيَّة».اهـ

قال الحافظ: «أما الشِّيرازيُّ فلا يُحفظ عنه ذلك، وإنَّما نُقل ذلك عن أبي إسحاق الإسفراييني، وأمَّا الآخرون فإنَّما أنكروا ما وقع معجزةً مُستقلَّةً لنبيٍّ من الأنبياء، كإيجاد ولدٍ عن غير والدٍ والإسراء إلىٰ السَّموات السَّبع بالجسد في اليقظة، وقد صرَّح إمام الصُّوفيَّة أبو القاسم القشيريُّ في رسالته بذلك».اهـ

وروىٰ الشّيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بينما رجلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً له قد حَمَلَ عليها التَفَتتْ إليه فقالت: إنِّي لم أُخلَق لهذا، ولكنِّي إنَّما خُلِقتُ للحَرْثِ، فقال النَّاسُ: سُبحانَ الله -تعجُّبًا وفَزَعًا- أَبقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟!**». فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فإنِّي أومنُ به وأبو بكرٍ وعُمَر، وما هما ثَمَّ**».

قال أبو هريرة: قال رسول الله **صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**: «**بينا راعٍ في غَنَمه**

عَدَا عليه الذِّئبُ فأخذ منها شَاةً، فطلبه الرَّاعي حتَّى استَنْقَذَها مِنه، فالتَفَت إليه الذِّئبُ فقال له: مَن لها يوم السَّبُعِ يوم ليس لها راعٍ غيري؟ فقال النَّاسُ: سُبحانَ الله!». فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فإنِّي أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ**».

قال النَّوويُّ: «في الحديث فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، وفيه جواز كرامات الأولياء وخَرْقِ العَوَائد، وهو مذهب أهل الحقِّ».اهـ

وفيه أيضًا كما قال الحافظ: «جواز التَّعجُّب من خَوَارق العادات، وتفاوت النَّاسِ في المعارف».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" وزاد في آخره: فقال النَّاسُ آمَنَّا بما آمَنَ به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وفي هذه الزِّيادة: دليلٌ علىٰ إِسراع الصّحابة إلىٰ الإيمان بما يَصدرُ عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويُؤخذ من الحديث أيضًا: أنَّ التَّعجُّب من الخبر لا يُنافي صِدقه، فإنَّ الصّحابة ليس عندهم شكٌّ في عصمة النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومع ذلك تعجَّبوا لَمَّا أخبرهم بشيءٍ غريبٍ عن مَألوف العادة.

وقوله: «**مَن لها يوم السَّبُع**» اختُلف في ضبط لفظ السَّبُع ومعناه.

أمَّا الضبط فقال عِياض: يجوز ضَمِّ المُوحَّدة وإسكانها، إلَّا أنَّ الرواية بالضَّمِّ.

وقال الحربيُّ: هو بالضَّمِّ والسُّكون.

وقال ابن الجوزيِّ: هو بالسُّكون، والمُحدِّثون يروونه بالضَّمِّ، وجَزَم ابن العربيِّ بأنَّ الضَّمَّ تصحيفٌ وليس كذلك.

وأمَّا المعنىٰ فإن كان السَّبُع بضَمِّ الباء فالمراد به: الحيوان المعروف، كما قال

الحربيُّ والداوديُّ، والمعنىٰ حينئذٍ: من لها إذا أخذها الأسد فتَفِرَّ أنت منه؟ ويأخذ منها حاجته، وأتخلَّفُ أنا أرعىٰ ما يفضل لي منها.

وقيل: إنَّما يكون ذلك عند الاشتغال بالفِتن فتصير الغنم هملًا فتنهبها السِّباع، فيصير الذِّئب كالرَّاعي لها لانفراده بها.

وإن كان السَّبْع بسكون الباء فقيل: هو اسم يوم عيدٍ لهم في الجاهلية يشتغلون فيه باللَّهو واللَّعب، فيغفل الرَّاعي عن غَنَمِه فيتمكَّن الذِّئب منها، ويصير بتمكُّنه كأنَّه راعٍ لها، نقله الإسماعيليُّ عن أبي عُبيدٍ.

وقيل: المراد به الفَزَع من سبعت الرجل أفزعته، أي: من لها يوم الفزع؟

وقيل: المراد به الإهمال من أسبع الرجل غنمه: أهملها، أي: من لها يوم الإهمال، ورجَّحَه النَّوويُّ.

وقيل: «المراد به يوم الشِّدّة كما رُوي عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه سُئل عن مسألةٍ فقال: أجرأ من سبع، يريد أنَّها من المسائل الشِّداد التي يشتدُّ فيها الخطب علىٰ المفتي».اهـ من "فتح الباري".

ويظهر لي معنىٰ آخر: وهو الإشارة إلىٰ زمان نزول عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام، فقد صحَّ في حديثٍ عند أحمد وغيره عن أبي هريرة: «**وأنِّي أَوْلَى النَّاسِ بعيسى ابن مريم؛ لأنَّه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنَّه نازلٌ فإذا رأيتُمُوه فاعرِفُوه...**» وذكر الحديث، وفيه ثُمَّ «**تَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرضِ حتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مع الإبل، والنُّمور مع البقر، والذِّئابُ مع الغَنَمِ، ويلعبَ الصِّبيانُ بالحَيَّات لا تَضُرُّهُم...**» الحديث.

والمعنىٰ علىٰ هذا: من لها يوم السَّبع حين يرعىٰ الذِّئب مع الشَّاة بل لا

يكون لها راعٍ غيره، وسُمِّي ذلك الزمن يوم السَّبُع؛ إمَّا لكثرة ظهور السِّباع فيه من قولهم: أرض مُسبِعةٌ كثيرة السِّباع؛ وإمَّا لأنَّ السِّباع لا تُؤذي فيه على خلاف ما عُهد من طبيعتها.

(تنبيه): قال الحافظ ابن حجرٍ: «لم أقف على اسم هذا الرَّاعي الذي كلَّمه الذِّئبُ.

وقد أورد المصنِّف -يعني البخاريَّ- الحديث في ذكر بني إسرائيل، وهو مُشعِرٌ بأنَّه عنده ممَّن كان قبل الإسلام، وقد وقع كلام الذِّئب لبعض الصّحابة في نحو هذه القصّة.

فروى أبو نعيمٍ في "الدَّلائل" من طريق ربيعة بن أوس، عن أنيس بن عمرو، عن أُهْبَان بن أوسٍ قال: «كنت في غَنَمٍ لي، فشَدَّ الذِّئبُ على شَاةٍ منها، فصِحْتُ عليه فأَقْعَى الذِّئبُ على ذَنَبه يُخَاطبُني وقال: مَن لَهَا يوم يُشتغل عنها؟ تمنعني رِزْقًا رَزَقَنِيهِ الله تعالى، فصَفَّقْتُ بيدي وقلتُ: والله ما رأيتُ شيئًا أَعجَبَ مِن هذا، فقال: أَعجَبُ مِن هذا، هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين هذه النَّخَلَات يدعو إلى الله، قال: فأتى أُهْبَان إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره وأسلم.

فيُحتمل أن يكون أُهْبَان لَمَّا أخبر النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك كان أبو بكر وعمر حاضرين، ثُمَّ أخبر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك وأبو بكر وعمر غائبان، فلذلك قال: «**فإنِّي أومن بذلك أنا وأبو بكرٍ وعمر**».

ويُحتمل أن يكون صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك لِمَا أُطلِع عليه من غَلَبة صِدق إيمانهما وقُوَّة يقينهما، وهذا أليق بدخوله في مناقبهما».اهـ

وحديث أُهْبَان بن أوسٍ رواه البخاريُّ أيضًا في "التَّاريخ" وضعَّفه؛ لأنَّ في سنده عبدالله بن عامرٍ الأسلميَّ وهو ضعيفٌ، لكن روىٰ أحمد، وابن سعدٍ، والبزَّار، والحاكم والبيهقيُّ وصحَّحاه، وأبو نعيمٍ من طُرقٍ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: بينما راعٍ يرعىٰ بالحَرَّة إذ عَرَضَ ذئبٌ لشاةٍ من شِياهه، فحال الراعي بين الذِّئب وبين الشَّاة، فأَقعَىٰ الذِّئبُ علىٰ ذَنَبه ثُمَّ قال: للرَّاعي: ألا تتَّقي الله تعالىٰ؟ تَحول بيني وبين رِزقٍ ساقه الله تعالىٰ إليَّ، فقال الراعي: العجب من الذِّئبِ يتكلَّم بكلام الإنس! فقال الذِّئبُ: ألا أُحدِّثك بأعجب من ذلك؟ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين الحَرَّتين يُحدِّث النَّاسَ بأنباء ما قد سبق.

فساق الرَّاعي غَنَمه حتَّىٰ قَدِم المدينة، فدخل علىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحدَّث بحديث الذِّئبِ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَدَق صَدَق، ألا إنَّه من أشراط السَّاعة كلام السِّباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم السَّاعة حتَّى تُكلِّم السِّباع الإنس، ويُكلِّم الرجل شراكُ نعله، وعَذَبة سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده**».

وذكره الدميريُّ في مبحث الذِّئب من "حياة الحيوان" عازيًا له إلىٰ الحاكم، وقال إسناده علىٰ شرط مسلم، وأورده الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" من مُسنَدَيْ أحمد والبزَّار، وقال: «رجال أَحَد إسنادي أحمد رجال الصَّحيح».

فصاحب هذه القصَّة أُهْبان بن أوسٍ المذكور؛ لأنَّه جاء في إحدىٰ روايات أحمد والبزَّار عن أبي سعيدٍ قال: «بينما رجلٌ من أَسْلَمَ في غُنَيمَةٍ له يَهُشُّ عليها في بَيْداءِ ذِي الحُلَيفَةِ إذ عَدَا عليه الذِّئبُ...» وذكر الحديث، وأهبان بن أوسٍ أَسْلَميٌّ.

أمَّا ما نقله الحافظ في "الإصابة" عن ابن الكلبيِّ، وأبي عُبيد، والبلاذريِّ،

والطَّبريِّ: أنَّ مُكلِّم الذِّئب أُهْبان بن الأكوع بن عياذ الخزاعي فذلك في قصّةٍ أُخرىٰ؛ لأنَّ كلام الذِّئبِ تكرَّر في زمن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال الحافظ بن عبدالبر: «كلَّم الذِّئبُ من الصّحابة ثلاثة: رافع بن عميرة، وسلمة بن الأكوع، وأهبان بن أوسٍ الأسلميِّ»، قال: «ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان، يتعجَّبون منه».اهـ

وقال أبو بكر بن أبي داود: «يقال لأهبان مُكلِّم الذِّئب، ولأولاده أولاد مُكلِّم الذِّئب، ومحمَّد بن الأشعث الخزاعيُّ من ولده، واتَّفق مثل ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع».اهـ

فهؤلاء أربعةٌ كلَّمهم الذِّئبُ وهُم: أهبان الأسلميُّ، وأهبان الخزاعيُّ، وسلمة بن الأكوع، ورافع بن عميرة.

وروىٰ أحمد بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ -كما قال الحافظ الهيثميُّ- عن أبي هريرة قال: جاء الذِّئبُ إلىٰ راعي غَنَمٍ فأخذ منها شاةً، فطلبه الرَّاعي حتَّىٰ انتَزَعها منه فصَعِد الذِّئبُ علىٰ تَلٍّ فأَقْعَىٰ وقال: عَمِدتَ إلىٰ رِزقٍ رَزَقَنِيه الله فانتزعتَه مِنِّي، فقال: تالله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلَّم! قال الذِّئبُ: أعجبُ من هذا رجلٌ يَتكلَّم في النَّخلات بين الحرَّتين يخبركم بما مضىٰ وبما هو كائنٌ بعدكم.

وكان الرجل يهوديًّا فجاء النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخبره وصَدَّقه النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّها أماراتٌ بين يدي السّاعة، قد أوشك الرجل أن يَخرجَ فلا يرجع حتَّى تُحدِّثه نعلاه وسوطه ما أحدَثَ أهلُهُ بَعدَهُ**».

فإن ضُمَّ هذا اليهوديُّ إلىٰ من سبق صاروا خمسةً، إن لم يكن هو أحد

الأربعة المذكورين.

وروىٰ أبو نعيمٍ عن أنسٍ قال: كنتُ مع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوكٍ، فشددتُ علىٰ غنمي فجاء الذِّئبُ فأخذ منها شاةً فاشتدَّت الرِّعَاءُ خلفه فقال الذِّئبُ: طُعْمَةٌ أَطْعَمنيها الله تعالىٰ تنزعونها مِنِّي، فبُهِت القوم، فقال الذِّئبُ: ما تعجبون من كلام الذِّئبِ وقد نزل الوحيُ علىٰ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم!.

هذا ما بلغنا ممَّا يتعلَّق بكلام الذِّئب، وأمَّا كلام البقرة فلا نعلم فيه سوىٰ الحديث الذي أوردناه.

وحديثٌ آخر أسنده الدِّينوريُّ في "المجالسة" عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: مَرَّ عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ببقرةٍ قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله، ادعُ الله أن يُخلِّصني، فقال: يا خالق النَّفس من النَّفس، ويا مُخرج النَّفس من النَّفس، خَلِّصها، فألقت ما في بطنها.

ووقعت حادثة من هذا النَّوع بعد العصر النَّبويِّ بكثير.

قال المقريزيُّ: في كتاب "إغاثة الأُمَّة بكشف الغُمَّة" (ص: ٣٨) ما لفظه: «ووقع بآخر هذا الغلاء أعجوبةٌ في غاية الغرابة لم يُسمع بمثلها وهي: أنَّ رجلًا من أهل الفلح بجبة عسال -إحدىٰ قرىٰ دمشق الشّام- خرج بثورٍ له ليرد الماء، فإذا عِدَّةٌ من الفلّاحين قد وردوا الماء، فأورد الثور حتّىٰ إذا اكتفىٰ نطق بلسان فصيحٍ أسمع من بالمورد وقال: الحمد لله والشّكر له، إنَّ الله تعالىٰ وعد هذه الأُمَّة سبع سنين مُجدبةً، فشفع لهم النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّ الرسول أَمَره -أي الثور- أن يُبلغ ذلك وأنَّه قال: يا رسول الله فما علامة

صدقي عندهم قال: أن تموت بعد تبليغ الرسالة، وإنَّه بعد فراغ كلامه صعد إلىٰ مكانٍ مُرتفعٍ وسَقَطَ مِنه ومات، فتسامع به أهل القرية وجاءوا من كل حَدَبٍ ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه للتَّبرُّك، فكانوا إذا بخَّروا به موعوكًا برئ، وعمل بذلك محضرٌ مثبوتٌ علىٰ قاضي البلد وحمل السّلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء واشتهر بين النَّاس خَبَره وشاع ذِكره، وذكر هذه الحادثة أيضًا في كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" (١ / ٨١١، ٨١٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو يعلىٰ من طريق الرَّبيع بن سعد الجعفيِّ عن عبدالرحمن بن سابطٍ، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حَدِّثوا عن بني إسرائيل فإنَّه كان فيهم الأعاجيب**»، ثُمَّ أنشا يُحدِّث قال: «**خرجت رُفْقةٌ مرَّةً يسيرون في الأرض فمرّوا بمقبرةٍ، فقال بعضهم لبعض: لو صلَّينا ركعتين ثُمَّ دعونا الله عزَّ وجلَّ لعلَّه يُخرج بعض هذه المقبرة، فيخبرنا عن الموت، قال: فصلُّوا ركعتين ثُمَّ دعوا الله، فإذا هم برَجُلٍ قد خرج مِن قبره ينفضُ رأسه وبين عينيه أثر السُّجودِ، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلى هذا، لقد مِتُّ منذ مائة سنةٍ فما سكنت عنِّي حرارة الموتِ إلى ساعتي هذه، فادعو الله أن يعيدني كما كنت**».

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بفَلَاةٍ مِن الأرضِ، فسَمِعَ صَوْتًا في سحابةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فتَنَحَّى ذلك السَّحَابُ، فأفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ مِن تلك الشِّرَاجِ قد اسْتَوْعَبَتْ ذلك الماءَ كُلَّهُ، فتتبَّعَ المَاءَ، فإذا رَجُلٌ قائِمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بمِسْحَاتِهِ، فقال له: يا عبدالله ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ - لِلاسْمِ الذي**

سَمِعَ في السَّحابة- فقال له: يا عبدالله لم تَسْأَلُني عن اسْمِي؟ فقال: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا في السَّحَابِ الذي هذا ماؤُهُ يقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، لاسمِكَ، فما تَصْنَعُ فيها؟ قال: أما إذ قُلْتَ هذا، فإنِّي أنظُرُ إلى ما يَخرُجُ منها، فأتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ، وآكُلُ أنا وعِيالي ثُلُثًا، وأَرُدُّ فيها ثُلُثَهُ».

في الحديث إثبات الكرامات، وفضل الصَّدقة والإنفاق على العيال ومن تلزم نفقته، و«**الحَرَّة**» -بفتح الحاء-: أرضٌ ذات حجارةٍ سودٍ، و«**الشَرْجة**» -بفتح الشين وسكون الراء-: مَسِيلُ الماء أي: مكان اجتماعه وسَيْلِه.

الفصل الرابع

في ذكر ما ثبت من الكرامات عن الصّحابة رضي الله عنهم

أخرج الشيخان عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اهتزَّ عَرشُ الرَّحمن لموتِ سَعدِ بن مُعَاذٍ**».

ورویٰ مسلمٌ عن أنسٍ مِثلَه، بل ثبت هذا الحديث عن عَشْرةٍ من الصّحابة أو أكثر كما قال الحافظ.

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث اختلافًا لخَّصَه الحافظ في "الفتح" فقال: «والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسُرُوره بقدوم رُوحِه، يقال لكلِّ من فَرِح بقدوم قادم عليه: اهتزَّ له، ومنه: اهتزَّت الأرض بالنَّبات إذا اخضرَّت وحسنت، ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: «**اهتزَّ العرش فَرَحًا به**». لكنَّه تأوَّله كما تأوَّله البراء بن عازبٍ فقال:اهتزَّ العرش فَرَحًا بلقاء الله سعدًا حتَّىٰ تَفَسَّخَتْ أَعْوَاده علىٰ عَوَاتِقنَا.

قال ابن عمر: يعني عرش سعد الذي حُمِل عليه، وهذا من رواية عطاء بن السّائب عن مُجاهدٍ عن ابن عمر.

وفي حديث عطاءٍ مقالٌ؛ لأنَّه ممَّن اختلط في آخر عمره، ويعارض روايته أيضًا ما صحَّحه الترمذيُّ من حديث أنس قال: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعدِ بن مُعَاذٍ قال المنافقون: ما أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الملائكة كانت تَحمِلُهُ**».

قال الحاكم: الأحاديث التي تُصرِّح باهتزاز عرش الرحمن مُخرَّجة في

"الصّحيحين"، وليس لمعارضها في الصّحيح ذكرٌ».اهـ

وقيل: المراد باهتزاز العرش اهتزاز حَمَلة العرش، ويؤيِّده حديث: «**إنَّ جبريل قال: مَن هذا الميِّت الذي فُتِحَتْ له أبواب السَّماء واستبشر به أهلها؟**». أخرجه الحاكم.

وقيل: هي علامةٌ جعلها الله لمن يموت من أوليائه ليُشعِر ملائكته بفضله.

وقال الحربيُّ: «إذا عظَّموا الأمر نسبوه إلىٰ عظيمٍ، كما يقولون: قامت لموت فلانٍ القيامة وأظلمت الدّنيا ونحو ذلك، وفي هذه مَنقبةٌ عظيمةٌ لسعدٍ».اهـ

وفي "شرح مسلمٍ" للإمام النَّوويِّ ما نصُّه: «اختلف العلماء في تأويلها، فقالت طائفةٌ: هو علىٰ ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فَرحًا بقدوم رُوح سعدٍ، وجعل الله تعالىٰ في العرش تمييزًا حصل به هذا، ولا مانع منه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث، وهو المُختار.

وقال المازريُّ: قال بعضهم: هو علىٰ حقيقته وأنَّ العرش تحرَّك لموته، قال: وهذا لا يُنكر من جهة العقل؛ لأنَّ العرش جسمٌ من الأجسام يقبل الحركة والسّكون، قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلَّا أن يُقال: الله تعالىٰ جعل حركته علامةً للملائكة علىٰ موته.

وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العرش، وهم حَمَلَتُهُ وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول.

ومنه قول العرب: فلان يهتزُّ للمكارم، لا يريدون اضطِّراب جسمه وحركته، وإنَّما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها.

وقال الحربيُّ: هو كِنايةٌ عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المُعظَّم إلىٰ أعظم الأشياء فيقولون: أظلمت لموت فلانٍ الأرض، وقامت له القيامة». اهـ

وقول من قال: إنَّ المراد بالعرش: السَّرير الذي حُمِل عليه غَلطٌ تَردُّه الروايات الصّحيحة الصّريحة كما قال النّوويُّ وغيره.

وإلىٰ هذه الكرامة الجليلة أشار حسَّان بن ثابتٍ في رِثاءِ سعدٍ بقوله:

وَما اهتَزَّ عَرشُ الله مِن أجلِ هالِكٍ سَمِعنا بِه إلَّا لِسَعْدٍ أبي عَمرو

وأمَّا إنكار مالكٍ لهذا الحديث، وقوله لمن سأله عنه: «أنهاك أن تقول...» إلخ ما جاء عنه في "العتبية" فمحمول علىٰ ما قال الإمام أبو الوليد بن رشدٍ في شرحها، ومُلخَّص كلامه: «إنَّما نهىٰ مالكٌ لئلَّا يسبق إلىٰ وهم الجاهل أنَّ العرش إذا تحرَّك يتحرك الله بحركته كما يقع للجالس مِنَّا علىٰ كرسيّه، وليس العرش بموضع استقرار الله، تبارك الله وتنزَّه عن مُشابهة خلقه». اهـ

ويُحتمل ألَّا يكون الحديث ثبت عنده كما قال الحافظ.

وقال الحافظ السُهيليُّ في "الروض الأنف" ما نصُّه: «وحديث اهتزاز العرش لموت سعدٍ صحيحٌ، قال أبو عمر: هو ثابتٌ من طُرقٍ مُتواترةٍ، وما رُوىٰ من قول البراء ابن عازب في معناه: «أنَّه سرير سعدٍ اهتزَّ»، لم يلتفت إليه العلماء وقالوا: كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن، وفي لفظ الحديث: «**اهتزَّ عرشُ الرحمن**». رواه أبو الزُّبير، عن جابرٍ يرفعه، ورواه البخاريُّ من طريق الأعمش، عن أبي صالحٍ وأبي سفيان، كلاهما عن جابرٍ، ورواه من الصّحابة جماعةٌ غير جابرٍ منهم أبو سعيد الخدريُّ، وأُسَيْد بن حُضَيرٍ، ورُمَيْثَةُ

بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذيُّ.

والعجب لما رُوىٰ عن مالكٍ رحمه الله من إنكاره للحديث وكراهيته للتحدُّث به مع صحَّة نقله وكثرة الرواة له، ولعلَّ هذه الرواية لم تصح عن مالكٍ، والله أعلم.

وأخرج البخاريُّ عن أنسٍ قال: كَسَرَتْ الرُّبَيِّعُ -وهي عَمَّةُ أنسِ بن مالكٍ- ثَنِيَّةَ جاريةٍ من الأنصار، فطَلَبَ القومُ القِصَاصَ، فأتوا النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأَمَرَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالقِصَاصِ، فقال أنسُ بن النَّضرِ -عَمُّ أنس بن مالكٍ-: لا والله لا تُكسَرُ سِنُّها يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أنسُ، كتاب الله القصاصُ**». فرَضِيَ القوم وقبلوا الأَرْشَ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

وفي رواية: فعَجِبَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقال: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

قال الحافظ: «وجه تعجُّبه أنَّ أنس بن النَّضر أقسم علىٰ نفي فعل غيره مع إصرار ذلك الغير علىٰ إيقاع ذلك الفعل، فكان قضيَّة ذلك في العادة أن يحنث في يمينه، فألهم الله الغير العفو فبرَّ قسم أنس، وأشار بقوله: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله**». إلىٰ أنَّ هذا الاتفاق إنَّما وقع إكرامًا من الله لأنسٍ ليبرَّ يمينه، وأنَّه من جملة عباد الله الذين يُجيب دعاءهم، ويعطيهم أَرَبَهم».اهـ

وإنكار أنس بن النضر كَسْر سِنِّ أخته لم يقصد به إنكار الحكم الشَّرعيِّ وردّه، بل قاله توقُّعًا ورجاءً من فضل الله أن يُلهم الخصوم الرضى حتَّىٰ يعفوا،

أو يقبلوا الأَرْش؛ فحقَّق الله رجاءه.

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أنسٍ: أنَّ أخت الرُّبَيِّع أُمَّ حَارِثَةَ جرحت إنسانًا، فاختصموا إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**القِصَاصَ القِصَاصَ**». فقالت أُمُّ الرُّبَيِّع: يا رسول الله أَيُقتَصُّ مِن فلانة؟! والله لا يُقتَصُّ منها، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سُبحان الله يا أُمَّ الرُّبَيِّع! القِصَاصُ كتاب الله**». قالت: لا والله لا يُقتَصُّ منها أبدًا، قال: فما زالت حتَّى قَبِلُوا الدِّيَةَ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

وعلَّقه البخاريُّ في "صحيحه" بصيغة الجزم، والصحيح كما جزم به ابن حزمٍ والنوويُّ والحافظ: أنَّهما قضيَّتان مُختلفتان، خِلافًا لمن ادَّعى أنَّهما قضيَّةٌ واحدةٌ، وذهب يتلمس وجوه الجمع أو التَّرجيح بين الرِّوايتين.

(تنبيه): **الرُّبَيِّع** -بضم الراء وفتح الباء الموحدة، وكسر المثناة التحتية المشددة-: صحابيَّةٌ جليلةٌ، وهي أُمُّ حارثة بن سراقة -صحابيٌّ أيضًا- استشهد في غزوة أُحُد، وأمُّها صحابيَّة، وأخوها أنس بن النَّضر صحابيٌّ جليلٌ رضي الله عنهم أجمعين.

وفي "صحيح مسلم" وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبوابِ لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

والحاكم عنه نحوه بلفظ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تنبو عنه أعين النَّاسِ لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**». إسناده صحيحٌ

وللبزَّار عن ابن مسعودٍ نحوه بلفظ: «**ربَّ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ له لو أَقْسَمَ**

على الله لأبَرَّهُ». وإسناده صحيحٌ.

وفي "أوسط معاجم الطبراني" عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كم مِن ذِي طِمْرَيْنِ لا ثوب له لو أقْسَمَ على الله لأبَرَّهُ منهم عمَّار بن ياسرٍ**».

وروىٰ البيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: عَادَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رَجُلا مِن الأنصارِ فلمَّا دَنَا مِن مَنْزِلِهِ سَمِعَهُ يَتكَلَّمُ في الدَّاخِلِ، فلمَّا دخلَ لم يَرَ أحَدًا، فقال له رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كنتُ تُكَلِّمُ**». قال: يا رسولَ الله ، دَخَلَ عليَّ داخِلٌ ما رأيتُ رَجُلًا قَطُّ بعدك أَكْرَمَ مَجْلِسًا، ولا أحسنَ حديثًا منه، قال: «**ذاك جبريلُ، وإنَّ مِنكُم لرِجَالًا لو أَنَّ أحَدَهُمْ يُقْسِمُ على الله لأبَرَّهُ**».

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه بينما هو ليلةً يَقرأ في مِرْبَدِه إذ جَالت فرسه فقرأ، ثُمَّ جَالت أُخرىٰ فقرأ، ثُمَّ جَالت أيضًا. قال أُسَيد: فخَشِيتُ أن تَطَأَ يَحيىٰ- ابنه- فقمتُ إليها، فإذا هو مِثل الظُلَّة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج، عَرَجَت في الجوِّ حتَّىٰ ما أراها، فغدوتُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلتُ: يا رسول الله بينما أنا البارحةَ مِن جوف اللَّيل أَقرأ في مِرْبَدٍ لي إذ جَالت فرسي، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فقرأتُ، ثُمَّ جَالت فرسي أيضًا، فقال: «**اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فقرأتُ ثُمَّ جَالت أيضًا، فقال: «**اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فانصرفتُ وكان يحيىٰ قريبًا منها فخَشِيت أن تَطَأَه، فرأيتُ مِثل تلك الظلة فيها أمثال السُّرُج عَرَجت في الجوِّ

حتَّىٰ ما أراها، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تلك الملائكة كانت تستمعُ لك، ولو قرأتَ لأصبحَت تراها النَّاسُ ما تَستَتِرُ مِنهم**». وعلَّقه البخاريُّ بصيغة الجزم.

وله طريقٌ آخر عن البراء بن عازبٍ رواه مسلمٌ أيضًا، ووقع في البخاريِّ: أنَّه كان يقرأ سورة البقرة، وجاء في رواية أبي عُبيد في "فضائل القرآن" من طريق أُبيٍّ بن كعب بن مالكٍ قال: وكان أُسَيْدُ حَسَن الصَّوت، وفي رواية الإسماعيليِّ: «**اقرأ أُسَيْدُ، فقد أُوتيتَ مِن مَزَامِير آلِ داود**».

قال النّوويُّ: في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأُمَّة للملائكة.

قال الحافظ: كذا أُطلِق، وهو صحيحٌ، لكن الذي يظهر التَّقييد بالصَّالح مثلًا، والحَسَن الصَّوت، وفيه فضيلةٌ لأُسَيْدِ بن حُضَير، وأنَّ التَّشاغل بشيءٍ مِن أمور الدّنيا ولو كان من المُباح قد يُفوِّت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح، وفيه غير ذلك ممَّا بيَّنه الحافظ.

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء يقول: بينما رجلٌ يَقرأ سُورة الكهف ليلةً إذ رَأَىٰ دابَّته تَركُض -أو قال: فرسه تركض- فنَظَرَ فإذا مِثل الضَّبابة -أو قال: مثل الغَمامَةِ- فذكر ذلك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «**تلك السَّكِينَةُ نَزَلَتْ مع القُرآنِ أو تَنَزَّلَتْ على القُرآنِ**».

ووقع نَظِير هذه القصَّة لثابت بن قَيس بن شَمَّاسٍ.، قال أبو عُبيد في كتاب "فضائل القرآن": حدَّثنا عبَّاد بن عبَّاد، عن جرير بن حازمٍ، عن عمِّه جرير بن يزيد: أنَّ أشياخ أهل المدينة حدَّثوه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قيل له: ألم ترَ ثابت بن قَيس بن شَمَّاس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟

قال: «**فلعلَّه قرأ سورة البقرة**». قال: فسُئل ثابت، فقال: قرأت سورة البقرة.

وروىٰ عبدالرزاق، عن مَعمرٍ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ: أنَّ أُسَيْد بن حُضَير ورجلًا من الأنصار تحدَّثا عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتَّىٰ ذهب من اللَّيل ساعةٌ في ليلةٍ شديدة الظُّلمة، ثُمَّ خَرَجا وبيد كُلٍّ منهما عصاةٌ، فأضاءت عصا أحدهما حتَّىٰ مَشَيا في ضَوْئها، حتَّىٰ إذا افترقت بهما الطَّريق أضاءت عصا الآخر؛ فمشىٰ كُلٌّ منهما في ضَوْء عصاه حتَّىٰ بلغ أهلَهُ.

وفي "المسند"، و"المستدرك" من طريق حمَّاد بن سلمة عن ثابتٍ، عن أنسٍ: أنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيرٍ، وعَبَّادَ بن بِشْرٍ كانا عند النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، فلمَّا خَرَجا أضاءت عصا أحدهما؛ فمشيا في ضَوْئِهَا، فلمَّا افترقت بهما الطَّريق أضاءت عصا الآخر.

والحديث في "صحيح البخاريِّ". وفيه كرامتان لهذين الصَّحابيين رضي الله عنهما.

وقال البخاريُّ في "التَّاريخ": حدَّثني أحمد بن الحجَّاج، ثنا سفيان بن حمزة، عن كَثِير بن زَيدٍ -هو الأسلميُّ- عن محمَّد بن حمزة الأسلميِّ، عن أبيه قال: كنَّا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ ظَلْمَاءَ دُحْمُسَةٍ، فأضاءت أصابعي حتَّىٰ جمعوا عليها ظَهْرَهَم وما هلك منهم، وإنَّ أصابعي لَتُنِيرُ.

ورواه أبو نعيمٍ في "الدلائل" من طريق إبراهيم بن المنذر: ثنا سفيان بن حمزة به، وزاد: أنَّهم كانوا في سَفَرٍ. وحمزة: هو ابن عمر بن عويمر الأسلميُّ المدنيُّ يُكنىٰ: أبا صالحٍ، صحابيٌّ.

وأخرج أبو نعيمٍ في "الدلائل": عن زيد بن أبي عيسىٰ: أنَّ أبا عيسىٰ كان يُصلِّي مع رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الله الصَّلوات، ثُمَّ يرجع إلىٰ بني

حارثة، فخرج ليلةً مَطَرِيَّةً مُظلِمةً؛ فنوَّرت له عصاه حتَّىٰ دخل دار بني حارثة.

قلتُ: كذا في "الدلائل": أبو عيسىٰ وهو تصحيفٌ، والصَّواب أبو عبس، وهو ابن جبر بن عمرو الأنصاريُّ الحارثيُّ، اسمه: عبدالرحمن شَهِد بدرًا وما بعدها، وكان فيمن قَتَلوا كعب بن الأشرف.

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا من طريق جعفر بن محمَّد، عن أبيه قال: عرض لعليٍّ -كرّم الله وجهه- رجلان في حكومة، فجلس في أصل جدارٍ، فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين الجدار يقع، فقال عليٌّ رضي الله عنه: امضِ كفىٰ بالله حارسًا، فقضىٰ بينهما وقام، ثُمَّ سَقَط الجدار.

وأخرج أيضًا عن عمّار بن ياسرٍ رضي الله عنهما قال: حدَّث عليٌّ عليه السَّلام رجلًا بحديث، فكذَّبه فما قام حتَّىٰ عَمِيَ.

وأخرج البخاريُّ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سَرِيّةً عَينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابتٍ الأنصاريَّ فانطلقوا حتَّىٰ إذا كانوا بالهَدَأة -موضعٌ بين عُسْفَان ومكّة- ذكروا لحيٍّ من هُذَيل -يقال لهم: بنو لَحيَان- فنفروا إليهم قريبًا من مائتي رجلٍ كلهم رَامٍ، فاقتصُّوا آثارهم، فلمّا رآهم عاصمٌ وأصحابه لجئوا إلىٰ فَدْفَدٍ، وأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، قال عاصم بن ثابتٍ -أمير السَّرِيَّة-: أمَّا أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذِمَّة كافرٍ، اللهمَّ أخبر عنَّا نبيَّك، فرموهم بالنَّبل، فقتلوا عاصمًا في سبعةٍ؛ فنزل إليهم ثلاثة رَهْطٍ بالعهد والميثاق منهم خُبَيبٌ الأنصاريُّ وابن دَثِنَة، ورجلٌ آخر، فلمّا استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث

-وهو عبدالله بن طارق كما في رواية ابن إسحاق-: هذا أوّل الغَدْرِ، والله لا أصحبكم إنَّ في هؤلاء لأُسوةً -يريد القتلىٰ- فجرَّرُوه وعالجوه علىٰ أن يصحبهم فأبىٰ؛ فقتلوه.

فانطلقوا بخُبَيبٍ وابن دَثِنَة حتَّىٰ باعوهما بمكّة بعد وقعة بدر، فابتاع خُبَيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خُبَيبٌ هو قَتَل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خُبَيبٌ عندهم أسيرًا، فأخبرني عُبيد الله بن عِياضٍ: أنَّ بنت الحارث أخبرته: أنَّهم حين اجتمعوا استعار منها مُوسىٰ يستحدُّ بها فأعارته، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حين أتاه. قالت: فوجدته مُجلِسَه علىٰ فخذه والموسىٰ بيده، ففزعت فزعةً عرفها خُبَيبٌ في وجهي، فقال: تَخْشِين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيرًا قَطُّ خيرًا من خُبَيبٍ، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قِطْفِ عِنَبٍ في يده، وإنَّه لَمُوثَقٌ في الحديد وما بمكَّة من ثَمرٍ، وكانت تقول: إنَّه لرزق من الله رزقه خُبَيبًا، فلمَّا خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحلِّ، قال لهم خُبَيبٌ: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثُمَّ قال: لو لا أن تظنّوا أن ما بي جَزَعٌ لطَوَّلتها، اللهمَّ أحصهم عَدَدًا.

ولستُ أُبَالي حِينَ أُقتَلُ مُسْلِمًا ... علىٰ أيِّ شِقٍّ كانَ لله مَصْرَعِي

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأ ... يُبَارك علىٰ أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فقتله ابن الحارث، فكان خُبَيبٌ هو سَنَّ الرَّكعتين لكلِّ امرئٍ مسلمٍ قُتِل صَبرًا، فاستجاب الله لعاصم بن ثابتٍ يوم أصيب، فأخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أصحابه خبرهم وما أُصيبوا، وبعث ناسٌ من كفَّار قريشٍ إلىٰ عاصم -حين حُدِّثوا أنَّه قُتل- ليُؤْتَوا بشيءٍ منه يُعرَف، وكان قد قَتَل رجلًا من

عُظمائهم يوم بدرٍ؛ فبُعث علىٰ عاصم مثل الظُّـلَّة من الدَّبْر فحمته من رسولهم، فلم يقدروا علىٰ أن يقطع من لحمه شيئًا».

وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر، عن قتادة قال: كان عاصم بن ثابت أَعطىٰ الله عهدًا أن لا يمسه مُشركٌ وأن لا يمس مُشركًا أبدًا، فكان عمر رضي الله عنه يقول لما بلغه خبره: يحفظ الله العبدالمؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته.

وقد أرادت هُذَيل أخذ رأس عاصمٍ ليبيعوه من سُلافة بنت سعيد بن شهيد، وكانت نذرت لئن قَدَرت علىٰ رأس عاصمٍ لتشربنَّ في قَحْفِه الخمر؛ لأَنَّه قتل ابنين لها يوم أحد، فحماه الله منهم بالدَّبْرِ كما حماه من قريشٍ الذين طلبوه أيضًا؛ لأَنَّه قتل منهم يوم بدرٍ عُقبة بن أبي معيطٍ صبرًا بأمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وكان عاصمٌ قد دعا قُبيل استشهاده بقوله: «اللهم إنِّي أحمي لك اليوم دينك فاحم لي لحمي».

وفي هذا الحديث: دليلٌ علىٰ أنَّ الله يُكرم أولياءه أحياءًا وأمواتًا، وقول خُبَيبٍ: «اللَّهُمَّ أَحصِهِم عَدَدًا»، زاد عليه في رواية أخرىٰ: «واقتُلهُم بَدَدًا -أي متفرِّقين- ولا تُبقِ مِنهُم أَحَدًا».

وفي رواية أُخرىٰ: فقال خُبَيْبٌ: «اللهمَّ إنِّي لا أجدُ من يبلِّغ رسولك منِّي السّلام، فبلّغهُ فلمّا رفع علىٰ الخشبة استقبل الدّعاء، فلَبِدَ رجلٌ بالأرض خوفًا من دعائه، فقال: «اللَّهُمَّ أَحصِهِم عَدَدًا واقتلهم بَدَدًا»، فلم يَحُل الحَول ومنهم أحدٌ حيٌّ غير ذلك الرجل الذي لَبِد بالأرض.

وروىٰ ابن إسحاق عن معاوية بن أبي سفيان قال: كنت مع أبي فجعل يلقيني إلىٰ الأرض حين سمع دعوة خُبَيْبٍ، وفي رواية أُخرىٰ: «فجاء جبريل

إلىٰ النَّبِيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبَرَهُ، فأخبَرَ أصحابه بذلك».

وعند موسىٰ بن عقبة: فزعموا أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك اليوم وهو جالسٌ: «**وعليك السَّلام يا خُبَيْبُ، قَتَلَتهُ قريشٌ**».

لخَّصتُ هذه الروايات من "فتح الباري".

وفي هذه القِصَّة عِدَّة كرامات لخُبَيْبٍ رضي الله عنه: استجابة دعائه فيمن قتلوه، وتبليغ سلامه إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ووجود العنب عنده في غير أوانه مع كونه مُوثَقًا في الحديد حتَّىٰ كانت بنت الحارث تَحلِف أنَّه رِزقٌ رَزَقَهُ الله خُبَيْبًا.

قال ابن بطَّال: «هذا يمكن أن يكون الله جعله آية علىٰ الكفَّار، وبُرهانًا لنبيِّه لتصحيح رسالته، فأمَّا من يدَّعي وقوع ذلك له اليوم بين ظهراني المسلمين فلا وجه له؛ إذ المسلمون قد دخلوا في الدِّين، وأيقنوا بالنُّبوَّة، فأي معنىٰ لإظهار الآية عندهم؟ ولو لم يكن في تجويز ذلك إلَّا أن يقول جاهلٌ: إذا جاز ظهور هذه الآيات علىٰ يد غير نبيٍّ، فكيف نُصدِّقها من نبيٍّ؟ والفرض أنَّ غيره يأتي بها، لكان في إنكار ذلك قطعًا للذريعة».

إلىٰ أن قال: «إلَّا أن يكون وقوع ذلك ممّا لا يخرق عادةً، ولا يقلب عينًا، مثل أن يكرم الله عبدًا بإجابة دعوة في الحين، ونحو ذلك ممَّا يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الوليِّ، ومِن ذلك حماية الله تعالىٰ عاصمًا لئلَّا ينتهك عدوُّه حرمته».اهـ

قال الحافظ: «والحاصل أنَّ ابن بطَّال توسَّط بين مَن يُثبت الكرامات ومَن ينفيها، فجعل الذي يثبت: ما قد تجري به العادة لآحاد النَّاس أحيانًا، والممتنع:

ما يقلب الأعيان مثلًا، والمشهور عن أهل السُّنَّة إثبات الكرامات مُطلقًا، لكن استثنىٰ بعض المحقِّقين منهم -كأبي القاسم القشيريِّ- ما وقع به التَّحدِّي لبعض الأنبياء فقال: ولا يصلون إلىٰ مثل إيجاد ولدٍ من غير أبٍ ونحو ذلك، وهذا أعدل المذاهب في ذلك؛ فإنَّ إجابة الدَّعوة في الحال، وتكثير الطعام والماء، والمكاشفة بما يغيب عن العين، والإخبار بما سيأتي، ونحو ذلك قد كَثُر جدًّا حتىٰ صار وقوع ذلك ممَّن يُنسب إلىٰ الصّلاح كالعادة؛ فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيريُّ، وتعيَّن تقييد قول من أطلق أنَّ كلَّ معجزةٍ وُجدت لنبيٍّ يجوز أن تقع لوليٍّ».اهـ

واختار التَّاج السُّبكيُّ أيضًا هذا القول في "جمع الجوامع" فقال: «وكرامات الأولياء حقٌّ، قال القشيريُّ: ولا ينتهون إلىٰ نحو وَلَدٍ دون والدٍ».اهـ

لكن ذكر الزركشيُّ في "شرحه": «أنَّ ما قاله القشيريُّ مذهبٌ ضعيفٌ، والجمهور علىٰ خلافه».اهـ

نعم من المعجزات ما قام الدّليل القاطع علىٰ أنَّ أحدًا لا يأتي بمثله كالقرآن، فلا خلاف في هذا بين أحدٍ من النَّاس، والله أعلم.

ومن الروايات المتعلّقة بقصّة خُبَيبٍ: ما ذكره ابن أبي شيبة قال: ثنا جعفر بن عونٍ، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن الزهريِّ، عن جعفر بن عمرو بن أُميَّة، عن أبيه: «أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعثه وحده عَينًا علىٰ قريشٍ، قال: فجئتُ إلىٰ خَشَبة خُبَيبٍ، وأنا أَتخوَّف العين فرقيتُ فيها فأطلقتُ خُبَيبًا، فوقع علىٰ الأرض فانتبذتُ غير بعيدٍ، ثُمَّ التفت فلم أرَ خُبَيبًا، كأنَّما ابتلعته

الأرض، فما رؤي إلىٰ السَّاعة».

قال ابن أبي شيبة: «وقد كان جعفر بن عونٍ قال: عن جعفر بن عمرو بن أُميَّة، عن أبيه، عن جدِّه».

قلت: روايته الأولىٰ عن الزهريِّ أصحُّ، وهذه كرامةٌ أُخرىٰ لخُبَيبٍ سُمِّيَ من أجلها بَلِيع الأرض، كما نقله أبو يوسف في كتاب "اللَّطائف"عن الضَّحَّاك.

وذكر القيروانيُّ في "حلىٰ العلىٰ": «أنَّ خُبَيبًا لما قتلوه جعلوا وجهه إلىٰ غير القبلة فوجدوه مُستقبل القبلة، فأداروه مِرارًا ثُمَّ عجزوا فتركوه، كذا في "الإصابة" للحافظ.

وأخرج الشَّيخان: عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: «جاء أبو بكرٍ رضي الله عنه بضيفٍ له -أو بأضيافٍ له- فأمسىٰ عند النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا جاء قالت له أمِّي: احتبستَ عن ضيفك -أو عن أضيافك- اللَّيلة، قال: ما عَشَّيْتِهم؟ فقالت: عرضنا عليه -أو عليهم- فأبىٰ -أو فأبوا- فغضب أبو بكرٍ رضي الله عنه فسَبَّ وجَدَّع وحَلَف لا يَطعَمُه، فاختبأتُ أنا، فقال: يا غُنْثَرُ، فحَلَفتْ المرأة لا تطعمه حتَّىٰ يطعمه، فحَلَف الضيف -أو الأضياف- أن لا يطعمه -أو يطعموه- حتَّىٰ يطعمه، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: كأنَّ هذه من الشَّيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا؛ فجعلوا لا يرفعون لُقمةً إلَّا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ فقالت: وقُرَّةِ عيني إنَّها الآن لأكثر قبل أن نأكل، فأكلوا وبعث بها إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فذكر أنَّه أكل منها».

وفي هذا الحديث: تكثير الطعام القليل إكرامًا للصِّدِّيق رضي الله عنه،

وجبرًا لما حصل له من الغضب أولًا، كما قال الحافظ.

وفي "الموطأ" بإسنادٍ صحيحٍ علىٰ شرط الشَّيخين: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه استرجع عند وفاته أرضًا كان وهبها لعائشة رضي الله عنها، وقال -يُطَيِّبُ قَلبَها-: «إنَّما هما أَخَوَاكِ وأُختاك»، أي: لم أسترجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم أخواك وأختاك، قالت لأبيها رضي الله عنهما: «إنَّما هي أسماءُ فمن الأُخرىٰ؟» أي: ليس لي أخت غير أسماء، فأين الأخت الثانية؟ فأجابها الصِّدِّيق رضي الله عنه: «ذُو بَطْنِ بِنتِ خَارِجَةَ» -هي امرأته، وكانت حاملًا- «أُرَاهَا جَارِيَةً» قالت عائشة: فولدت بعد وفاته بنتًا.

وفي "صحيح البخاريِّ" من طريق هشام بن عروة، عن أبيه قال: «لَمَّا قُتِلَ الذين ببِئرِ مَعُونَةَ وأُسِرَ عَمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ قال له عامر بن الطُّفَيْلِ: من هذا؟ وأَشَارَ إلىٰ قَتِيلٍ، فقال له عَمرو بن أُمَيَّةَ: هذا عامر بن فُهَيْرَةَ، فقال: لقد رأيتُهُ بعد ما قُتِلَ رُفِعَ إلىٰ السَّماء حتَّىٰ إنِّي لأنظُرُ إلىٰ السَّماء بينه وبين الأرض، ثُمَّ وُضِعَ فأتىٰ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خَبَرُهُم، فنعاهم فقال: **«إنَّ أصحابكم قد أُصِيبُوا...»** الحديث.

وروىٰ ابن المبارك وعبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن عروة قال: «طُلِب عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ يومئذٍ في القَتْلَىٰ فلم يُوجد، قال عروة: فيرون أنَّ الملائكة دفنته أو رفعته».

قلت: عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ التَّميميُّ: مَولىٰ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه من السَّابقين إلىٰ الإسلام، ومِن الذين عُذِّبوا في الله، وخَرَج في الهجرة مع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكرٍ كما في الصّحيح، واستشهد ببئر مَعُونة، فلا

غَرْوَ أن يُكرمه الله بهذه الكرامة العظيمة رضي الله عنه وأرضاه.

وأخرج البيهقيُّ في "الدلائل"، واللَّالَكَائيُّ في "شرح السُّنَّة"، وابن الأعرابيِّ في "كرامات الأولياء"، والدير عاقولي في "فوائده" من طريق ابن وهبٍ، عن يحيىٰ بن أيوب، عن ابن عَجَلان، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: «وجَّه عمر رضي الله عنه جيشًا ورَأَسَ عليهم رجلًا يُدعىٰ سَارية بن زنيم، فبينا عُمر يخطب جعل ينادي: يا سارية، الجَبَلَ -ثلاثًا- ثُمَّ قَدِم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا يُنادي: يا سارية، الجَبَلَ -ثلاثًا- فأسندنا ظهرنا إلىٰ الجَبلِ، فهزمهم الله تعالىٰ»، قال: قيل لعمر رضي الله عنه: إنَّك كنتَ تصيح بذلك، وكذا ذكره حَرْمَلة في جمعه لحديث ابن وهبٍ. قال الحافظ: «وهو إسنادٌ حسنٌ».

وفي رواية ابن مَرْدُويَه من طريق ميمون بن مهران، عن ابن عمر، عن أبيه: «أنَّه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: يا سَارية، الجبلَ، من استرعىٰ الذِّئب ظُلِم، فالتفت النَّاس بعضهم إلىٰ بعضٍ، فقال لهم عليٌّ: ليخرجنَّ ممَّا قال، فلمَّا فرغ سألوه، فقال: وقع في خلدي أنَّ المشركين هزموا إخواننا، وأنَّهم يمرون بجبلٍ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجهٍ واحد، وإن جاوزوا هلكوا، فخرج ما تزعمون أنَّكم سمعتموه، قال: فجاء البشير بعد شهرٍ، فذكر أنَّهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال: فعدلنا إلىٰ الجبلِ ففَتح الله علينا».

ولأبي نعيم من طريق قتيبة بن سعيد: ثنا اللَّيث بن سعد، عن عمرو بن الحرث قال: «بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ المِنبَر يخطب يوم الجمعة إذ

ترك الخطبة، فقال: يا سارية الجبَلَ مرتين -أو ثلاثًا- ثُمَّ أقبل علىٰ خطبته، فقال: أولئك النّظراء -من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم-: لقد جُنَّ، إنَّه لمجنون، هو في خطبته إذ قال: يا سارية الجبل!، فدخل عبدالرحمن بن عوف -وكان يطمئن إليه- فقال: أشد ما أَلوَمَهُم عليك، إنك تجعل علىٰ نفسك لهم مقالًا، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح: يا سارية الجبل، أي شيء هذا؟! قال: إني والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل.

فلبثوا إلىٰ أن جاء رسول سارية بكتابه: أن القوم لحقونا يوم الجمعة، فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلىٰ حين حضرت الجمعة، ودار حاجب الشمس، فسمعنا مناديًا ينادي: يا سارية الجبل مرَّتين، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدوِّنا حتَّىٰ هزمهم الله وقتلهم. فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل، فإنَّه مصنوعٌ له».

وللقصّة طُرقٌ أُخرىٰ جاء فيها: أنَّ سارية كان بنهاوند من بلاد فارس، وقد صحَّحها ابن تيمية، وفيها كرامة لعمر وسارية ومن كان معه ممَّن سمع الصَّوت.

وكرامات سيِّدنا عمر رضي الله عنه يقول عنها التَّاج السُّبكي في "مُعِيد النِّعم ومُبيد النِّقم": «إنَّها أكثر من أن تُحصر».اهـ

وأخرج البخاريُّ في "الصّحيح" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «لمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَاني أبي من اللَّيل فقال: ما أُرَاني إلَّا مَقتُولًا في أَوَّل مَن يُقتَلُ مِن أصحاب النَّبِيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنِّي لا أَترُكُ بعدي أَعَزَّ عليَّ منك غير نفسِ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّ عليَّ دَيْنًا فاقضِ،

واستوصِ بأخواتك خيرًا، فأصبحنا فكان أَوَّل قتيلٍ، ودُفِنَ معه آخر في قبرٍ، ثُمَّ لم تَطِبْ نفسي أن أترُكَه مع الآخر فاستخرجتُهُ بعد ستَّة أشهرٍ، فإذا هو كيوم وضعتُهُ غير هُنَيَّةً في أُذُنه».

في هذا الحديث: قُوَّة إيمان والد جابر لاستثنائه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ممَّن جعل ولده أعز عليه منهم، وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها، والظَّاهر أنَّ ذلك لمكان الشَّهادة. قاله الحافظ.

وإنَّما أخبر والد جابربأنَّه مقتولٌ يوم أُحد؛ لأَنَّه رأى في المنام مبشر بن عبدالمنذر -وكان ممَّن استشهد ببدر- يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام، فقصّها على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هذه الشَّهادة**». رواه الحاكم في "المستدرك" عن الواقديِّ.

وقول جابرٍ رضي الله عنه: «غَيْرَ هُنَيَّةً فِي أُذُنِهِ»، هُنيَّة -بضم الهاء- تصغير هنة، والمراد: أنَّ أذنه أصابها شيءٌ يسيرٌ؛ لأنها كانت مما يلي الأرض كما جاء في روايةٍ أخرى.

قال الحافظ: «ولا يُعكِّر على ذلك ما رواه الطَّبرانيُّ بإسنادٍ صحيح عن محمَّد بن المنكدر عن جابرٍ رضي الله عنه: «أنَّ أباه قُتِلَ يوم أُحُدٍ ثُمَّ مَثَّلُوا به فجَدَعُوا أَنْفه وأُذُنَيه...» الحديث، وأصله في مسلمٍ؛ لأَنَّه محمولٌ على أنَّهم قَطَعوا بعض أُذَنيه لا جميعها».اهـ

(تنبيه): روى مالكٌ في "الموطَّأ" عن عبدالرحمن بن أبي صَعْصَعة أنَّه بلغه: «أنَّ عَمرو بن الجَمُوحِ، وعبدالله بن عَمرٍو -والد جابر- الأنصاريَّين، وكانا قد

حَفَرَ السَّيْلُ قبرهما -وكانا في قبرٍ واحدٍ- فحُفِرَ عنهما لِيُغَيَّرا من مكانهما، فوُجِدَا لم يَتَغَيَّرَا كأنَّهما ماتا بالأمس، وكان بين أُحُدٍ وبين يوم حُفِرَ عنهما سِتٌّ وأربعون سَنَةً». فهذا الحديث يُخالف حديث جابرٍ المذكور، وقد جمع بينهما ابن عبدالبر بتعدُّد القصّة.

قال الحافظ: وفيه نظر؛ لأنَّ الذي في حديث جابرٍ: «أنَّه دَفَنَ أباه في قبره وحده بعد ستة أشهرٍ»، وفي حديث "الموطَّأ": «أنَّهما وُجِدا في قبرٍ واحدٍ بعد سِتَّةٍ وأربعين سنةً»، قال: فإمَّا أن المراد بكونهما في قبرٍ واحدٍ قرب المجاورة، أو أن السَّيل خرق أحد القبرين فصارا كقبرٍ واحدٍ.

وقد ذكر ابن إسحاق القصّة في "المغازي" فقال: «حدَّثني أبي، عن أشياخٍ من الأنصار قالوا: لَمَّا ضرب معاوية عينه التي مرَّت على قبور الشُّهداء انفجرت العين عليهم، فجِئنا فأخرجناهما -يعني عمرو وعبدالله- وعليهما بردتان قد غُطِّي بهما وجوههما، وعلى أقدامهما شيءٌ من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنَّيان تثنيًا كأنَّهما دُفنا بالأمس، وله شاهدٌ بإسنادٍ صحيحٍ عند ابن سعد من طريق أبي الزُّبير عن جابرٍ».اهـ

ولأبي نعيم في "الدلائل" من طريق عبدالواحد بن غِياثٍ: ثنا حمَّاد بن سلمة قال: سمعتُ عمرو بن دينار، وأبا الزُّبير يقولان: «إنَّ المسحَاة أصابت قَدَم حمزة فدَميت بعد أربعين سنةً».

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا من طريق ضَمْرة، عن مرزوق: أنَّ نارًا خرجت على عهد عمر رضي الله عنه فجعل تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غارًا، فقال له عمر رضي الله عنه: «لمثل هذا كنا نَختَبِئُكَ يا أبا رُقيَّة».

وأخرج هو والبغويُّ من طريق الجريريِّ: عن أبي العلاء، عن مُعاوية بن حرمل قال: «قَدِمتُ علىٰ عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، تائبٌ من قبل أن يُقدر عليَّ، قال: من أنت؟ قلت: معاوية بن حرمل -خَتَن مُسيلمة- قال: اذهب فانزل علىٰ خير أهل المدينة، قال: فنزلت علىٰ تميم الدَّاري، فبينا نحن نتحدَّث إذ خرجت نارٌ بالحرَّة، فجاء عمر إلىٰ تميم، فقال: يا أمير المؤمنين، مَن أنا وما أنا؟ فصغر نفسه فلم يزل به حتىٰ قام معه، قال: وتبعتهما، فانطلقا إلىٰ النَّار، فجعل يحوشها بيده -هكذا- حتىٰ أدخلها الباب الذي خرجت منه، ثُمَّ اقتحم خلفها، ثُمَّ خرج فلم تضره، وجعل يقول: ليس من رأىٰ كمن لم يرَ».

قال الحافظ: «في هذه القصّة كرامةٌ واضحةٌ لتميمٍ، وتعظيمٌ كثيرٌ من عُمَر له».اهـ

وثبت في "الصّحيحين" وغيرهما، واللَّفظ لمسلمٍ عن عُروة بن الزُّبير: أنَّ سعيد بن زيد خاصمته أروىٰ بنت أوسٍ إلىٰ مروان، وادَّعت عليه أنَّه أخذ منها شيئًا من أرضها فقال سعيدٌ: أنا آخُذُ مِن أرضها بعد أن سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من أخذ شِبرًا من أرضٍ ظُلمًا طوِّقَهُ إلى سبع أرَضِين**»؟ فقال مروان: لا أسألك بَيِّنَةً بعد هذا، فقال سعيد: اللَّهمَّ إن كانت كاذبةً فأعمِ بَصَرَها، واقتُلْها في أرضها، فما ماتت حتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُها، وبينا هي تَمشِي في أرضها إذ وَقَعَتْ في حُفرَةٍ فماتت، وفي رواية لمسلمٍ أيضًا أنَّ أروىٰ قالت: أصابتني دعوة سعيد.

ولهذه القصّة طرقٌ عن ابن عمر، وأبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم، وغيرهما، أوردها الحافظ بن عبدالبر في "الاستيعاب" وممَّا جاء فيها: «أنَّ أهل المدينة كان يدعو بعضهم علىٰ بعض يقولون: أعماك الله كما أعمىٰ أروىٰ -

يريدونها- ثُمَّ صار أهل الجهل يقولون: أعماك الله كما أعمىٰ الأروىٰ، يريدون الأروىٰ التي في الجبل -يظنُّونها- ويقولون: إنَّها عمياء، وهذا جهلٌ منهم.

وذكر القصَّة أيضًا الدميريُ في مبحث الأروية من "حياة الحيوان".

وذكر ابن عبدالبر والنوويُّ وغيرهما: أنَّ سيِّدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه كان مُجاب الدَّعوة، وكان سعد بن أبي وقّاص مجاب الدّعوة أيضًا، تُخاف دعوته وتُرجىٰ لاشتهارها بالإجابة، وله في ذلك حوادث كثيرةٌ.

وقصّته مع الرجل الذي كَذَب عليه مشهورةٌ في "صحيح البخاريِّ" وغيره، وحاصلها: علىٰ ما جاء في رواية عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: «شَكَا أهل الكوفة سعدًا إلىٰ عُمر رضي الله عنهما؛ فعزله واستعمل عليهم عَمَّارًا رضي الله عنه فشكوا، حتَّىٰ ذكروا أنَّه لا يُحسِنُ يُصَلِّي؛ فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّك لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قال أبو إسحاق أمَّا أنا والله فإنِّي كنتُ أُصَلِّي بهم صلاة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما أَخْرِمُ عنها، أُصَلِّي صلاة العِشَاءِ فأركُدُ في الأُولَيَينِ، وأُخِفُّ في الأُخْرَيَينِ، قال عمر رضي الله عنه: ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسَلَ معه رجلًا أو رجالًا إلىٰ الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يَدَعْ مسجدًا إلَّا سَأَلَ عنه ويُثْنُون عليه مَعرُوفًا، حتَّىٰ دَخَلَ مسجدًا لبني عَبْسٍ، فقام رجلٌ مِنهم - يُقال له: أسامة بن قتادة يُكنَىٰ أبا سَعْدَةَ- قال: إذ نَشَدْتَنا فإنَّ سَعدًا كان لا يَسِير بالسَّرِيَّة -أي لا يسير مع الجيش للقتال- ولا يَقسِمُ بالسَّوِيَّة، ولا يَعدِلُ في القَضِيَّة، قال سَعدٌ: أما والله لأدعُوَنَّ بثلاثٍ: اللهمَّ إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رِيَاءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فَقرَهُ، وعَرِّضْهُ للفِتَن، قال: فكان بعد

ذلك إذا سُئِلَ يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوة سعدٍ.

قال عبدالملِكِ: فأنا رأيته بعد، قد سَقَطَ حَاجِبَاه علىٰ عينيه مِن الكِبَرِ، وإِنَّه ليتعرَّضُ للجواري في الطُّرُق يَغمِزُهُنَّ»، ولهذا القصّة ألفاظٌ وطُرُقٌ.

قال العلَّامة الزَّين بن المنير: «في الدّعوات الثلاثة مناسبةٌ للحال، أمَّا طول عمره: فليراه من سمع بأمره فيعلم كرامة سعد، وأمَّا طول فقره: فلنقيض مطلوبه؛ لأنَّ حاله يُشعر لأنَّه طلب أمر دنيويًا، وأمَّا تعرُّضه للفتن: فلكونه قام فيها ورضيها دون أهل بلده».اهـ

قال الحافظ: «ومِن أعجب العجب أنَّ سعدًا مع كون هذا الرجل واجهه بهذا، وأغضبه حتَّىٰ دعا عليه في حال غضبه، راعىٰ العدل والإنصاف في الدّعاء عليه؛ إذ علَّقه بشرط أن يكون كاذبًا، وأن يكون الحامل له علىٰ ذلك الغرض الدنيويِّ».اهـ

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن مُطَرِّف قال: قال لي عِمرَانُ بن حُصَينٍ رضي الله عنه: «قد كان يُسَلَّمُ عليَّ حتَّىٰ اكتويتُ فتُرِكتُ ثُمَّ تَرَكتُ الكَيَّ فعاد».

وأخرج أيضًا من طريقٍ آخر عن مُطَرِّفٍ قال: «بعث إليَّ عِمرانُ بن حُصَينٍ في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه فقال: إنِّي مُحَدِّثك فإن عِشتُ فاكتُم عَنِّي، وإِن مُتُّ فحدِّث بها إن شِئتَ: إنَّه قد سُلِّمَ عليَّ».

قال النوويُّ في "شرح مسلم": «معنىٰ الحديث الأول: أنَّ سيِّدنا عِمرانَ بن حُصَينٍ رضي الله عنه كانت به بواسير، فكان يصبر علىٰ ألمها، وكانت الملائكة تُسَلِّمُ عليه، واكتوىٰ فانقطع سلامهم عليه، ثُمَّ ترك الكيَّ فعاد سلامهم عليه.

قال: قوله في الحديث الثاني: فإن عِشت فاكتم عنِّي، أراد به الإخبار

بالسّلام عليه؛ لأنَّه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته؛ لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت». اهـ

وقال القرطبيُّ في "شرح مُسلمٍ": «يعني أنَّ الملائكة كانت تُسَلِّم عليه إكرامًا واحترامًا إلىٰ أن اكتوىٰ؛ فتركت السّلام عليه، ففيه إثبات كرامات الأولياء». اهـ

وأخرج الحاكم في "المستدرك" وصحَّحه عن مُطَرِّف بن عبدالله، عن عِمران بن حُصَينٍ قال: «اعلم يا مُطرِّف، أنه كانت تُسَلِّم الملائكة عليَّ عند رأسي، وعند البيت، وعند باب الحجر، فلما اكتويتُ ذهب ذاك، قال: فلمَّا برئ كلَّمه، قال: اعلم يا مُطَرِّف أنَّه عاد الذي كنت أخبرتك به، اكتم عليَّ حتَّىٰ أموت».

قال البيهقيُّ في "شعب الإيمان": «لو كان النَّهي عن الكيِّ علىٰ طريق التَّحريم، لم يكتوِ مع علمه بالنَّهي، غير أنَّه رَكِب المكروه؛ ففارقه مَلَكٌ كان يُسَلِّم عليه؛ فحزن علىٰ ذلك وقال هذا القول، ثُمَّ قد رُوىٰ: أنَّه قد عاد إليه قبل موته». اهـ

وقال ابن الأثير في "النهاية": «يعني أنَّ الملائكة كانت تُسَلِّم عليه، فلما اكتوىٰ -بسبب مرضه- تركوا السَّلام عليه؛ لأنَّ الكيَّ يقدح في التوكّل والتّسليم إلىٰ الله، والصّبر علىٰ ما يُبتلىٰ به العبد، وطلب الشِّفاء من عنده، وليس ذلك قادحًا في جواز الكيِّ، ولكنَّه قادحٌ في التّوكل وهي درجةٌ عاليةٌ وراء مباشرة الأسباب». اهـ

وأخرج الترمذيُّ في "التاريخ"، وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ في "دلائل النُّبوَّة" عن غزالة قالت: «كان عِمران بن حُصَينٍ يأمرنا أن نكنس الدّار، ونسمع السَّلام عليكم، ولا نرىٰ أحدًا». قال الترمذيُّ: هذا تسليم الملائكة.

وأخرج ابن سعدٍ في "الطَّبقات" عن قتادة: «أنَّ الملائكة كانت تُصافح

عِمران بن حُصَين حتَّىٰ اكتوىٰ فتنحَّت عنه».

وأخرج أبو نعيمٍ في "دلائل النُّبوَّة" عن يحيىٰ بن سعيد القطّان -أحد الحفاظ الأئمة- قال: «ما قَدِم علينا البصرة من الصّحابة أفضل من عِمران بن حُصَين، أتت عليه ثلاثون سنة تُسلِّم عليه الملائكة من جوانب بيته».

وقال الحافظ ابن عبدالبر في "الاستيعاب": «كان عِمران بن حُصَينٍ رضي الله عنه مِن فُضلاء الصَّحابة وفقهائهم، يقول عنه أهل البصرة: أنَّه كان يرىٰ الحَفَظة، وكانت تُكلِّمه حتَّىٰ اكتوىٰ».اهـ

وعاد إليه ذلك كما تقدَّم، وكان مُجاب الدّعوة أيضًا كما قال النوويُّ والحافظ، وفي هذه القصَّة دليلٌ علىٰ أنَّ الله قد يُكرم بعض أوليائه بتسليم الملائكة عليه، ومُصافحتهم له، ورؤيته إياهم.

وأخرج الطَّبرانيُّ وعنه أبو نعيمٍ من طريق أبي هريرة قال: «لَمَّا بَعَثَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العلاء بن الحَضْرَمِيِّ إلىٰ البحرين تَبِعته، فرأيت منه خِصَالًا لا أدري أَيَّتُهنَّ أَعجَبُ، انتهينا إلىٰ شاطئ البحر فقال: سَمُّوا الله واقتَحِمُوا، فسَمَّينا واقتَحَمْنا، فما بَلَّ الماءُ إلَّا أسَافِلَ خِفَافِ إبلنا، فلمَّا قفلنا صِرنا معه بفلاةٍ من الأرض وليس معنا ماءٌ، فشكونا إليه، فصَلَّىٰ ركعتين ثُمَّ دعا، فإذا سَحَابَةٌ مثل التُّرْسِ، ثُمَّ أَرخَت عَزَالِيَهَا فسَقَيْنَا واسْتَقَيْنَا، ومات فدفنَّاه في الرَّملِ، فلمَّا سِرنا غير بعيدٍ قلنا: يَجِيئ سَبُعٌ فيأكله، فرجعنا فلم نَرَهُ».

وفي رواية ابن سعدٍ عنه: «رأيته قطع البحر علىٰ فرسه، وهذه القصّة مشهورةٌ».

قال الحافظ بن عبدالبر: «كان يُقال: إنَّ العلاء بن الحضرميِّ رضي الله عنه

كان مُجاب الدّعوة، وأنَّه خاض البحر بكلماتٍ قالها ودعا بها، وذلك مشهورٌ عنه».اهـ، ونحوه للحافظ في "الإصابة".

وقول أبي هريرة: «ومات فدفناه...» إلخ، مراده به: بيان الكرامة التي شاهدوها بعد موت العلاء رضي الله عنه، فهو من عطف قِصّة على قِصّة، وإن كان موت العلاء تأخّر إلى السَّنَة الرابعة عشرة، أو الحادية والعشرين من الهجرة.

يُوضح هذا ما رواه البيهقيُّ عن أنسٍ قال: أدركتُ في هذه الأمَّة ثلاثًا لو كانت في بني إسرائيل لم تقاسمها الأمم، قلنا: ما هنَّ؟ قال: كنَّا في الصُفَّة عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأتته امرأةٌ مهاجرةٌ ومعها ابن لها قد بلغ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أيامًا ثُمَّ قُبِض، فغَمَّضه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسِّله قال: «**يا أنس، ائِت أُمَّه، فأعلمها**». قال: فأعلمتها، فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثُمَّ قالت: اللهمَّ إنِّي أسلمت لك طوعًا، وخلعت الأوثان زهدًا، وهاجرت إليك رغبةً، اللهمَّ لا تُشْمِت بي عبدة الأوثان، ولا تُحمِّلني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، فوالله ما تَقضَّى كلامها حتى حرَّك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قَبض الله رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحتى هلكت أمُّه.

قال: ثُمَّ جهَّز عمر جيشًا، فاستعمل عليه العلاء بن الحضرميِّ قال: وكنت في غزاته، فأتينا مَغَازينا فوجدنا القوم قد نذروا بنا فعَفَّوا آثارَ الماءِ، قال: والحرُّ شديدٌ، فجهدنا العطش ودوابنا، فلما مالت الشمس صلَّى بنا ركعتين، ثُمَّ مدَّ يده -وما نرى في السّماء شيئًا- فوالله ما حطَّ يده حتى بعث الله ريحًا، وأنشأ سحابًا، فأفرغت حتى ملأت الغُدُرَ والشِّعَاب، فشربنا، وسقينا، واستقينا.

ثُمَّ أتينا عدوَّنا وقد جاوزوا خليجًا في البحر إلىٰ جزيرةٍ، فوقف علىٰ الخليج وقال: يا عليُّ، يا عظيم، يا كريم، ثُمَّ قال: أجيزوا باسم الله، قال: فأجزنا ما يَبُلُّ الماء حوافر دوابّنا، فلم يلبث إلا يسيرًا حتىٰ مات فدفنَّاه، فأتىٰ رجلٌ بعد فراغنا من دفنه فقال: من هذا؟ قلنا: هذا خير البشر، هذا ابن الحضرميِّ، فقال: إنَّ هذه الأرض تلفظ الموتىٰ -لعل ذلك لكونها رملية- فلو نقلتموه إلىٰ ميل أو ميلين إلىٰ أرض تقبل الموتىٰ، فقلنا ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسِّباع تأكله، فاجتمعنا علىٰ نبشه، قال: فلما وصلنا إلىٰ اللحد إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مَدُّ البصر، نورٌ يتلألأ، فأعدنا التّراب إلىٰ القبر، ثُمَّ ارتحلنا.

فهذه الرواية اشتملت علىٰ عِدَّة كراماتٍ، وأوضحت كثيرًا ممَّا يذكر في رواية أبي هريرة المختصرة، وبيَّنَت وقت وفاة العلاء، وأنَّه كان في خلافة سيِّدنا عمر رضي الله عنه، وهو الموافق لما في كتب التاريخ والفُتوح.

ويستفاد من روايتي أبي هريرة وأنسٍ: أنَّ العلاء رضي الله عنه تكرَّرت كراماته بمجاوزة البحر، ونزول المطر في العهد النبويِّ والعهد العُمَريِّ، والله أعلم.

وأخرج الطَّبرانيُّ في "الأوسط"، و"الصغير" عن أبي قِرْصَافة -بكسر القاف، واسمه جَنْدُرة بن خَيْشَنَة- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نَضَّرَ الله امرءًا سَمِعَ مَقَالتي فوَعَاهَا وحَفِظَها، فرُبَّ حَامِلِ عِلم إلى مَن هو أَعلَمُ مِنهُ، ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ القلبُ: إخلاصُ العَمَلِ، ومُناصَحَةُ الولاة، ولُزُومُ الجَماعة**».

قال: وبلغني أنَّ ابنًا لأبي قِرْصَافة أَسَرته الرُّوم، فكان أبو قِرْصَافة يناديه من سُور عَسْقَلان في وقت كلِّ صلاةٍ: يا فلان، الصَّلاةَ، فيسمعه فيجيبه،

وبينهما عرض البحر، وإسناده ضعيفٌ.

لكن أخرج الطَّبرانيُّ أيضًا بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ -كما قال الحافظ الهيثميُّ- من طريق عزَّة بنت عياض بن أبِي قِرْصَافة قالت: أَسَر الرُّوم ابنًا لأبي قِرْصَافة، فكان أبو قِرْصَافة إِذا كان وقت كلِّ صلاةٍ صَعِدَ سور عَسْقَلان، ونَادىٰ: يا فلان الصَّلاة، فيسمعه وهو في بلد الرُّوم.

وقال الحافظ أبو عبدالله الضياء المقدسيُّ في "المختارة": أنبأنا أبو عبدالله محمَّد بن معمر بأصبهان، أنَّ جعفر بن عبدالواحد أخبرهم إجازة: أنبأنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمَّد بن أحمد بن عبدالرحمن الهمدانيُّ: أنبأنا أبو محمَّد عبدالله بن جعفر بن حيَّان-هو أبو الشّيخ- ثنا إسحق بن إسماعيل: ثنا آدم بن أبي إياسٍ: ثنا محمَّد بن نشر: ثنا محمَّد بن عامر: ثنا أبو قِرْصَافة -وكان لأبي قِرْصَافة صحبة، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد كَسَاه بُرنسًا، وكان النَّاس يأتونه فيدعو لهم ويبارك فيهم؛ فتعرف البركة فيهم، وكان لأبي قِرْصَافة ابن في بلد الرُّوم غازيًا، وكان أبو قِرْصَافة إذا أصبح في السَّحر بعسقلان نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا قِرْصَافة الصَّلاة؛ فيقول قِرْصَافة من بلاد الروم: لبّيك يا أبتاه؛ فيقول أصحابه: ويحك لمن تنادي؟ فيقول: لأبي وربِّ الكعبة يوقظني للصَّلاة.

قال أبو قِرْصَافة سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من آوى إلى فِراشه، ثُمَّ قرأ سورة تبارك، ثُمَّ قال: اللهمَّ ربَّ الحلِّ والحرام، وربَّ البلد الحرام، وربَّ الرُّكن والمقام، وربَّ المشعر الحرام، وبحقِّ كلِّ آيةٍ أنزلتها في شهر رمضان، بلِّغ رُوح محمَّدٍ مِنِّي تحيةً وسلامًا، أربع مرات، وَكَّلَ الله به مَلَكين حتى يأتيَا محمَّدًا، فيقولان له ذلك، فيقول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: وعلى فلانٍ بن فلانٍ**

السَّلام منِّي ورحمة الله وبركاته». قال الضياء بعد تخريجه: لا أعرف هذا الحديث إلا بهذا الطَّريق، وهو غريبٌ جدًّا، وفي رواته من فيه بعض المقال».اهـ

قلت: الحديث أخرجه الديلميُّ، وأبو موسىٰ المدينيُّ، كلاهما من طريق أبي الشيخ.

قال أبو موسى: و«نشر» والد محمَّدٍ بالنون، قال ابن القيِّم: محمَّد بن نشر هذا هو المدنيُّ، قال فيه الأزديُّ: «متروك الحديث مجهولٌ»، قال ابن القيِّم أيضًا: «وعِلَّة الحديث أنَّه معروفٌ من قول أبي جعفر الباقر، وهذا أشبه».اهـ

قلت: لكن أحاديث إبلاغ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سلام من يُسلِّم عليه من أمَّته كثيرةٌ، يطول تتبُّعها، فلينظرها من أرادها في "جلاء الأفهام" لابن القيِّم، و"القول البديع" للسَّخاويِّ، و"الخصائص الكبرىٰ" للسّيوطيِّ، و"المواهب اللدنية" للقسطلانيِّ، وغيرها ففيها جملة أحاديث بأسانيد جيادٍ.

وأخرج الطبرانيُّ من طريق عبدالله بن عبيد، عن عُدَيسَة بنت أُهْبَان بن صَيفيٍّ الغِفَاريِّ: أنَّ أباها لما حضرته الوفاة أوصىٰ أن يكفَّن في ثوبين، فكفَّنوه في ثلاثةٍ، فأصبحوا فوجدوا الثوب الثالث علىٰ السَّرير، ورواه المُعلَّىٰ بن جابر بن مسلمٍ، عن أبيه، عن عُدَيسَة به.

وقال الحافظ بن عبدالبر في "الاستيعاب": أُهْبَان بن صيفي الغفاري البصري -يُكنىٰ: أبا مسلمٍ- حديثه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الفتنة: «**اتَّخِذ سَيفًا مِن خَشَبٍ**». ويُقال: وهبان بن صيفيٍّ روت عنه ابنته عُدَيسَة، وقصّته في القميص الذي كُفِّن فيه رواها النَّاس، وفيها آيةٌ، وذلك أنَّه: لَّما حضرته الوفاة قال: كفِّنوني في ثوبين، قالت ابنته: فزِدنا ثوبًا ثالثًا قميصًا،

فدفناه فيها، فأصبح ذلك القميص على المشجب موضوعًا.

وهذا خبرٌ رواه جماعةٌ من ثقات البصريين وغيرهم، منهم سليمان التيميُّ وابنه معتمر، ويزيد بن زريع، ومحمَّد بن عبدالله بن المثنى، عن المُعلَّى بن جابر بن مسلمٍ، عن عُدَيسَة بنت وهبان، عن أبيها.اهـ

وكذا ذكر هذه القصّة الحافظ في "تهذيب التهذيب" و"الإصابة".

وأخرج البزَّار، والطَّبرانيُّ عن سفينة قال: «كنتُ في البحر، فانكَسَرَت سَفينَتُنا؛ فلم نعرف الطَّريق، فإذا أنا بالأسد قد عرض لنا؛ فتأخَّر أصحابي فدنوت منه، فقلتُ: أنا سَفِينَة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد أضللنا الطَّريق، فمشى بين يدي حتى وقفنا على الطَّريق، ثُمَّ تنحَّى ودَفَعَنِي، كأنَّه يُرِيني الطَّريق، فظننتُ أنَّه يُوَدِّعُنا» هذا لفظ البزَّار.

ولفظ الطبرانيِّ: «ركبت البحر، فانكَسَرَتْ سفينتي التي كنتُ فيها فركبتُ لَوحًا مِن ألواحها، فطَرَحَني اللَّوحُ في أَجَمَةٍ فيهَا الأسَدُ، فأقبل إليَّ يُرِيدُني، فقلت له: يا أبا الحارث، أنا سَفِينَة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فطَأْطَأَ رأسهُ، وأقبل إليَّ، فدفعني بمنكبه...»، وذكر باقي القصّة نحو رواية البزَّار.

وللقصّة طُرقٌ أخرى، ورجال البزَّار والطَّبرانيِّ وُثِّقوا كما قال الحافظ الهيثميُّ، ورواها ابن سعدٍ، وأبو يعلى، وابن مَنْدَهْ، والحاكم وصحَّحها، وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ كلاهما في "الدلائل".

وأخرج الطبرانيُّ عن الحسن قال: كان عمَّار رضي الله عنه يقول: قاتلتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الجنَّ والإنس، أرسلني إلى بئر بدرٍ؛ فلقيتُ الشَّيطان في صورة الإنس، فصارعني فصرعته، فجعلتُ أَدُقُّه بِفِهْرٍ معي -أو

حَجرٍ معي- فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عمَّار لَقِي الشَّيطان عند البئر، فقاتله**». فما عدا أن رجعت، فأخبرته، فقال: «**ذاك الشيطان**». في إسناده ضعفٌ.

ورویٰ الطَّبرانيُّ بإسنادٍ رجاله رجال الصّحيح -كما قال الحافظ الهيثميُّ-: «عن سعيد بن عبدالعزيز: أنَّ عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما: أقسم يوم أُحُدٍ فهزم المشركون، وأقسم يوم الجمل فغلبوا أهل البصرة، وقيل له يوم صِفِّين لو أقسمت، فقال: لو ضربونا بأسيافهم حتىٰ نبلغ سَعَفَات هَجَر لعلمنا أنَّا علىٰ الحقِّ، وهم علىٰ الباطل فلم يُقسم فقُتل يومئذٍ، وقال يوم أُحُدٍ:

أقسمتُ يا جِبريلُ ويا مِيكَال
لا يغلبنا مَعْشرٌ ضُلَّال
إنّا علىٰ الحقِّ وهُم جُهَّال

وتقدَّم حديث: «**كم من ذي طِمْرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمَّار بن ياسر**».

وأخرج ابن سعدٍ، عن نافع قال: «بينما عثمان يخطب إذ قام إليه جَهْجَاه الغِفَاريُّ، فأخذ العصا من يده فكسرها علىٰ ركبته؛ فوقعت فيها الأكلة».

وأخرج الباورديُّ وابن السَّكن عن ابن عمر قال: «قام جَهْجَاه الغفاري إلىٰ عثمان وهو علىٰ المِنبَر، فأخذ عصاه فكسرها، فما حال علىٰ جَهْجَاه الحول حتىٰ أرسل الله في يده الأكلة، فمات منها».

وأخرج ابن السَّكن أيضًا من طريق فليح بن سليم، عن عمَّته، عن أبيها وعمِّها: «أنَّهما حضرا عثمان رضي الله عنه فقام إليه جهجاه الغِفَاريُّ حتىٰ أخذ

القضيب من يده، فوضعها علىٰ ركبته فكسرها، فصاح به النَّاس؛ فرمىٰ الله الغِفَاريَّ في ركبته فلم يحل عليه الحول حتىٰ مات».

وليس بين هذه الروايات تناقضٌ، بل هي محمولةٌ علىٰ أنَّ الله رمىٰ الغِفَاريَّ في يده التي أخذ بها، وفي ركبته التي كسر عليها، وأماته بدائه قبل الحول انتقامًا لعثمان أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنه، والله عزيزٌ ذو انتقام.

وأخرج أبو يعلىٰ، والطَّبرانيُّ وأبو نعيمٍ، والبيهقيُّ بإسنادٍ رجاله رجال الصّحيح عن أبي السَّفَر قال: «نزل خالد بن الوليد رضي الله عنه الحِيرة علىٰ أمير بني المَرَازِبة، فقالوا له: احذرِ السُّمَّ لا تَسقِيكَه الأعاجم، فقال: ائتوني به، فأخذه بيده، ثُمَّ اقتحمه وقال: بسم الله، فلم يضرَّه شيئًا».

وفي طريق آخر لأبي نعيم قال: «فأتىٰ بسُمِّ ساعةٍ». وأخرجه ابن سعدٍ من وجهين آخرين.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق الكلبيِّ قال: «لما أقبل خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه يريد الحيرة، بعثوا إليه عبدالمسيح، ومعه سُمُّ ساعةٍ، فقال له خالدٌ: هاته فأخذه في راحته ثُمَّ قال: بسم الله وبالله، ربِّ الأرض والسّماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، ثُمَّ أكل منه، فانصرف عبدالمسيح فقال: يا قوم، أكل سُمَّ ساعةٍ فلم يضرَّه فصالحوهم، فهذا أمر مصنوعٌ لهم».

وأخرج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح كما قال الحافظ: عن خيثمة قال: «أتىٰ خالد بن الوليد رجلٌ معه زِقُّ خَمرٍ فقال: اللهمَّ اجعله عَسَلًا فصار عَسَلًا».

وقال ابن المبارك في كتاب "الجهاد" له: ثنا أبو عوانة، عن داود بن عبدالله،

عن حُميد بن عبدالرحمن -هو الحِميريُّ- قال: «كان رجلٌ يُقال له: حُمَمَة -من أصحاب محمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- خرج إلىٰ أصْبَهان غازيًا في خلافة عمر رضي الله عنه -قال: وفتحت أصْبَهان في خلافة عمر رضي الله عنه - قال: فقال: اللهمَّ إنَّ حُمَمَة يزعم أنَّه يُحبُّ لقاءك، فإن كان حُمَمَة صادقًا فاعزم له عليه بصِدقه، اللهمَّ لا تَرُدَّ حُمَمَة مِن سَفَرِه هذا، قال: فأخذه بطنه فمات بأصبهان، فقام أبو موسىٰ فقال: يا أيُّها النَّاس، إنَّا والله ما سَمِعنا فيما سَمِعنا من نبيِّكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفيما بلغنا علمه إلَّا أنَّ حُمَمَة شهيدٌ».

وقال ابن أبي شيبة في كتاب "فتح العراق" من مُصنَّفِه: ثنا عفَّان، ثنا أبو عوانة، ثنا داود بن عبدالله الأوديُّ، عن حُميد بن عبدالرحمن: «أنَّ رجلًا كان يُقال له: حُمَمَة من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم...»، فذكره بمعناه سواء، إلَّا أنَّه قال: «فأخذه الموت فمات بأصبهان، ولم يقل فأخذه بطنه، وذكر القصّة إلىٰ آخرها.

ورواها أبو داود، ومُسدَّد، وأحمد، والحارث، في مسانيدهم من طريق حُميد بن عبدالرحمن أيضًا، وفي روايتهم من الزِّيادة: أنَّ حُمَمَة قال: «وإن كان كاذبًا فاحمل عليه وإن كَرِه، اللهمَّ لا يرجع حُمَمَة من سفره هذا»، وأشار أحمد إلىٰ أنَّ عفَّان كان يقول: «فأخذه الموت»، وتارة «فأخذه البطن...» إلخ، ولا منافاة بين الروايتين، فإنَّ البطن كان سبب موته رضي الله عنه، فمن قال: أخذه الموت أراد بسبب بطنه، يؤيد هذا قول أبي موسىٰ الأشعري: «يا أيها النَّاس ما سمعنا فيما سمعنا من نبيِّكم، وفيما بلغنا عِلمه إلَّا أنَّ حُمَمَة شهيد».

يشير بذلك إلىٰ حديث أبي هريرة في "صحيح البخاريِّ" وغيره: «**الشُّهداءُ**

خمسةٌ: المطعونُ، والمَبْطُونُ، والغَرِيقُ، وصاحبُ الهَدْمِ، والشَّهيدُ في سبيل الله».

وفي الباب أحاديث أُخرىٰ، ثُمَّ إنَّ قصَّة حُمَمَة إسنادها صحيحٌ، وقال الحافظ الهيثميُّ -بعد أن عزاها لأحمد-: «رجاله رجال الصّحيح غير داود بن عبدالله الأوديِّ، وهو ثقةٌ وفيه خلافٌ».اهـ

وكأنَّه يعني بالخلاف ما رواه الدوريُّ عن ابن معينٍ: أنَّ داود ليس بشيءٍ، مع رواية إسحاق بن منصور عنه: أنَّه ثقةٌ.

والصَّواب: أنَّ ابن معينٍ أطلق العبارة الأولىٰ في داود بن يزيد الأوديِّ عمِّ عبدالله بن إدريس، وهو ضعيفٌ ضعَّفه ابن معينٍ وغيره.

أمَّا داود بن عبدالله الأوديُّ فثقةٌ، نقله ابن شاهين في "الثقات" عن أحمد، وفي رواية أخرىٰ عنه قال: شيخٌ ثقةٌ قديمٌ، وهو غير عمِّ ابن إدريس، وكذا وثَّقه ابن معين، وأبو داود، وغيرهما.

وروىٰ أبو داود، والنَّسائيُّ من طريق داود الأوديِّ، عن حُميد بن عبدالرحمن الحِميريِّ قال: لقيت رجلًا صَحِب النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربع سنين، فقال: «نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن تغتسل المرأة بفضل الرجل، أو يغتسل الرجل بفضل المرأة وليغترفا جميعًا».

قال ابن حزمٍ: إن كان داود عم ابن إدريس فهو ضعيفٌ وإلَّا فهو مجهولٌ، وردَّ عليه ابن مفوز وابن القطَّان.

وقال ابن القطَّان أيضًا: «كتب الحميديُّ إلىٰ ابن حزمٍ من العراق يُخبره بصحَّة هذا الحديث، وبيَّن له أمر هذا الرجل بالثقة، فلا أدري أرجع عن قوله أم لا».اهـ نقله الحافظ في "تهذيب التهذيب".

وقال في "فتح الباري" بعد أن أورد الحديث المذكور ما نصُّه: «رجاله ثِقاتٌ، ولم أقف لمن أعلَّه على حُجَّةٍ قويَّةٍ، ودعوى البيهقيِّ: أنَّه في معنى المرسل مردودةٌ؛ لأنَّ إبهام الصحابيِّ لا يضرُّ، وقد صرَّح التابعيُّ بأنَّه لقيه، ودعوى ابن حزمٍ: أنَّ داود راويه عن حُميد ابن عبدالرحمن وهو ابن يزيد الأوديُّ، وهو ضعيفٌ مردودةٌ؛ فإنَّه ابن عبدالله الأوديُّ، وهو ثقةٌ، وقد صرَّح باسم أبيه أبو داود وغيره».اهـ

وقد أطلت هنا بعض الإطالة: دفعًا لما حصل في داود الأوديِّ من الاشتباه، والله الموفِّق لا رب غيره.

وأخرج البيهقيُّ عن حبيب بن مسلمة أنَّه أُمِّرَ على جيشٍ، فلما أتى العدوَّ قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا يجتمع قومٌ فيدعو بعضهم ويُؤَمِّن بعضهم، إلَّا أجابهم الله تعالى**». ثُمَّ إنَّه حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وقال: «**اللهمَّ احْقِنْ دِمائنا، واجعل أُجُورنا أُجُورَ الشُّهداءِ**». فبينما هُم على ذلك إذ نزل أمير العدوِّ فدخل على حبيبٍ سرادقه.

قلتُ: كان حبيب بن مسلمة مجاب الدَّعوة، نقله الحافظ في "الإصابة" عن ابن أبي هبيرة برواية الطَّبرانيِّ، وعن سعيد بن عبدالعزيز وقال: «ابن حبيبٍ هو الذي فتح أرمينية».

وقال ابن سعدٍ: «لم يزل مع معاوية في حروبه، ووجهه إلى أرمينية فمات بها سنة اثنتين وأربعين ولم يبلغ خمسين».اهـ

ومن كراماته: ما رواه ابن أبي الدُّنيا، والبيهقيُّ عنه: أنَّه ناهض يومًا حِصنًا فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وقالها المسلمون؛ فانصدع الحِصن.

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي: ثنا علي بن المدينيُّ: ثنا عبدالله بن مسلمة بن قَعْنَبٍ: ثنا سليمان بن بلال، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيِّب: «أنَّ زيد بن خارجة الأنصاريَّ ثُمَ من بني الحارث بن الخزرج، تُوفي في زمن عثمان بن عفان، فَسُجِّي بثوبٍ، ثُمَّ إنَّهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثُمَّ تكلَّم فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأوَّل، وصدق صدق أبو بكر الصِّدِّيق الضعيف في نفسه، القويُّ في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القويُّ الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان علىٰ منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت السَّاعة، وسيأتيكم خبر بئر أَرِيس، وما بئر أريس؟».

قال يحيىٰ بن سعيد: قال سعيد بن المسيِّب: «ثُمَّ هَلَكَ رَجُلٌ من بني خطمة فَسُجِّي بثوبٍ، فسمعوا جَلْجَلَةً في صدره، ثُمَّ تكلَّم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج -يعني زيد بن خارجة- صدق صدق، وكانت وفاته في خلافة عثمان رضي الله عنه أيضًا»، هذا إسنادٌ صحيحٌ رجاله كلُّهم أئمَّةٌ أعلامٌ.

وللقصَّة طريقٌ آخر عند ابن مَنْدَهْ في "الصَّحابة" من جهة داود بن أبي هند عن حبيب بن سالم، عن النُّعمان بن بشير قال: «كان شاب من سَراة شباب الأنصار وخيارهم يقال له: زيد بن خارجة، وكان أبوه وأخوه سعد بن خارجة أُصيبا يوم أُحدٍ، وأنَّه تكلَّم بعد موته»، فذكر القصَّة نحو ما تقدم، ورواها أبو نعيمٍ في "معرفة الصَّحابة"، والمحامليُّ في الحادي عشر من "أماليه الأصبهانية"،ومحمَّد بن نصر بن أحمد بن محمَّد بن مكرم في الجزء الثاني من "حديثه"، ورواها ابن أبي الدنيا في جزء "من عاش بعد الموت" وهو مطبوعٌ

فليُراجع فإنَّ فيه آثارًا أُخرىٰ بهذا المعنىٰ.

وقال الحافظ ابن عبدالبر في "الاستيعاب": «زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك من بني الحارث بن الخزرج، وهو الذي تكلَّم بعد الموت لا يختلفون في ذلك»، ثُمَّ قال: أخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال: ثنا إسماعيل بن محمَّد: ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي وذكر القصَّة بالسَّند المذكور آنفًا.

ويقرب من هذه القصَّة ما رواه ابن أبي الدنيا قال: حدَّثني أحمد بن جميل: ثنا عبدالله بن المبارك: أنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن زيد بن أسلم قال:أغمي علىٰ المِسْوَر بن مَخْرَمة، ثُمَّ أفاق فقال: «أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، عبدالرحمن بن عوف في الرفيق الأعلىٰ مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وحَسُن أولئك رفيقًا، وعبدالملك والحجَّاج يَجُرَّان أمعاءهما في النَّار».

قال الحافظ في "تهذيب التهذيب": «هذا إسنادٌ صحيحٌ، ولم يكن للحجَّاج حينئذٍ ذكر ولا كان عبدالملك وَلِي الخلافة بعد؛ لأنَّ المِسْوَر مات في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية من الشَّام، وذلك في ربيع الأول سنة (٦٤)، والمِسْوَر -بكسر الميم وفتح الواو بينهما سين ساكنة- صحابيٌّ فاضلٌ، وهو ابن أخت عبدالرحمن بن عوف، وأبوه مَخْرَمة -بفتح الميم- ابن نوفل كان من مُسلِمة الفتح، وله علمٌ بالنَّسب، فكان يؤخذ عنه،عُمِّر نحو مائة وخمس عشرة سنة، مات سنة أربع وخمسين.

وأخرج ابن عساكر عن الأعمش قال: «تغوَّط رجلٌ علىٰ قبر الحسن بن

عليٍّ رضي الله عنهما، فجُنَّ فجعل يَنبَحُ كما تنبح الكلاب، ثُمَّ إنَّه مات فُسمع في قبره يَعْوي ويَصِيح».

وقال عبدالله بن وهب: أخبرني أبو صخر، عن ابن قسيط، عن إسحاق بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه: «أنَّ عبدالله بن جحش قال له يوم أُحد: ألا تأتي فندعو الله، فخلوا في ناحيةٍ فدعا سعد وقال: يا رب إذا لقيت العدوَّ غدًا فلقني رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حَرَدُه، أقاتله فيك ويُقاتلني، ثُمَّ ارزقني الظَّفر عليه حتَّىٰ أقتله وآخذ سلبه، فأَمَّن عبدالله ابن جحشٍ ثُمَّ قال: اللهمَّ ارزقني غدًا رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حَرَدُه أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت: يا عبدالله فِيم جُدِعَ أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك فتقول: صدقت، قال سعدٌ: كانت دعوة عبدالله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النَّهار وإن أذنه وأنفه معلَّقان جميعًا في خيطٍ».

ورواه البغويُّ من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدَّثني أبي فذكره، ورواه ابن شاهين من طريق آخر عن سعيد بن المسيِّب: «أنَّ رجلًا سمع عبدالله بن جحش...»، فذكر نحوه، وعزاه الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" لرواية الطبرانيِّ وقال: «رجاله رجال الصَّحيح».

وعبدالله بن جحش هذا: أحد السَّابقين، هاجر إلىٰ الحبشة ثُمَّ إلىٰ المدينة، وشَهِد بدرًا، قال ابن أبي حاتم: دعا الله يوم أُحد أن يرزقه الشَّهادة فقُتل فيها، وقال الزُّبير: «كان يقال له: المُجدَع في الله، وكان سيفه انقطع يوم أُحدٍ فأعطاه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عُرجُون نخلٍ فصار في يده سيفًا، فكان يُسمَّىٰ العُرجُون، وقد بقي هذا السيف حتىٰ بيع من بغاء التركي بمائتي دينار».اهـ

(فائدة): عبدالله بن جحش: هو أوَّل أميرٍ في الإسلام لما رواه البغويُّ من طريق زيادة بن علاقة، عن سعد بن أبي وقاص، قال: بعثنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سَريّة، وقال: «لأبعثنَّ عليكم رجلًا أصبركم علىٰ الجوع والعطش». فبعث علينا عبدالله بن جحش، فكان أوَّل أميرٍ في الإسلام.

قال الحافظ اليعمريُّ: وسُمِّي في هذه السَّريّة بأمير المؤمنين، وكانت هذه السَّريّة بعد بدرٍ الأولىٰ إلىٰ بطن نخلة بين مكَّة والطَّائف، فلما رجعوا منها قال عبدالله لأصحابه: إنَّ لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ممَّا غنمنا الخُمس - وذلك قبل أن يفرض الله الخُمس- فكان أول خُمس في الإسلام، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال:٤١].

وأخرج مالكٌ في "الموطَّأ" عن يحيىٰ بن سعيد: أنَّه سمع عبدالله بن عامر بن ربيعة يقول: «قام عامر بن ربيعة يُصلِّي من الليل، حين نشب النَّاس في الطَّعن علىٰ عثمان رضي الله عنه، ثُمَّ نام فأتي في المنام فقيل له: قُم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده، فقام فصلَّىٰ ودعا ثُمَّ اشتكىٰ، فما خرج بعد إلا بجنازته»، ورواه الطَّبرانيُّ عن مصعب الزبيريِّ، وقال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصّحيح».

وعامر بن ربيعة: من السَّابقين هاجر مع زوجه إلىٰ الحبشة ثُمَّ إلىٰ المدينة، وشَهِد بدرًا وسائر المشاهد، مات بعد قَتل عثمان بأيام رضي الله عنهما وأرضاهما.

وأخرج ابن السُّنيِّ في "عمل اليوم والليلة" عن الحسن قال: كنَّا جلوسًا مع رجلٍ من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأتي فقيل له:

أدرك دارك فقد احترقت، فقال: ما احترقت، فذهب ثُمَّ جاء، فقيل له: أدرك دارك فقد احترقت، فقال: لا والله ما احترقت داري، فقيل: احترقت دارك، وتحلف بالله ما احترقت؟! فقال: إنِّي سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «من قال حين يُصبح: «ربِّي الله الذي لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العَلِيِّ العظيم، أشهد أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الله قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، أعوذ بالله الذي يُمسك السَّماء أن تقع على الأرض إلَّا بإذنه مِن شرِّ كلِّ دابَّةٍ ربِّي آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صِراطٍ مُستقيمٍ» لم يُصِبْهُ في نَفْسِهِ ولا أهْلِهِ ولا مالِهِ شيءٌ يَكْرَهُهُ». وقد قلتها اليوم، ثُمَّ قال: انهضوا بنا، فقام وقاموا معه، فانتهوا إلىٰ داره، وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيءٌ.

قلتُ: هذا الصّحابيُّ هو أبو الدّرداء، كذلك جاء مُفسَّرًا في رواية لابن السُّنِّي أيضًا.

ورویٰ أبو نعيمٍ في "الحلية" عن قيسٍ قال: كان أبو الدرداء إذا كتب إلىٰ سلمان، أو سلمان كتب إلىٰ أبي الدرداء، كتب إليه يذكره بآية الصحفة. وكنا نتحدَّث أنَّه بينما هما يأكلان من الصحفة، فسبَّحت الصحفة وما فيها.

ورویٰ أبو نعيمٍ أيضًا عن حصين بن عبدالرحمن، عن عمران بن الحارث، عن مولىٰ لكعب قال: انطلقنا مع المِقداد بن الأسود، وعمرو بن عَبَسَةَ، وشافع بن حبيب الهذليِّ، فخرج عمرو بن عَبَسَة يومًا للرعيَّة، فانطلقت نصف النَّهار – يعني: لأراها – فإذا سحابةٌ قد أظلَّته ما فيها عنه فضل، فقال: إنَّ هذا شيءٌ أتينا به، لئن علمت أنَّك أخبرت به لا يكون بيني وبينك خيرٌ، قال: فوالله ما

أخبرت به حتىٰ مات.

قلتُ: عمرو بن عَبَسَة السُّلَميُّ صحابيٌّ قديم الإسلام كان يقول: «لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام»، وفي رواية: «وأنا رابع الإسلام».

وأخرج الترمذيُّ، والحاكم، وابن عديٍّ، والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: ضَرَب بعض أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خِبَاءَه علىٰ قبرٍ وهو لا يحسب أنَّه قبرٌ، وإذا فيه إنسانٌ يقرأ (سورة المُلك) حتىٰ ختمها فأتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي المُنْجِية، هي المانعة، تُنجِيه من عذاب القبر**». وهذه كرامةٌ كبيرةٌ كما لا يخفىٰ.

قال الإمام كمال الدين ابن الزملكانيّ في كتاب "العمل المقبول في زيارة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم": «هذا الحديث واضح الدلالة: علىٰ أنَّ الميت كان يقرأ في قبره (سورة المُلك)، وقد وقع في هذه الرواية ذكر إكرام الله بعض أوليائه بذلك، وإكرام بعضهم بالصَّلاة وكان يدعو الله في حياته بذلك، فإذا كان من كرامة الله لأوليائه تمكينهم من الطَّاعة والعبادة في القبر، فالأنبياء بطريق الأولىٰ».اهـ

وقال الحافظ بن رجب في كتاب "أهوال القبور": «بعض أهل البرزخ يكرمه الله تعالىٰ بأعماله الصّالحة في البرزخ، وإن لم يحصل له بذلك ثواب تلك الأعمال لانقطاع عمله بالموت، لكن إنَّما يبقىٰ عمله عليه ليتنعَّم بذكر الله تعالىٰ وطاعته كما يتنعَّم بذلك الملائكة، وأهل الجنَّة في الجنَّة وإن لم يكن لهم ثواب علىٰ ذلك؛ لأنَّ نفس الذِّكر والطَّاعة أعظم نعيمًا عند أهلها من جميع نعيم أهل الدُّنيا ولذَّتها، فما تنعَّم المتنعِّمون بمثل ذكر الله وطاعته».اهـ

وهذا الحديث قد زعم بعض جهلة الوهَّابيين -وكُلُّهم جهلةٌ- في كُتيِّبٍ له سمَّاه "القول المبين" أنَّه مكذوبٌ.

وهو زَعْمٌ باطلٌ كما بيَّنته في ردِّي عليه المُسمَّىٰ بـ "الردُّ المحكم المتين علىٰ كتاب القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتىٰ من الأنبياء والصالحين"، وهو ردٌّ واسعٌ مفيدٌ لا يُستغنىٰ عنه.

وأخرج ابن مَنْدَهْ، وأبو أحمد الحاكم في "الكُنىٰ" بإسنادٍ ضعيفٍ -كما قال الحافظان ابن رجب والسيوطيُّ- عن طلحة بن عُبيدالله رضي الله عنه -أحد العشرة- قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلىٰ قبر عبدالله بن عمرو بن حرام -والد جابر- فسمعتُ قراءةً من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئتُ إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكرت ذلك له فقال: «**ذاك عبدالله، ألم تعلم أنَّ الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد، وعلَّقها في وسط الجنَّة فإذا كان الليل رُدَّت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر رُدَّت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه**».

وقال شَبَابة بن سَوَّار: ثنا المغيرة بن مسلمٍ، عن حُصين، عن عبدالله بن عُبيد الأنصاري قال: «كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شَمَّاس -وكان أُصيب يوم اليمامة- فلما أدخلناه القبر سمعناه يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم، فنظرنا فإذا هو ميت».

أخرجه أبو عبدالله بن مخلد من طريق الأعمش عن شبابة، ورواه ابن أبي الدنيا في جزء "من عاش بعد الموت" من طريق خلف البزار عن خالد الطحان عن حصين به ولفظه: «أن رجلًا من قتلىٰ مسيلمة تكلم فقال: محمد رسول الله،

أبو بكر الصديق، عثمان اللين الرحيم».

قلت: كان ثابت بن قَيس بن شَمَّاس الأنصاريُّ -خطيب الأنصار- وكان يقال له خطيب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، شهد أُحدًا وما بعدها واستشهد باليمامة.

ومن كراماته في تلك الواقعة: ما رواه هشام بن عمَّار عن صدقة بن خالد: ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: حدَّثني عطاء الخراسانيُّ قال: حدَّثتني ابنة ثابت بن قيس بن شَمَّاس قالت: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات:٢]، دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه، ففقده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأرسل إليه يسأله ما خبره؟ فقال: أنا رجلٌ شديد الصَّوت أخاف أن يكون قد حَبِط عملي، قال: «**لست منهم، بل تعيش بخيرٍ وتموت بخيرٍ**».

قالت: ثُمَّ أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، فأغلق عليه بابه وطَفِق يبكي، ففقده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأرسل إليه، فأخبره وقال: يا رسول الله إنِّي أُحبُّ الجمال، وأُحبُّ أن أَسُود قومي، فقال: «**لست منهم بل تعيش حميدًا، وتُقتل شهيدًا وتدخل الجنَّة**».

قالت: فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مُسيلمة، فلمَّا التقوا انكشفوا، فقال ثابتٌ وسالمٌ مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنَّا نُقاتل مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ حفر كلُّ واحدٍ منهما له حفرةً فثبتا وقاتلا حتى قُتلا، وعلى ثابتٍ يومئذ دِرعٌ نفيسةٌ فمرَّ به رجلٌ من المسلمين فأخذها، فبينما رجلٌ من

المسلمين نائمٌ إذا أتاه ثابتٌ في المنام فقال له: إنِّي أوصيك بوصيّة، فإيّاك أن تقول هذا حلمٌ فتضيّعه، إنِّي لما قُتلت أمس مرَّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ دِرعي، ومنزله في أقصىٰ النَّاس وعند خِبائه فرسٌ يَستنُّ في طوله، وقد كَفَأَ علىٰ الدِّرع بُرْمَةً وفوق البُرْمَة رحلٌ، فائتِ خالدًا فمُره أن يبعث إلىٰ درعي فيأخذه، وإذا قدمت المدينة علىٰ خليفة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -يعني أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه- فقل له: إنَّ عليَّ من الدَّين كذا وكذا، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ وفلان.

فأتىٰ الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلىٰ الدِّرع فأتىٰ بها، وحدَّث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيّته، قال: ولا نعلم أحدًا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيسٍ رضي الله عنه. هكذا ذكره بن عبدالبر في "الاستيعاب".

ورواه الطبرانيُّ من هذا الطَّريق، ومن طريق أنس بن مالكٍ.

وقال الحافظ الهيثميُّ: «كلٌّ من الطَّريقين رجاله رجال الصّحيح، قال: إلَّا أنَّ بنت ثابت بن قيس لم أعرفها، والظَّاهر أنَّها صحابيّةٌ، فإنَّها قالت: سمعت أبي».اهـ

وذكر ابن القيِّم هذه القصّة في المسألة الأولىٰ من كتاب "الروح" وبين وجه عمل أبي بكر الصِّدِّيق، وخالد بن الوليد بهذه الرؤيا، وإنفاذ وصيّة صاحبها.

ونظير هذه القصّة ما ذكره ابن القيِّم أيضًا حيث قال: وصحَّ عن حمَّاد بن سلمة، عن ثابتٍ، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ: «أنَّ الصَّعب بن جَثَّامة وعوف بن مالك كانا متواخيين، قال صعبٌ لعوفٍ: أي أخي أيُّنا مات قبل صاحبه فليترايا له، قال: أويكون ذلك؟! قال: نعم، فمات الصَّعب، فرآه عوف فيما يرىٰ النائم كأنَّه قد أتاه، قال: قلت: أي أخي، قال: نعم، قلت: ما فُعل بكم؟ قال: غُفر لنا بعد المصائب، قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه، قلت: أي أخي ما

هذا؟ قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلانٍ اليهوديِّ فهنَّ في قرني فأعطوه إياها، واعلم أي أخي، أنَّه لم يحدث في أهلي حَدَثٌ بعد موتي إلا قد لحق بي خبره، حتىٰ هِرَّة لنا ماتت منذ أيامٍ، واعلم أنَّ بنتي تموت إلىٰ ستة أيام فاستوصوا بها معروفًا.

فلمَّا أصبحتُ قلت: إنَّ في هذا لمعلمًا، فأتيت أهله فقالوا: مرحبًا بعوفٍ، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟ لم تقربنا منذ مات صعبٌ، قال: فاعتللت بما يعتلُّ به النَّاس، فنظرت إلىٰ القرن فأنزلته فانتثلت ما فيه، فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلىٰ اليهوديِّ فقلتُ: هل كان لك علىٰ صعبٍ شيءٌ؟ قال: رَحِم الله صعبًا كان من خيار أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هي له، قلت: لتخبرني،قال: نعم أسلفته عشرة دنانير، فنبذتها إليه، قال: هي والله بأعيانها، قال: قلتُ: هذه واحدةٌ، قال: فقلت: هل حَدَث فيكم حدثٌ بعد موت صعب؟ قالوا: نعم حَدَث فينا كذا، حَدَث فينا كذا، قال: قلتُ: اذكروا، قالوا: نعم هِرَّة ماتت منذ أيامٍ، فقلتُ: هاتان اثنتان، قلتُ: أين ابنة أخي؟ قالوا: تلعب، فأتيت بها فمسستها فإذا هي محمومةٌ، فقلت: استوصوا بها معروفًا، فماتت لستَّة أيام».

قلت: رواها ابن أبي الدنيا من هذا الطريق.

وأخرج أبو بكر بن لال في كتاب "المتحابين" من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابتٍ قال: آخىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين عوف بن مالك والصَّعب بن جَثَّامة، فقال كل منهما للآخر: إن مِتَّ قبل فتراء لي، فمات الصَّعب قبل عوف فتراءىٰ له...، وذكر القصَّة نحو ما سبق، وهذه أيضًا كرامةٌ لا تخفىٰ.

وودرت القصّة علىٰ وجهٍ آخر -قال الحافظ بن رجب: وهو أشبه- فروىٰ ابن المبارك في كتاب "الزهد" عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطيَّة بن قيسٍ، عن عوف بن مالك الأشجعيِّ: «أنَّه كان مواخيًا لرجل من قيسٍ يقال له: مُحلِّم، ثم إن مَحلِّمًا حضره الوفاة فأقبل عليه عوفٌ فقال: يا مُحلِّم إذا أنت وردت فارجع إلينا فأخبرنا بالذي صُنع بك، قال مُحلِّم: إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت، فقُبض مُحلِّم، ثُمَّ ثوىٰ عوف بعده عامًا فرآه في منامه فقال: يا مُحلِّم ما صنعتَ وما صُنع بك؟ فقال له: وُفِّينا أجورنا، قال: كلُّكم، قال: كلُّنا إلَّا الأحراض -هلكوا في الشر- الذين يُشار إليهم بالأصابع، والله لقد وُفِّيت أجري كلَّه حتىٰ وُفِّيت أجر هِرَّةٍ ضلَّت لأهلي قبل موتي بليلةٍ، فأصبح عوفٌ فغدا إلىٰ امرأة مُحلِّم، فلما دخل قالت: مرحبا زور صعب بعد مُحلِّم، فقال عوفٌ: هل رأيت مُحلِّمًا منذ تُوفِّي؟ قالت: نعم رأيته البارحة، ونازعني في ابنتي ليذهب بها معه، فأخبرها عوف بالذي رأىٰ، وما ذكر من الهِرَّة التي ضلَّت، فقالت: لا علم لي بذلك، خدمي أعلم، فدعت خدمها فسألتهم فأخبروها: أنَّها ضلَّت لهم هِرَّةٌ قبل موت مُحلِّم بليلةٍ».

قلت: مُحلِّم -بضم الميم وكسر اللام المشددة- هو ابن جَثَّامة، اختلف في موته فقيل: مات في العهد النَّبويِّ ولفظته الأرض بضع مرات فوضعوه بين صدين، وقيل: مات بعد ذلك، وقصّته هذه إسنادها ضعيفٌ، فلا تكون أشبه من قصة أخيه الصَّعب التي إسنادها حسنٌ.

وأخرج الطَّبرانيُّ بإسنادين -قال الحافظ الهيثميُّ: أحدهما حسنٌ- عن ابن عبَّاسٍ قال: بينما رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جالسٌ وأسماء بنت

عُمَيسٍ قريبةٌ منه إذ ردَّ السَّلام، ثُمَّ قال: «**يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالبٍ مع جبريل وميكائيل صلَّى الله عليهما، مرُّوا فسلَّموا علينا فرددتُ عليهم السَّلام، وأخبرني أنَّه لَقِي المشركين يوم كذا وكذا فأُصبتُ في جسدي من مَقادِيمي ثلاثًا وسبعين بين طَعنةٍ وضَربةٍ، ثُمَّ أخذتُ اللِّواء بيدي اليُمنى فقُطعتْ، ثُمَّ أخذته باليسار فقُطعتْ؛ فعوَّضني الله من يدي جَناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنَّة أنزل بهما حيث شِئتُ، وآكل من ثمارها حيث شِئتُ**».

فقالت أسماء: هنيئًا لجعفرٍ ما رزقه الله من الخير، ولكنِّي أخاف ألَّا يُصدِّقني النَّاسُ فاصعد المنبر فأخبر النَّاسَ يا رسول الله.

فصَعِد المِنبَر فحَمِد الله وأثنىٰ عليه، ثُمَّ قال: «**أيُّها النَّاسُ إنَّ جعفر بن أبي طالبٍ مع جبريل وميكائيل له جَناحان عوَّضه الله من يديه يطير بهما في الجنَّةِ حيث شاء، فسلَّم عليَّ فأخبر كيف كان أمرهم حين لقي المشركين**». فاستبان للنَّاس بعد ذلك أنَّ جعفرًا لقيهم؛ فسُمِّيَ جعفر الطيَّار في الجنَّة ذا جناحين يَطيرُ بهما حيث شاء، مخصوبةٌ قوادمه بالدِّماء.

وأخرج الطَّبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ كما قال الحافظ: عن عبدالله بن جعفر قال: قال لي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هنيئًا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السَّماء**». وللحديث طُرقٌ عن عليٍّ، وأبي هريرة، وغيرهما.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن الشَّعْبِي: أنَّ ابن عمر كان إذا سلَّم علىٰ ابن جعفرٍ قال: السَّلام علَيك يا ابن ذي الجناحين.

قال السهيليُّ: «ليس الجناحان -كما يسبق إلىٰ الوهم- كجناحي الطَّائر وريشه؛ لأنَّ الصُّورة الآدميّة أشرف الصُّور وأكملها، فالمراد بالجناحين صفةٌ

مَلَكيَّةٌ، وقوَّةٌ روحانيةٌ أُعطيها جعفر، وقد عبَّر القرآن عن العضُد بالجناح توسُّعًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص:٣٢].

وقال العلماء في أجنحة الملائكة: إنَّها صفاتٌ مَلَكيَّةٌ لا تُفهم إلا بالمعاينة، فقد ثبت: أنَّ لجبريل ستمائة جناحٍ، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلًا عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبرٌ في بيان كيفيَّتها فنؤمن بها من غير بحثٍ عن حقيقتها».اهـ

قال الحافظ: «وهذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي نقله عن العلماء ليس صريحًا في الدلالة لما ادَّعاه، ولا مانع من الحمل علىٰ الظَّاهر إلَّا من جهة ما ذكره من المعهود -وهو من قياس الغائب علىٰ الشَّاهد- وهو ضعيفٌ، وكون الصّورة البشريّة أشرف الصّور لا يمنع من حمل الخبر علىٰ ظاهره؛ لأنَّ الصّورة باقيةٌ.

وقد روىٰ البيهقيُّ في "الدلائل" من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة: «**أنَّ جناحي جعفر من ياقوتٍ، وجاء في جناحي جبريل أنَّهما لؤلؤٌ**». أخرجه ابن مَنْدَهْ في ترجمة ورقة».اهـ.

والحديث الأخير: رواه الطَّبريُّ، والبغويُّ، وابن قانعٍ، وابن السَّكن، وغيرهم في الصّحابة من طريق روح بن مسافر، عن الأعمش، عن عبدالله بن عبدالله، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبَّاسٍ، عن ورقة بن نوفل قال: قلتُ: يا محمَّد كيف يأتيك الذي يأتيك؟ قال: «**يأتينى من السَّماء جناحاه لؤلؤٌ وباطن قدميه أخضر**».

قال ابن عساكر: «لم يسمع ابن عبَّاسٍ من ورقة».اهـ

ورَوح بن مُسافرٍ متروكٌ، لكن أخرج ابن مَرْدُويَه من طريق عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدالله بن مسعودٍ قال: «رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جبريل له ستُّمائة جناحٍ يتناثر من ريشه التّهاويل من الدرِّ والياقوت»، ورواه النَّسائيُّ من هذا الطَّريق ولفظه: «يتناثر منها تهاويل الدرِّ والياقوت».

ورواه ابن حِبَّان، والبيهقيُّ، وأبو نعيمٍ من طريق زِرٍّ عن ابن مسعودٍ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[النجم: ١٣]، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيتُ جبريل عند سِدْرَةِ المُنتهَى له ستُّمائة جناحٍ يَنتَثِر مِن رِيشِهِ تهاويل الدُّرِّ والياقوت**».

والمقصود: أنَّ طيران جعفرٍ مع جبريل وميكائيل عليهما السَّلام كرامةٌ كبيرةٌ أكرمه الله بها.

وأخرج الطَّبرانيُّ عن أبي رجاء العطارديِّ قال: «لا تسبُّوا عليًّا ولا أحدًا مِن أهل البيت فإنَّ جارًا لنا من بَلْهُجَيمٍ قال: ألم تروا إلىٰ هذا الفاسق الحسين بن عليٍّ قاتله الله؛ فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره». وقال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصّحيح».

وأخرج الطَّبرانيُّ أيضًا عن الزهريِّ قال: «قال لي عبدالملك -يعني ابن مروان- أي واحدٍ أنت إن أعلمتني أنَّ علامةً كانت يوم قُتل الحسين؟ فقال: قلتُ: لم تُرفع حصاةٌ ببيت المقدس إلَّا وُجد تحتها دم عبيطٌ، فقال لي عبدالملك: إنِّي وإيَّاك في هذا الحديث لقرينان». قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ».

وأخرج أيضًا عن دُوَيدٍ الجُعْفيِّ، عن أبيه قال: «لما قُتل الحسين رضي الله عنه انتُهبت جزورٌ من عسكره، فلمَّا طُبخت إذا هي دمٌ». قال الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ».

وأخرج أيضًا عن حاجب عُبيدالله بن زيادٍ، قال: «دخلتُ القصر خلف عُبيدالله بن زيادٍ حين قُتل الحسين، فاضطرم في وجهه نار، فقال: هكذا بكمِّه علىٰ وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم، وأمرني أن أكتم ذلك».

قال الهيثميُّ: «حاجب عبيد الله لم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقاتٌ».

وأخرج أيضًا عن الشَّعْبِي قال: «رأيت في النّوم، كأنَّ رجالًا من السَّماء نزلوا معهم حرابٌ يتتبَّعون قتلة الحسين، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم».

قال الهيثميُّ: «سنده حسنٌ».

وأخرج أيضًا عن الأعمش قال: «تغوَّط رجلٌ علىٰ قبر الحسين؛ فأصاب أهل ذلك البيت خَبَلٌ وجُنونٌ وجُذَامٌ وبَرَصٌ وفقرٌ».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصَّحيح».

وقال الذهبيُّ في **"تذكرة الحفَّاظ"**: قرأتُ علىٰ أحمد بن إسحاق: أخبركم الفتح بن عبدالسَّلام: أنَّ هبة الله بن الحسين أخبرهم قال: أنا أحمد بن محمَّد البزَّار: أنا عليُّ بن عيسىٰ إملاءً: أنا أبو بكر محمَّد بن الحسن المقري: حدَّثني أبو العباس أحمد بن يحيىٰ: أنا عمر بن شبة: أنا عُبيد بن جناد: أخبرني عطاء بن مسلمٍ قال: قال السُّدِّيُّ: «أتيت كربلاء أبيع البَزَّ بها، فعمل لنا شيخٌ من طيءٍ طعامًا فتعشَّينا عنده، فذكر قتل الحسين، فقلت: ما شرك أحدٌ في قتله إلا مات بأسوأ ميتة، فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا ممَّن شرك في ذلك، فلم نبرح حتىٰ دنا من المصباح ليصلحه وهو يتَّقد، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه فأخذت النَّار فيها، فأخذ يُطفئها بريقه فأخذت النار لحيته، فعدا فألقىٰ نفسه في الماء فرأيته كأنَّه حممة».

قلتُ: السُّدِّيُّ راوي هذه الكرامة هو السُّدِّيُّ الكبير، وهو ثقةٌ، بخلاف السُّدِّيِّ الصغير فهو هالكٌ، والكرامات التي ظهرت عند مقتل الحسين بن علىٰ رضوان الله عليهما فيمن قتله أو أعان عليه كثيرةٌ يطول تتبُّعها.

وأخرج البخاريُّ في "الصَّحيح" عن أنسٍ: «أنَّ عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعبَّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتسقِينا، وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، قال: فيُسقَون».

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": روينا من وجوهٍ عن عمر: أنَّه خرج يَستسقي وخرج معه بالعبَّاس فقال: «اللهمَّ إنَّا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونستشفع به، فاحفظ فيه لنبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما...» وذكر بقيَّة الخبر، وفي آخره: «فوالله ما برحوا حتىٰ اعتلقوا الجدر، وقلصوا المآزر، وطَفِق النَّاس بالعبَّاس يمسحون أركانه، ويقولون: هنيئًا لك ساقي الحرمين».

وأخرج الزُّبير بن بكار في «الأنساب» بإسناده: أنَّ العبَّاس لما استقىٰ به عمر قال: «اللهمَّ إنَّه لم ينزل بلاءٌ إلَّا بذنبٍ، ولم يُكشف إلَّا بتوبةٍ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني مِن نبيِّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيثَ؛ فأرخت السَّماء مثل الجبال حتىٰ أخصبت الأرض وعاش النَّاس».

(تنبيه):جعل الوهَّابيُّون هذا الأثر حُجَّتهم في منع التّوسُّل بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته، وابن تيمية أكثر من الاستدلال به لهذا المعنىٰ في

كثيرٍ من مؤلّفاته، وهو لا يدلُّ على شيءٍ ممَّا زعموه، كما بيَّنته من عِدَّة وجوهٍ في كتابي "الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين".

وأخرج ابن سعدٍ، والبيهقيُّ عن ثابت البُنانيِّ قال: «جاء قَيِّمُ أنس بن مالكٍ في أرضه، فقال: عطشت أرضك، فصلَّى ثُمَّ دعا فثارت سحابةٌ، فجاءت وغشيت أرضه، ومطرت حتى ملأت صهريجه -وذلك في الصَّيف- فأرسل بعض أهله فقال: انظروا أين بلغت فإذا هي لم تعد أرضه»، ورواه ابن سعدٍ من طريق ثُمامة بن عبدالله.

وفي "الإصابة" للحافظ ابن حجرٍ: وقال جعفر بن سليمان: عن ثابتٍ قال: كنت مع أنسٍ فجاء قهرمانة، فقال أبا حمزة: «عطشت أرضنا...»، وذكر الخبر نحوه، غير أنَّه قال: «فنظر فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيرًا».

وأخرج أحمد في "الزهد" والدارمي في "السنن" عن الحسن: أنَّ هَرِم بن حَيَّان مات في غزاة له في يوم صائفٍ، فلمَّا فرغ النَّاس من دفنه جاءت سحابةٌ حتى كانت حِيال القبر فرشَّت القبرَ حتى رُوى لم تجاوزه قطرة، ثَمَّ عادت عودها على بدئها.

ورواه أبو نعيمٍ بلفظ: «مات هَرِم في يوم صائفٍ شديد الحرِّ، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على القبر، فلم تكن أطول منه ولا أقصر منه رشَّته حتى روته ثُمَّ انصرفت». وفي لفظ له آخر: «لما مات جاءت سحابة فأظلت سريره، فلما دفن رشَّت على القبر فما أصابت حول القبر شيئًا».

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا عن قتادة قال: «أُمطِر قبر هَرِم من يومه، وأنبت

العُشْب من يومه».

قلت: هَرِم -بفتح الهاء وكسر الراء- ابن حَيَّان العبديُّ، قال ابن عبدالبر: «من صِغار الصّحابة، افتتح قلعة بجرة عُنوةً في عهد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه».

وفي "تاريخ البخاريِّ" من طريق الأعمش، حدَّثنا عامر، حدَّثني أبو زيد بن خليفة: أنَّه لقي رجلًا من أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هَرِم بن حَيَّان بن عبدالقيس، فقال: أَمِن أهل الكوفة أنت؟ قال: نعم، قال: تسألني وفيكم عبدالله بن مسعود؟!.

وعدَّه ابن أبي حاتمٍ في الزّهاد الثمانية من كبار التّابعين، وقال العسكريُّ: «كان من خيار التّابعين».

وكذا ذكره في التّابعين أبونعيم في "الحلية" فقال في الطَّبقة الأولى من التّابعين: «ومنهم الهائم الحيران، القائم العطشان هَرِم بن حَيَّان، عاش في حُبِّه ولهان حَرِقًا، وعاد قبره حين دفن ريَّان غَدِقًا». اهـ

هذا ما رأينا أن نذكره من كرامات الصَّحابة الأجلَّاء من غير حصرٍ ولا استقصاءٍ، إذ أنَّ فيه عُسرًا وعناءًا؛ لانتشار كراماتهم الكثيرة في كتب السُنَّة، والزُّهد، والتّراجم، والسِّير، وغيرها، وختمنا هذا الفصل بذكر هَرِم بن حَيَّان لحصول الخلاف في صُحبته كما بيَّنَّاه، وما توفيقنا إلَّا بالله.

الفصل الخامس

فيما ورد من الكرامات عن التَّابعين وغيرهم

وهذا فصلٌ واسعٌ جدًّا يتعذَّرُ علىٰ الباحث تتبُّعه باستيفاءٍ؛ لأنَّ ما حصل علىٰ يد زُهَّاد الأُمَّة وأوليائها من الكرامات والفضائل يفوق عدد رَمْل عالج، لكنَّا مع ذلك نذكر جملةً وافرةً تكون عُنوانًا لغيرها ودليلًا عليه فنقول:

أخرج الحسن بن عرفة قال: ثنا عبدالله بن إدريس الأوديُّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي سَبْرَة النَّخعيِّ قال: «أقبل رجلٌ من اليمن، فلمَّا كان في بعض الطريق نفق حماره؛ فقام فتوضأ وصلَّىٰ ركعتين ثُمَّ قال: «اللهمَّ إنِّي جئتُ مُجاهدًا في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنَّك تُحيي الموتىٰ وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحدٍ عليَّ اليوم مِنَّةً أطلب إليك أن تبعث لي حماري، فقام الحمار يَنفضُ أُذَنيه».

وأخرجه البيهقيُّ في "الدلائل" من هذا الطَّريق وقال: «هذا إسنادٌ صحيحٌ، ومثل هذا يكون معجزةً لصاحب الشَّريعة حيث يكون في أُمَّته من يُحيي الله له الموتىٰ كما سبق ويأتي».اهـ

وأخرجه هو، وابن أبي الدنيا من طريقٍ آخر عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشَّعْبِي مثله زاد الشَّعْبِي: «فأنا رأيت الحِمار يباع في الكُنَاسة»، قال البيهقيُّ: فكأنَّ إسماعيل سمعه منهما.

وأخرجه هو، وابن أبي الدنيا عن مسلم بن عبدالله بن شريك النَّخعيِّ قال: «خرج نباتة بن يزيدٍ -رجلٌ من النَّخع- في زمن عمر بن الخطَّاب غازيًا...» فذكر نحوه، وزاد، فقال رجل من رهطه أبياتًا منها:

ومِنَّـا الـذي أَحيـىٰ الإلـهُ حِمـارَه   وقد ماتَ مِنه كلُّ عُضوٍ ومَفصَل

وأخرج أحمد في "الزهد" والبيهقيُّ وصحَّحه من طريق سليمان بن المغيرة عن حميد: «أنَّ أبا مسلمٍ الخَوْلانيَّ جاء إلىٰ الدِّجلة وهي ترمي بالخشب في مدِّها فوقف عليها، ثُمَّ حمد الله وأثنىٰ عليه وذكر تسيير بني إسرائيل في البحر، ثُمَّ نهر دابَّته فانطلقت تخوض به، واتَّبعه النَّاس حتىٰ قطعها والتفت إلىٰ أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئًا حتىٰ ندعو الله تعالىٰ فيرده؟».

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" عن شُرَحْبيل الخَوْلانيِّ قال: «تنبَّأ الأسود بن قيس بن ذي الخمار العَنْسيُّ باليمن، فأرسل إلىٰ أبي مسلمٍ فقال له: أتشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أنِّي رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: فأمر بنارٍ عظيمةٍ فأُجِّجَتْ وطُرِح فيها أبو مسلمٍ فلم تَضُرَّه، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلدك أفسدها عليك، فأمره بالرَّحيل.

فقَدِم المدينة وقد قُبض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واستُخلف أبو بكرٍ رضي الله عنه، فعقل راحلته علىٰ باب المسجد، وقام إلىٰ ساريةٍ من سواري المسجد يُصلِّي إليها، فبصر به عمر رضي الله عنه فأتاه فقال: مِن أين الرجل؟ قال: من اليمن قال: فما فعل عدوُّ الله بصاحبنا الذي حرقه بالنَّار فلم تضرَّه، قال: ذاك عبدالله بن ثُوَبٍ قال: ناشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهمَّ نعم، قال: فقبَّل ما بين عينيه، ثُمَّ جاء به حتىٰ أجلسه بينه وبين أبو بكرٍ وقال: الحمد لله الذي لم يُمتني من الدنيا حتىٰ أراني في أُمَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَن فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه الصَّلاة والسَّلام».

قال الحوطيُّ: قال إسماعيل بن عيَّاش: «فأنا أدركتُ قومًا من المدادين

الذين مدوا من اليمن يقولون لقومٍ من عَنْسٍ: صاحبكم الذي حرق صاحبنا بالنَّار فلم تضره».

ورواه ابن سعدٍ في "الطبقات" من طريق شُرَحْبيل الخَوْلانيِّ أيضًا.

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": «أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ العابد أدرك الجاهليّة، وأسلم قبل وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يرَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقَدِم المدينة حين قُبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واستُخلف أبو بكرٍ رضي الله عنه، فهو معدودٌ في كبار التَّابعين، عِداده في الشَّاميين اسمه عبدالله بن ثُوَبٍ -بضم المثلثة وفتح الواو- وقيل: عبدالله بن عوف والأول أكثر وأشهر، كان فاضلًا ناسكًا عابدًا، وله كراماتٌ وفضائل.

ومن نوادر أخباره وكراماته: ما حدَّثنا عبدالوارث بن سفيان: ثنا قاسم بن أصبغ: ثنا أحمد بن زهير: ثنا عبدالوهَّاب بن نجدة الحوطيُّ: ثنا إسماعيل بن عيَّاش قال: أخبرنا شُرَحبيل بن مسلمٍ الخَوْلانيُّ: أنَّ الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبَّأ باليمن... وذكر الخبر نحو ما تقدَّم.

قال إسماعيل بن عيَّاش: فأنا أدركت رجلًا من الأمداد الذين يمدون من اليمن من خَوْلان -يعني لأجل الغَزو والجهاد- يقول للأمداد -من عَنْس-: صاحبكم الكذَّاب حرق صاحبنا بالنَّار فلم تضرَّه».

ثم قال ابن عبدالبر: «وإسماعيل بن عيَّاش ليس بحُجَّةٍ في غير الشَّاميين، وهو فيما حدَّث به عن الشَّاميين أهل بلده لا بأس به».اهـ

قلتُ: ذكر الحافظ في "القول المُسدَّد": «أنَّ رواية إسماعيل بن عيَّاش عن الشَّاميين قويَّةٌ عند الجمهور، وإنَّما ضعَّفوه في روايته عن غير أهل الشَّام، قال:

نصَّ علىٰ ذلك يحيىٰ بن معين، وأحمد بن حنبل، وعليٌّ بن المدينيِّ، وعمرو بن علي الفلاس، وعبدالرحمن بن إبراهيم دُحَيم، والبخاريُّ، ويعقوب بن سفيان، ويعقوب بن شيبة، وأبو إسحاق الجوزجانيُّ، والنَّسائيُّ، والدولابيُّ، وأبو أحمد بن عديٍّ وآخرون، وقد وثَّقه جماعةٌ مُطلقًا».اهـ

وهذا الخبر يرويه إسماعيل عن شامي، ورجاله كلُّهم ثقاتٌ فيكون صحيحًا، هذا مع أنَّ أبا نعيمٍ رواه من طريقٍ آخر فقال: أخبرنا ثابت بن أحمد: ثنا محمَّد بن إسحاق: ثنا عبدالملك -يعني ابن عُمير- مثله.

ووقعت هذه القصَّة لرجلٍ آخر، فروىٰ ابن وهبٍ، عن ابن لَهيعة: أنَّ الأسود العَنْسيَّ لما ادَّعىٰ النُّبوَّة وغلب علىٰ صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النَّار لتصديقه بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم تضرَّه النَّار، فذكر ذلك النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في أمَّتنا مثل إبراهيم الخليل.

قال عبدان: ذؤيب هو أول من أسلم من أهل اليمن، ولا أعلم له صُحبةٌ.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي بشر جعفر بن أبي وحشيّة: أنَّ رجلًا من خَوْلان أسلم فأراده قومه علىٰ الكفر، فألقوه في النَّار فلم يحترق منه إلَّا أمكنةٌ لم يكن فيما مضىٰ يُصيبها الوضوء، فقَدِم علىٰ أبي بكرٍ رضي الله عنه فقال له: استغفر لي قال: أنت أحقّ، قال أبو بكرٍ: إنَّك أُلقيت في النَّار فلم تحترق، فاستغفر له، ثُمَّ خرج إلىٰ الشَّام فكانوا يشبهونه بإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق ضَمْرَة، عن بلال بن كعبٍ العكيِّ، قال: كان الظبي يَمرُّ بأبي مسلمِ الخَوْلانيِّ فيقول له الصِّبيان: ادع الله يحبسه علينا نأخذه

بأيدينا، فكان يدعو الله عزَّ وجلَّ فيحبسه عليهم حتىٰ يأخذوه بأيديهم.

وأخرج أيضًا من طريق ضَمْرَة، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: «كان أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ إذا انصرف إلىٰ منزله من المسجد كبَّر علىٰ باب منزله فتُكبِّر امرأته، وإذا بلغ باب بيته كَبَّر فتُجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلةٍ فكبَّر عند باب داره فلم يُجبه أحدٌ، فلمَّا كان في الصَّحن كبَّر فلم يُجبه أحدٌ، فلما كان عند باب بيته كبَّر فلم يُجبه أحدٌ، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رِداءه ونعليه ثُمَّ أتته بطعامه قال: فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سِراجٌ، وإذا امرأته جالسةٌ في البيت مُنكِّسةٌ تَنكُتُ بعودٍ معها، فقال: ما لَكِ؟ قالت: أنت لك منزلةٌ من معاوية وليس لنا خادمٌ، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك، فقال: اللهمَّ مَن أفسد عليَّ امرأتي فأعمِ بصرها، قال: وقد جاءتها امرأةٌ قبل ذلك فقالت لها: زوجك له منزلةٌ من معاوية فلو قلتِ له يسأل معاوية يُـخْدِمُه ويُعطيه عِشتُم، قال: فبينا تلك المرأة جالسةٌ في بيتها إذ أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طُفِئ؟ قالوا: لا فعرفت ذنبها، فأقبلت إلىٰ أبي مسلمٍ تبكي، وتسأله أن يدعو الله عزَّ وجلَّ لها أن يردَّ عليها بصرها، قال: فرحمها أبو مسلمٍ فدعا الله لها فردَّ عليها بصرها».

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" من طُرقٍ عن هَرِم بن حَيَّان قال: «قَدِمت الكوفة فلم يكن لي هَمٌّ إلَّا أويس أسأل عنه، فدفعت إليه بشاطيء الفُرات يتوضَّأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنَّعت، فإذا رجلٌ آدمٌ، محلوق الرَّأس، كثُّ اللِّحية، مَهيب المنظر، فسلَّمتُ عليه ومددتُ يدي لأُصافحه، فأبىٰ أن يُصافحني، فخنقتني العَبْرة لما رأيت من حاله، فقلت: السَّلام عليك يا أويس، كيف أنت يا أخي؟ قال: وأنت فحيَّاك الله يا هَرِم بن حَيَّان، من دلَّك عليَّ؟

قلتُ: الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٨]، قلت: يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي؟! فوالله ما رأيتك قطُّ ولا رأيتني، قال: عرف روحي روحك حيث كلَّمت نفسي؛ لأنَّ الأرواح لها أنفسٌ كأنفس الأجساد، وإنَّ المؤمنين يتعارفون برُوح الله عزَّ وجلَّ وإن نأت بهم الدِّيار وتفرَّقت بهم المنازل...»، وذكر خبرًا طويلًا في وصيّة أويسٍ لهَرِم بعدة وصايا، والقصّة مشهورةٌ في كتب الزّهد والمناقب.

وفي "صحيح مسلمٍ" عن أسير بن جابرٍ: أنَّ أهل الكوفة وفَدُوا إلى عُمر رضي الله عنه وفيهم رجلٌ ممَّن كان يَسخَرُ بأويسٍ، فقال عُمر: هل هاهنا أحدٌ من القرنيِّين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عُمر: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قال: «**إنَّ رجلًا يأتيكم مِن اليمن يُقال له: أُوَيسٌ، لا يَدَعُ باليمن غير أُمٍّ له، قد كان به بَيَاضٌ فدعا الله فأذهبه عنه إلَّا موضِعَ الدِّينار أو الدِّرهمِ، فمن لَقِيَهُ منكم فليستغفر لكم**».

وفي "صحيح مسلمٍ" أيضًا عن أسير بن جابرٍ قال: كان عُمر بن الخطَّاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويسُ بن عامرٍ؟ حتَّى أتى على أويسٍ فقال: أنت أويس بن عامرٍ؟ قال: نعم، قال: مِن مُرادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قال: نعم، قال: فكان بك بَرَصٌ فبَرَأتَ منه إلَّا موضع درهمٍ؟ قال: نعم، قال: لك والدةٌ؟ قال نعم، قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامرٍ مع أمْدَادِ أهل اليمن من مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كان به بَرَصٌ فبَرَأَ منه إلَّا موضع درهمٍ، له والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ، فإن استطعتَ أن يَسْتَغْفِرَ لك فافعلْ**». فاستغفر لي؛ فاستغفر له، فقال له عُمر: أين

تُرِيدُ؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتُبُ لك إلى عاملها، قال: أكون في غبراء النَّاسِ أحبُّ إليَّ... الحديث.

وفي "الصَّحيح" أيضًا من حديث عمر رضي الله عنه: «إنَّ خير التَّابعين **رجلٌ يُقال له: أويسٌ وله والدةٌ، وكان به بَياضٌ، فمُرُوهُ فليَستَغْفِرْ لكم**».

ومن أراد الاطلاع على مناقب أويسٍ فليراجع "الحلية" لأبي نعيم، و"الميزان" للذهبيِّ، و"لسان الميزان" للحافظ و"الإصابة" له، و"طبقات الصُّوفيّة" للمناويِّ، وغيرها من كتب الزّهد والرّقائق.

والعجيب أنَّ مالكًا -على جلالة قدره- كان يُنكر وجود أويسٍ ويقول: «لم يكن!»، حكاه ابن عديٍّ في "الكامل"، وتعقَّبه: بأنَّ أويسًا لا يجوز أن يُشكَّ فيه لشهرته.

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": أخبرنا محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن عبدالمؤمن: ثنا إسماعيل بن محمَّد الصفَّار ببغداد: ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي: ثنا عليُّ بن المديني: ثنا سفيان بن عُيَيْنَة قال: سمعتُ عبدالملك بن عُمير يقول: حدَّثني ربعيُّ بن حِراشٍ قال: مات أخٌ لي كان أطولنا صلاة وأصومنا في اليوم الحار، فسَجَّيناه وجلسنا عنده، فبينما نحن كذلك إذ كشف عن وجهه ثُمَّ قال: السَّلام عليكم، قلت: سبحان الله! أبعد الموت؟ قال: إنِّي لقيت ربِّي فتلقَّاني برَوحٍ وريحان ووجهٍ غير غضبان، وكساني ثيابًا خضرًا من سندسٍ وإستبرقٍ، أسرعوا بي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ فإنَّه قد أقسم ألا يبرح حتى أدركه -أو آتيه- وإنَّ الأمر أهون ممَّا تذهبون إليه فلا تغترّوا، ثُمَّ والله كأنَّما كانت نفسه حصاة فألقيت في طِستٍ.

قال عليُّ بن المديني: وقد روي هذا الحديث عن عبدالملك بن عمير غير واحدٍ منهم جرير بن عبدالحميد، وزكريّا بن يحيىٰ بن عمارة، ورواه عن ربعيٍّ بن حِراش حميد بن هلال، كما رواه عن عبدالملك بن عمير، وروىٰ عن حميد بن هلال أيوب السَّختياني، وعبدالله بن عون، ثُمَّ ذكر عليُّ بن المدينيِّ الأحاديث عنهم كلِّهم، كذا ذكره الحافظ ابن عبدالبر في ترجمة زيد بن خارجة، فالخبر في غاية الصّحة كما لا يخفىٰ.

وأخو ربعي الذي تكلَّم بعد الموت اسمه مسعود بن حِراش كما في "تهذيب التهذيب" لكن روىٰ أبو نعيمٍ في "الدلائل" من طريق عبيدة، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعيٍّ بن حِراشٍ قال: «كنَّا أربعة أخوة، وكان ربيع أخونا أكثرنا صلاة وأكثرنا صياماً في الهواجر، وإنَّه توفَّىٰ فبينما نحن حوله، وقد بعثنا من يبتاع له كفنًا، إذ كشف عن وجهه فقال: السَّلام عليكم، فقال القوم: وعليك السَّلام يا أخاه عيشًا بعد الموت؟! -يعني حياة- قال: نعم إنِّي لقيت ربِّي بعدكم، فلقيت ربًّا غير غضبان، واستقبلني برَوح وريحان وإستبرق، ألا وإنَّ أبا القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينتظر الصَّلاة عليَّ فعجلوا بي ولا تؤخِّروني، ثُمَّ كان بمنزلة حصاة رُمي بها في الطست، فنمىٰ الحديث إلىٰ عائشة رضي الله عنها فقالت: أما إنِّي سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يتكلَّم رجلٌ من أمَّتي بعد الموتِ**».

قال: وكان محمَّد بن عمر بن علىٰ الأنصاري: حدَّثنا به عن جعفر بن محمَّد بن رباح النخعيِّ، ثُمَّ سمعناه من جعفرٍ، رواه شريكٌ، والمسعوديُّ، وزيد بن أبي أنيسة، وإسماعيل بن أبي خالد، وسفيان بن عُيَيْنَة عن عبدالملك، ورواه أيوب

السَّختيانيُّ، عن حميد بن هلال عن رِبعيٍّ بن حِراشٍ».اهـ

فمقتضىٰ هذه الرواية أنَّ المتكلم ربيع، وقد راجعت ترجمة مسعود في "التاريخ الكبير" للبخاريِّ، و"الإصابة" للحافظ فلم أجد فيها إشارةً إلىٰ هذه القصّة، والله أعلم.

وقال ابن حِبَّان في "روضة العقلاء": «أنبأنا القطَّان بالرَّقَّة: ثنا نوح بن حبيب: ثنا وكيعٌ: ثنا سفيان، عن منصور، عن رِبْعِيٍّ قالوا: من ذكرت يا أبا سفيان؟ قال: ذكرت رِبعيًّا، وتدرون مَن كان ربعي؟ كان رجلًا مِن أشجع، زعم قومه أنَّه لم يكذب قطُّ، فسعىٰ به ساعٍ إلىٰ الحَجَّاج فقال: هاهنا رجلٌ زعم قومه أنَّه لم يكذب قطُّ وأنَّه يكذب لك اليوم، فإنَّك ضربت علىٰ ابنيه البعث فعصيا وهما في البيت -وكان عقوبة الحَجَّاج للعاصي ضرب السَّيف- قال: فدعاه فإذا شيخٌ مُنْحَنٍ فقال له: أنت ربعيٌّ؟ قال: نعم، قال: ما فعل ابناك؟ قال: هاهما ذان في البيت، قال: فحمله وكساه وأوصىٰ به خيرًا».

وروىٰ الخطيب في "التاريخ" هذه القصَّة، وزاد في آخرها قال الحَجَّاج: «قد عفونا عنهما بصِدْقك».

وروىٰ الخطيب أيضًا من طريق ابن أبي الدنيا قال: حدَّثني محمَّد بن الحسين: ثنا محمَّد بن جعفر بن عون: أخبرني بكر بن محمَّد العابد، عن الحارث الغنويِّ قال: «آلىٰ الربيع بن حِراشٍ ألا يفتر أسنانه ضاحكًا حتىٰ يعلم أين مصيره؟ فما ضحك إلَّا بعد موته، وآلىٰ أخوه ربعيٌّ بعده ألا يضحك حتىٰ يعلم أفي الجنَّة هو أم في النَّار؟ قال الحارث الغنويُّ: فلقد أخبرني غاسله أنَّه لم يزل مبتسمًا علىٰ سريره ونحن نُغسِّله حتىٰ فرغنا منه».

وذكر ابن عبدالبر في ترجمة حُجْرِ بن عَديٍّ قَتْلُ معاوية له على ما هو مُفصَّل في التاريخ، ثُمَّ قال: «ولمَّا بلغ الرَّبيع بن زياد الحارثي -من بني الحرث بن كعب- وكان فاضلًا جليلًا، وكان عاملًا لمعاوية على خُراسان، وكان الحسن بن أبي الحسن كَاتبَه فلمَّا بلغه قَتْلُ معاوية حُجْرَ بن عديٍّ دعا الله عزَّ وجلَّ فقال: اللهمَّ إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجِّل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات».اهـ

والربيع بن زياد الحارثي ذكره ابن عبدالبر في "الاستيعاب" وقال: له صحبةٌ ولا أعرف له روايةً، لكن قال أبو أحمد العسكريُّ: أدرك الأيام النَّبويَّة، ولم يقدم المدينة إلَّا في أيام عمر رضي الله عنه، وذكره البخاريُّ وابن أبي حاتم وابن حِبَّان في التَّابعين، ولم يكن في عصره عربيٌّ ولا عجميٌّ أعلم بالنُّجوم منه، وفي "الإصابة" وغيرها بقيَّة أخباره.

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق عمرو بن عاصم عن همَّام عن قتادة قال: «سأل عامر بن عبد قيس ربَّه أن يُهوِّن عليه الطُّهُورَ في الشِّتاء، وكان يُؤتى بالماء البارد وله بخارٌ».

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق عُمارة بن أبي شعيبٍ الأزديِّ: ثنا مالك بن دينار قال: «مرَّ عامر بن عبد قيسٍ، فإذا قافلةٌ قد احتبست فقال لهم: مالكم لا تمرُّون؟ فقالوا: الأسد حال بيننا وبين الطَّريق، قال: هذا كلبٌ من الكلاب فمرَّ به حتى أصاب ثوبه فمَّ الأسد».

وأخرج أيضًا من طريق أحمد بن أبي الحواريِّ، عن أبي سليمان الدَّارانيِّ قال: «قيل لعامر بن عبد قيسٍ: النَّار قد وقعت قريبًا من دارك، فقال: دعوها

فإنَّها مأمورةٌ، وأقبل علىٰ صلاته فأخذت النَّار، فلمَّا بلغت داره عَدَلَتْ عنها».

وله كرامةٌ أُخرىٰ أسندها أبو نعيمٍ في "الحلية" أيضًا.

وأخرج الحافظ أبو محمَّد الخَلّال في "كرامات الأولياء"، والحافظ أبو القاسم بن مَنْدَه في كتاب "الأهوال والإيمان بالسؤال"، وأبو الحسين بن العريف في "فوائده" عن الحسن بن صالح بن حي قال: «قال لي أخي علي بن صالح في الليلة التي تُوفِّي فيها: يا أخي اسقني ماءً، وكنت قائمًا أُصلِّي، فلما قضيتُ صلاتي أتيته بماءٍ فقلتُ: اشرب، فقال لي: شربت السَّاعة، فقلتُ: مَن سقاك وليس في الغُرفة غيري وغيرك؟ فقال: أتاني جبريل السَّاعة بماءٍ فسقاني، وقال لي: أنت وأخوك وأُمُّك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وخرجتْ نفسه».

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": أخبرنا عبدالرحمن بن يحيىٰ: ثنا أحمد بن سعيد: ثنا إسحق بن إبراهيم بن النعمان: ثنا محمَّد بن علي بن مروان: ثنا موسىٰ بن إسماعيل: ثنا حمَّاد بن سلمة، ثنا علي بن زيد بن جدعان قال: قال لي سعيد بن المُسيِّب: «انظر إلىٰ وجه هذا الرجل، فنظرت فإذا هو مُسودُّ الوجه، فقال: سَلْه عن أَمْرِه، فقلت: حسبي أنت، فحدِّثني قال: إنَّ هذا كان يَسبُّ عليًّا وعثمان رضي الله عنهما، فكنت أنهاه فلا ينتهي، وقلت: اللهمَّ هذا يَسبُّ رجلين قد سبق لهما ما تعلم، اللهمَّ إن كان يُسخطك ما يقول فيهما فأرني فيه آيةً، فاسودَّ وجهه كما ترىٰ».

وأخرج أبو نعيمٍ في «الحلية» من طريق الهيثم بن عليٍّ، ثنا يحيىٰ بن سعيد بن المُسيِّب قال: قال سعيد: «دخلت المسجد في ليلة إِضْحَيَانٍ، وأظنُّ أنِّي قد

أصبحتُ فإذا اللَّيل علىٰ حاله، فقمت أُصلِّي فجلست أدعو، فإذا هاتفٌ يهتف من خلفي: يا عبدالله، قل، قلت: ما أقول؟ قل: اللهمَّ إنِّي أسالك بأنَّك مالك الملك، وأنَّك علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، وما تشاء من أمرٍ يكن، قال سعيد: فما دعوت بها قطُّ بشيءٍ إلَّا رأيت نجحه».

وأخرج أبو زرعة الدمشقيُّ، ويعقوب بن سفيان في "تاريخهما" بسندٍ صحيحٍ -كما قال الحافظ- عن سليم بن عامر: أنَّ النَّاس قُحِطوا بدمشق فخرج معاوية يستسقي بيزيد بن الأسود فسُقوا.

ويزيد هذا كان عابدًا خَشِنًا -كما قال ابن حِبَّان- أدرك الجاهليّة.

قال ابن مَنْدَهْ: «ذُكر في الصّحابة ولم يثبت».اهـ

ولما زاره واثلة بن الأسقع أخذ كفَّه فجعل يُمرُّها علىٰ صدره مرَّةً، وعلىٰ وجهه مرةً، تبرُّكًا بها لموضع كفِّ واثلة من يد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ومثل هذا ما صحَّ عن ثابت البُنَانيُّ قال: «كنت إذا أتيت أنسًا يُخبَر بمكاني، فأدخل عليه فآخذ بيديه فأُقبِّلها، فأقول: بأبي هاتين اليدين اللَّتين مسَّتا رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأُقبِّل عينيه وأقول بأبي هاتين العينين اللَّتين رأتا رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم»، رواه أبو يعلىٰ بإسنادٍ صحيحٍ.

والأحاديث في التَّقبيل وفي تبرُّك الصحابة والتابعين بآثار رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كثيرةٌ يطول تتبُّعها، ويخرج بنا عن مقصود الكتاب، وقد كنت ألَّفت باستدعاء بعض العلماء جزءًا صغيرًا سمَّيته "إعلام النَّبيل بجواز التَّقبيل" جمعتُ فيه جُملةً من الأحاديث والآثار وطبعته، ثُمَّ وقفت علىٰ أحاديث وآثار لم أذكرها في ذلك الجزء، وفي عزمي أن أجمعها وأتوسَّع في

الكلام عليها؛ لأنِّي سمعت نجديًّا من الوهَّابية المُجسِّمة يُبالغ في إنكار التَّقبيل، ويصف فاعله بأشنع الأوصاف ويُنكر ما ورد فيه بكلِّ جهلٍ ووقاحةٍ، وهذا شأنه في كلِّ ما لا يوافق هواه، مع أنِّي جرَّبتُ عليه الكذب والتَّهاون في الصَّلاة، وقانا الله شرَّ الفتن.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدَّثني محمَّد بن عُبيد بن حِساب: ثنا جعفر بن سليمان: حدَّثه أبو التياح قال: «كان مُطرِّف بن عبدالله يَبْدُو -أي: يخرج إلى البادية- فإذا كان ليلة الجمعة أَدْلَجَ على فرسه، فربَّما نوَّر له سَوطه قال: فأَدْلَجَ ليلةً، حتى إذا كان عند القبور هُوِّم على فرسه قال: فرأيتُ أهل القبور، صاحب كلِّ قبرٍ جالسًا على قبره، فلما رأوني قالوا: هذا مُطرِّف يأتي الجمعة، قال: قلتُ:أتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما تقول الطَّير فيه، قلت: وما تقول الطَّير؟ قالوا: تقول سلامٌ سلامٌ من يومٍ صالحٍ».

وقال عبدالرزَّاق: ثنا مَعْمَرٌ، عن قتادة قال: «كان مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير وصاحبٌ له سَريا في ليلةٍ مُظلمةٍ، فإذا طَرَفُ سَوْطِ أحدهما عنده ضَوْءٌ، فقال: أما إنَّا لو حدَّثنا النَّاسَ بهذا لكذَّبونا، فقال مُطرِّفٌ: المُكذِّبُ أَكْذَبُ، يقول: المُكذِّب بنعمة الله أَكْذَبُ».

وروى الحسين بن منصور: ثنا حجَّاج بن محمَّد، عن مهديِّ بن ميمون، عن غَيْلَان بن جَريرٍ قال: «أقبل مُطرِّف مع ابن أخٍ له من البادية وكان يَبدو، فبينا هو يسير سمع في طَرَف سَوطه كالتّسبيح، فقال له ابن أخيه: يا أبا عبدالله لو حدَّثنا النَّاسَ بهذا كذَّبونا، فقال مُطرِّف: المُكذِّبُ أَكْذَبُ النَّاس».

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عفَّان، ثنا حمَّاد، عن ثابتٍ، عن مُطرِّفٍ: أنَّه

أقبل من مَبْدَاه، فجعل يسير بالليل فأضاء له سوطه.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدَّثني أبي: ثنا هاشم بن القاسم: ثنا سليمان بن المغيرة قال: كان مُطرِّفٌ إذا دخل بيته سبَّحتْ معه آنية بيته.

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال قال: كان بين مُطرِّفٍ وبين رجلٍ من قومه شيءٌ، فقال له مُطرِّف: إن كنت كاذبًا فأماتك الله أو تَعجَّل الله بك، قال: فخرَّ ميتًا مكانه، قال: فاستعدىٰ أهله زيادًا -وهو علىٰ البصرة- فقال لهم زيادٌ: هل ضربه؟ هل مَسَّه؟ فقالوا: لا، فقال زيادٌ: هي دعوة رجلٍ صالحٍ وافقت قَدَر الله.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: ثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا أبو عامر القيسيُّ، ثنا بشر بن كثير الأسديُّ قال: رأيت مُطرِّف بن عبدالله إذا نزل باديةً خَطَّ مسجدًا وركَّز عصاه حِيال وجهه، وكان كلبٌ أبيضُ يمرُّ بين يديه وهو يُصلِّي فلا ينصرف، فقال: اللهمَّ احرمه صيده، قال بشرٌ: فلا أعلمه إلَّا كان يُخالط الصَّيد فلا يصيد.

وقال أبو العبَّاس السَّرَّاج: ثنا حاتم بن اللَّيث: ثنا خالد بن خِداشٍ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ: ثنا غَيْلان بن جريرٍ قال: حبس الحجَّاج مُورِّقًا العجليَّ في السِّجن، فقال لي مُطرِّف بن عبدالله: تعالىٰ حتىٰ ندعو وأمِّنوا، فدعا مُطرِّف وأمَّنَّا علىٰ دعائه، فلمَّا كان العشاء خرج الحجَّاج ودخل النَّاس ودخل أبو مُورِّقٍ فيمن دخل، فقال الحجَّاج لحرسه: اذهب إلىٰ السِّجن فادفع ابن هذا الشَّيخ إليه، قال خالدٌ: من غير أن يُكلِّمه فيه أحدٌ من النَّاس.

وقال سلمة بن شَبِيبٍ: ثنا عبدالله بن جعفر: ثنا الحسن بن عمرو الفزاريُّ،

عن ثابتٍ البُنَانيِّ ورجلٌ آخر: أنَّهما دخلا علىٰ مُطرِّفٍ وهو مُغمًىٰ عليه، فسطعت منه أنوارٌ ثلاثةٌ: نورٌ من رأسه، ونورٌ من وسطه، ونورٌ من رجليه وقدميه قال: فهالنا ذلك، فأفاق فقالا له: كيف أنت يا أبا عبدالله؟ فقال: صالحٌ، فقيل: لقد رأينا شيئًا هالنا، قال: وما هو؟ قلنا: أنوارٌ سطعت منك قال: وقد رأيتم؟ قالوا: نعم، قال: تلك تنزيل السَّجدة وهي ثلاثون آيةً، سطع أولها من رأسي، ووسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صُوِّرت تشفع لي، فهذا ثوابها يَحرسني.

قلتُ: كرامات مُطرِّفٍ كثيرةٌ مُخرَّجةٌ في "طبقات ابن سعدٍ" وكتاب "الزهد" للإمام أحمد، وزوائده لابنه عبدالله، وكتاب "مجابي الدعوة" لابن أبي الدنيا، و"الحلية" لأبي نعيم وغيرها، وقد وُلد في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأبوه عبدالله بن الشِّخِّير صحابيٌّ ذكره ابن سعد في طبقة مُسلِمة الفتح، وقال ابن مَنْدَهْ: وفد في وفد بني عامرٍ.

وقال عبدالله بن المبارك: أخبرنا جرير بن حازمٍ: ثنا حميد بن هلالٍ، عن صِلةِ بن أَشْيَم العدويِّ قال: «خرجنا في بعض قرىٰ نهر تيرَىٰ، أسير علىٰ دابتي في زمن فيوض الماء، فأنا أسير علىٰ مُسنَّاةٍ، فسِرتُ يومًا لا أجد شيئًا آكله فاشتدَّ جُوعي فلقيني عِلْجٌ يَحمل علىٰ عاتقه شيئًا، فقلت: ضَعه فوضعه، فإذا هو خبزٌ فقلتُ: أطعمني منه، فقال: نعم إن شئت، ولكن فيه شَحمُ خِنزيرٍ، فلمَّا قال ذلك تركته ومضيتُ، ثُمَّ لقيني آخر يَحمل طعامًا، فقلت له: أطعمني منه، فقال: تزودتُ هذا لكذا وكذا من يومٍ، فإن أخذت منه شيئًا أضررت بي وأجعتني، فتركته ثُمَّ مضيتُ، فوالله إنِّي لأسير إذ سمعت خلفي وَجْبةً كوجبة

الطَّير-يعني صوت طيرانه- فالتفتُّ فإذا بشيءٍ ملفوفٍ في سِبٍّ أبيضَ-أي: خمارٍ- فنزلت إليه فإذا هو دَوخلةٌ من رُطَبٍ في زمانٍ ليس في الأرض رُطبةٌ، فأكلتُ منه ولم آكل قطُّ رطبًا أطيب منه وشربت من الماء، ثُمَّ لفَفْتُ ما بقي منه، وركبت الفرس وحملت معي نَواهُنَّ، قال جرير بن حازم: فحدَّثني أوفى بن دَلْهَمٍ قال: رأيت ذلك السِبَّ مع امرأته ملفوفًا فيه مُصحفٌ، ثُمَّ فُقِد بعد ذلك، قال: فلا يدرون أَسُرِق أم ذهب أم ما صُنع به؟».

وقال ابن المبارك أيضًا: ثنا المستلم بن سعيد الواسطيُّ: أخبرنا حمَّاد بن جعفر بن زيد: أنَّ أباه أخبره قال: «خرجنا في غَزَاةٍ إلى كَابُلَ، وفي الجيش صِلة بن أَشْيَم قال: فترك النَّاس عند العتمة فقلت: لأرمقنَّ عمله فأنظر ما يذكر النَّاس من عبادته، فصلَّى -أُراه العتمة- ثُمَّ اضطجع فالتمس غفلة النَّاس، حتى إذا قلتُ: هدأت العيون، وثَبَ فدخل غَيْضةً قريبةً منَّا، فدخلت أَثَره، فتوضَّأ ثُمَّ قام يُصلِّي فافتتح الصَّلاة، قال: وجاء أسدٌ حتى دنا منه، قال: فصَعِدتُ إلى شجرةٍ، قال: أَفَتُراه التفتَ إليه أو عَذَبَه -أي: طرده- حتى سجد؟ فقلت: الآن يفترسُه، فلا شيء، فجلس ثُمَّ سلَّم فقال: أيها السَّبُع اطلب الرِّزق من مكانٍ آخر، فولَّى وإن له لزئيرًا أقول: تصدَّعت منه الجبال، فما زال يُصلِّي حتى لما كان عند الصُّبح جلس فحَمِد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلَّا ما شاء الله، ثُمَّ قال: اللهمَّ إنِّي أسالك أن تُجيرني من النَّار، أَوَمِثلي يجترئ أن يسألك الجنَّة؟ ثُمَّ رجع فأصبح كأنَّه بات على الحَشَايا -أي: الوسائد المحشوة قطنًا- وقد أصبحتُ وفيَّ من الفترة شيءٌ الله تعالى به عليمٌ».

وقال أبو الشيخ بن حَيَّان: حدَّثت عن عبدالله بن خُبَيقٍ: أخبرني نَجْدةَ بن

المبارك: حدَّثني مالك بن مِغْولٍ قال: «كان بالبصرة ثلاثةٌ مُتعبِّدون: صِلة بن أَشْيم، وكُلثوم بن الأسود، ورجلٌ آخر فكان صِلة إذا كان اللَّيل خرج إلىٰ أَجَمَةٍ يعبدالله تعالىٰ فيها، ففَطِن له رجلٌ فقام له في الأَكَمَة لينظر إلىٰ عبادته، فأتىٰ سَبُعٌ فبصر به صِلة فأتاه فقال: قم أيُّها السَّبُع فابتغ الرِّزق، فتمطَّىٰ السَّبُع وذهب، ثُمَّ قام لعبادته فلمّا كان في السَّحر قال: اللهمَّ إنَّ صلة ليس بأهلٍ أن يسألك الجنَّة ولكن سِترًا من النَّار».

قلت: صِلة بن أَشْيم -بوزن أحمر- أبو الصَّهباء العبديُّ تابعيٌّ مشهورٌ ورد في فضله حديثٌ رواه أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق ابن المبارك، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: بلغنا أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يكون في أمَّتي رجلٌ يقال له: صِلَة، يدخل الجنَّة بشفاعته كذا وكذا**».

وكانت امرأته مُعاذة بنت عبدالله العدوية -أُمُّ الصَّهباء- من العابدات الصّالحات، لها مناقب وكراماتٌ منها ما رواه عبدالعزيز المشرقيُّ في "فوائده" والدولابيُّ في "الكُنىٰ والأسماء" عن أبي بشرٍ -شيخٍ من أهل البصرة- قال: أتيت مُعاذة العدويّة فقالت: «ألا أعجبك يا أبا بشرٍ؟ شربت دواء للمشي فاشتدَّ بطني! فنعت لي نبيذ جَرٍّ، فأتيتها بقدحٍ منه فدعت بمائدتها فوضعت القدح عليها، ثُمَّ قالت: اللهمَّ إن كنت تعلم أنِّي سمعت عائشة أمَّ المؤمنين تقول: «سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينهي عن نَبيذ الجَرِّ»، فاكفني هذا القدح بما شئت، قال: فانكفأ القدح وأُهرِيق ما فيه، ثُمَّ عاد علىٰ حاله من غير أن يمسَّه أحدٌ، قال أبو بشرٍ: وأنا حاضرٌ لذلك، وأذهب الله ما كان في بطنها من أذًىٰ».

قلتُ: كانت مُعاذة ثقةٌ، خرَّج لها الأئمَّة الستة في كتبهم، وحديثها في نبيذ الجرِّ مُخَرَّجٌ في "الصَّحيح".

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني محمد بن عُبيد بن حِساب: ثنا جعفر بن سليمان: ثنا هشام بن زياد -أخو العلاء بن زياد- قال: كان العلاء بن زياد يُحيي كلَّ ليلة جمعةٍ، فوجد ليلةً فترةً فقال لامرأته: يا أسماء، إنِّي أجد فترةً، فإذا مضىٰ كذا وكذا، فأيقظيني، قالت: نعم، فأتاه آتٍ في منامه، فأخذ بناصيته، فقال: يا ابن زياد قُم فاذكر الله يذكرك، قال: فقام فما زالت تلك الشَّعرات التي أخذها منه قائمةً حتىٰ مات رحمه الله.

وأخرج أبو نعيم من طريق سَيَّار: ثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينارٍ يسأل هشام بن زياد العدويَّ عن هذا الحديث فحدَّثنا به يومئذٍ فقال: تجهَّز رجلٌ من أهل الشَّام وهو يريد الحجَّ فأتاه آتٍ في منامه، فقال: ائتِ العراق، ثُمَّ ائتِ البصرة، ثُمَّ ائتِ بني عديٍّ، فائت بها العلاء بن زيادٍ، فإنَّه رجلٌ أقصم الثنيَّة بسَّام، فبشِّره بالجنَّة، قال: فقال: رؤيا ليست بشيءٍ، حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية رَقَد فأتاه آتٍ، فقال: ألا تأتي العراق؟ فذكر مثل ذلك، حتىٰ إذا كانت الليلة الثالثة جاءه بوعيد، فقال: ألا تأتي العراق ثُمَّ تأتي البصرة، ثُمَّ تأتي بني عديٍّ؟ فتلقىٰ العلاء بن زيادٍ رجلٌ رِبعة أقْصَم الثنيَّة بسَّام فبشِّره بالجنَّة، فأصبح وأخذ جِهازه إلىٰ العراق، فلما خرج من البيوت إذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه ما سار، فإذا نزل فقده، فلم يزل يراه حتىٰ دخل الكوفة ففقده قال: فتجهَّز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه ما سار، حتىٰ قدم البصرة فأتىٰ بني عديٍّ، فدخل دار العلاء بن زيادٍ، فوقف الرجل علىٰ باب العلاء،

فسلَّم، قال هشام: فخرجتُ إليه، فقال لي: أنت العلاء بن زيادٍ؟ قلت: لا، وقلتُ:انزل رحمك الله فضع رحلك وضع متاعك، فقال: لا، أين العلاء بن زيادٍ؟ قلتُ: هو في المسجد، قال: وكان العلاء يجلس في المسجد ويدعو بدعواتٍ ويُحدِّث، قال هشامٌ: فأتيت العلاء، فخفَّف من حديثه وصلَّى ركعتين، ثُمَّ جاء فلمَّا رآه العلاء تبسَّم فبدت ثنيَّته، فقال: هذا والله صاحبي، قال: فقال العلاء: هلَّا حططت رحل الرجل؟ هلَّا أنزلته؟ قال: قد قلتُ له فأبىٰ، قال: فقال الرجل: أَخْلِني، قال: فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماء تَحوَّلي إلىٰ البيت الآخر، قال: فتحوَّلتْ ودخل الرجل وبشَّره برؤياه، ثُمَّ خرج فركب، قال: وقام العلاء فأغلق بابه وبكىٰ ثلاثة أيام -أو قال: سبعة أيام- لا يذوق فيها طعامًا ولا شرابًا ولا يفتح بابه، فقال: فسمعته يقول في خلال بكائه: أنا أنا، قال: فكنَّا نهابه، وخشيت أن يموت، فأتيت الحسن فذكرت له ذلك وقلت: لا أُرَاه إلَّا ميتًا لا يأكل ولا يشرب، باكيًا، قال: فجاء الحسن حتىٰ ضرب عليه بابه وقال: افتح يا أخي، فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه، وبه من الضرِّ شيءٌ الله به عليمٌ، فكلَّمه الحسن، ثُمَّ قال: رحمك الله ومن أهل الجنَّة إن شاء الله، أفقاتلٌ نفسك أنت؟، قال هشامٌ: حدَّثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا، وقال: لا تُحدِّثوا بها ما كنت حيًّا.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق محمَّد بن سِنانٍ القزَّاز: ثنا سَيَّار بن جسرٍ، عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتًا البُنانيَّ لحده، ومعي حُميد الطَّويل أو رجلٍ غيره -شكَّ محمَّد- قال: فلمَّا سوَّينا عليه اللَّبن سقطت لَبِنةٌ، فإذا أنا به يُصلِّي في قبره فقلتُ: للذي معي ألا ترىٰ، قال: اسكت فلمَّا سوَّينا

عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابتٍ؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنةً، فإذا كان السَّحَر قال في دعائه: اللهمَّ إن كنت أعطيتَ أحدًا من خلقك الصَّلاة في قبره فأعطينيها، فما كان الله ليردَّ ذلك الدُّعاء.

وأخرج ابن جريرٍ في "تهذيب الآثار"، وأبو الشّيخ ابن حَيَّان، وأبو نعيمٍ عن إبراهيم بن الصِّمَّة المُهلَّبيِّ قال: حدَّثني الذين كانوا يمرّون بالحُفَر بالأسحار قالوا: كنَّا إذا مررنا بجنبات قبر ثابتٍ سمعنا قراءة القرآن.

وقال ابن عقيل في "شمائل الزّهاد": أنا محمَّد بن إبراهيم: أنا أبو الرّبيع: سمعت أبا يعمر بالري يقول: كان أيوب السّختياني في طريق مكَّة، فأصاب النَّاسَ عطشٌ وخافوا، فقال أيوب: تكتمون عليَّ؟ قالوا: نعم، فدوّر دائرة ودعا، فنبع الماء فرووا وسقوا الجمال، ثُمَّ أَمَرَّ يده على الموضع، فصار كما كان، قال أبو الرّبيع: فلما رجعت إلى البصرة حدَّثت حمَّاد بن زيد، فقال: حدَّثني عبدالواحد بن زيد: أنَّه كان مع أيوب في هذه السَّفرة التي كان هذا فيها.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق النَّضر بن كثير السعديِّ: ثنا عبدالواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب السَّختياني على حِراء، فعطشت عطشًا شديدًا حتى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش وقد خِفتُ على نفسي، قال: تستر عليَّ؟ قلتُ: نعم، قال: فاستحلَفَني، فحلفت له ألا أخبر عنه مادام حيًّا، قال: فغمز برجله على حِراء فنبع الماء، فشربت حتى رَوِيتُ وحملت معي من الماء، قال: فما حدَّثت به أحدًا حتى مات، قال عبدالواحد: فأتيت موسى الأسواريَّ فذكرت له ذلك، فقال ما بهذه البلدة -يعني البصرة- أفضل

من الحسن وأيوب.

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا عن عاصم: أنَّ مُورِّقًا العجليَّ كان يجد نفقته تحت رأسه.

وأخرج أيضًا عن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينارٍ يقول: لَمَّا كان يوم الزَّاوية قال عبدالله بن غالبٍ: إنِّي لأرىٰ أمرًا مالي عليه صبرٌ، رَوِّحوا بنا إلىٰ الجنَّة قال: فكسر جَفْن سيفه ثُمَّ تقدَّم، فقاتل حتىٰ قُتل قال: فكان يوجد من قبره ريح المسك.

وروي عن جعفر أيضًا قال: ثنا أبو عيسىٰ قال: لما كان يوم الزَّاوية رأيت عبدالله بن غالبٍ دعا بماءٍ فصبَّه علىٰ رأسه، وكان صائمًا وكان يومًا حارًّا وحوله أصحابه، ثُمَّ كسر جَفن سيفه فألقاه ثُمَّ قال لأصحابه: رَوِّحوا بنا إلىٰ الجنَّة قال: فنادىٰ عبدالملك بن الُمهلَّب: أبا فِراس أنت آمن أنت آمن، فلم يلتفتَ إليه، ثُمَّ مضىٰ فضرب بسيفه حتىٰ قُتل، قال: فلمَّا دُفن كان النَّاس يأخذون من تراب قبره كأنَّه مسكٌ يُصِرُّونه في ثيابهم.

قلتُ: عبدالله بن غالبٍ الحُدَّانيُّ -بضم الحاء وتشديد الدال- التَّابعيُّ، يُكنىٰ أبا قريشٍ كان عابدًا ثقةً، روىٰ عن أبي سعيد الخدريِّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَصلَتان لا تجتمعان في مؤمنٍ: البُخْلُ وسُوءُ الخُلُقِ**» رواه البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والترمذيُّ، وأبو نعيمٍ، وغيرهم، وقال البزَّار: لا نعلمه أسند غير هذا الحديث.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق حاتم بن الليث حدَّثني غَسَّان بن الُمفَضَّل: حدَّثني إبراهيم بن إسماعيل -وكان ثقةً- قال: كان بين سليمان التيميِّ وبين

رجلٍ منازعةٌ في شيء، فتناول الرجل سليمان فغَمَزَ بطنه قال: فجفَّتْ يد الرجل.

وقال جعفر الفِريابيُّ: ثنا عبَّاسٌ: ثنا يحيىٰ بن أبي بكيرٍ: ثنا شعبة عن هشام بن حسَّانٍ قال: صلَّيتُ إلىٰ جنبب منصور بن زاذان فيما بين المغرب والعشاء الآخرة، فقرأ القرآن وبلغ بالثانية إلىٰ النَّحل.

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق مَخْلَدُ بن الحسين، عن هشام بن حسانٍ قال: صلَّيتُ إلىٰ جنب منصور بن زاذان يوم الجمعة -في مسجد واسط- فختم القرآن مرَّتين، والثالثة إلىٰ الطَّواسين، وكان عليه عِمامةٌ كوَّرها اثني عشر ذراعًا، فبلَّها بدموعه ووضعها قُدَّامه.

روىٰ أيضًا من طريق مخلد بن الحسين، عن هشام بن حسانٍ قال: كنت أُصلِّي أنا ومنصور بن زاذان جميعًا -وأشار مخلدٌ بأصبعيه السبَّابة والتي تليها- فكان إذا جاء شهر رمضان ختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمتين، ثُمَّ يقرأ إلىٰ الطَّواسين قبل أن تُقام الصَّلاة، قال: وكانوا إذ ذاك يؤخِّرون العِشاء في شهر رمضان إلىٰ أن يذهب ربع الليل، فكان منصورٌ يجيء والحسن جالسٌ مع أصحابه فيقوم إلىٰ عمودٍ يُصلِّي، فيختم القرآن، ثُمَّ يأتي الحسن فيجلس قبل أن يفترق أصحابه، وكان يختم القرآن فيما بين الظّهر والعصر، ويختمه فيما بين المغرب والعِشاء في غير شهر رمضان، وكان يأتي وقد سَدَل عِمامته علىٰ عاتقه فيقوم يُصلِّي ويبكي ويمسح بعِمامته عينيه، فلا يزال حتىٰ يبلَّها كلَّها بدموعه ثُمَّ يلفَّها ويضعها بين يديه، قال مخلدٌ: ولو أنَّ غير هشامٍ يُخبرني بهذا ما صدَّقته.

قلتُ: هذه الآثار صحيحةٌ، ولا شكَّ أنَّ قراءة القرآن مرَّتين وثلاثًا في المُدَّة اليسيرة كرامةٌ كبيرةٌ.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق يونس بن عبدالأعلىٰ: ثنا ابن وهبٍ: ثنا ابن زيدٍ قال: قال محمَّد بن المُنكَدِر إنِّي لليلةً حِذاء هذا المنبر جوفَ الليل أدعو، إذا إنسانٌ عند اسطوانةٍ مُقنَّعٌ رأسه فأسمعه يقول: أي ربِّ إنَّ القحط قد اشتدَّ علىٰ عبادك، وإنِّي مُقسمٌ عليك يا ربِّ إلَّا سقيتهم، قال: فما كان إلَّا ساعةٌ إذا بسحابةٍ قد أقبلت، ثُمَّ أرسلها الله سبحانه -وكان عزيزًا علىٰ ابن المنكدر أن يخفىٰ عليه أحدٌ من أهل الخير- فقال: هذا في المدينة ولا أعرفه؟ فلمَّا سلَّم الإمام تقنَّع وانصرف، فاتَّبعه ولم يجلس للقاصِّ حتىٰ أتىٰ دار أنسٍ، فدخل موضعًا وأخرج مِفتاحًا ففتح ثُمَّ دخل، قال: ورجعت فلما أصبحت أتيته، فإذا أنا أسمع نَجْرًا في بيته فسلَّمتُ، ثُمَّ قلتُ: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو يَنْجُر أقداحًا يعملها، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهدها وأعظمها منِّي، فلمَّا رأيتُ ذلك قلتُ: إنِّي سمعتُ البارحة إقسامك علىٰ الله عزَّ وجلَّ يا أخي، هل لك في نفقةٍ تغنيك عن هذا، وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحدٍ ولا تذكر هذا عند أحدٍ حتىٰ أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنَّك إن أتيتني شهرتني للنَّاس، فقلتُ: إنِّي أحبُّ أن ألقاك، قال: القني في المسجد، وكان فارسيًّا، قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحدٍ حتىٰ مات الرجل رحمه الله، قال ابن وهبٍ: بلغني أنَّه انتقل من تلك الدَّار فلم يره ولم يدرِ أين ذهب، فقال أهل تلك الدَّار: الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنَّا الرجل الصَّالح.

وقال عبدالله بن المبارك: ثنا عيسىٰ بن عمر: حدَّثني حوط بن رافعٍ: أنَّ عمرو بن عتبة كان يشترط علىٰ أصحابه: أن يكون خادمهم، قال: فخرج في

الرعي في يوم حارٍّ، فأتىٰ بعض أصحابه فإذا هو بالغمامة تُظلُّه وهو قائمٌ، فقال: أبشر يا عمرو فأخذ عليه عمرو ألا يخبر أحدًا.

وقال أيضًا: ثنا الحسن بن عمرو الفزاريُّ: حدَّثني مولىٰ لعمرو بن عتبة قال: استيقظنا يومًا حارًّا في ساعةٍ حارَّةٍ، فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبلٍ وهو ساجدٌ وغمامةٌ تُظلُّه، وكنَّا نخرج إلىٰ العدوِّ فلا نَتَحارس لكثرة صلاته، ورأيته ليلةً يُصلِّي فسمعنا زئير الأسد فهربنا، وهو قائمٌ يُصلِّي لم ينصرف، فقلنا له: أما خِفتَ الأسد؟ فقال: إنِّي لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سِواه.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني محمَّد بن العبَّاس -صاحب الشَّامة- ثنا عبدالله بن داود، عن عليِّ بن صالحٍ قال: كان عمرو بن عتبة يسوق -أو يزود- ركائب أصحابه وغَمامةٌ تُظلُّه.

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق عبدالله بن داود عن عليِّ بن صالحٍ قال: كان عمرو بن عتبة يرعىٰ ركائب أصحابه وغَمامةٌ تُظلُّه.

وروىٰ أبو نعيمٍ أيضًا من طريق عبدالله بن داود، عن عليِّ بن صالحٍ قال: كان عمرو بن عتبة يُصلِّي والسَّبُع حوله يَضرب بذَنَبِه يَحميه.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني أبي وأبو سعيد الأشجُّ: ثنا محمَّد بن فُضيلٍ: حدَّثني إبراهيم -مؤذِّن بني حنيفة- قال: أَمَرَ الحجَّاج بماهان -هو أبو صالح الحنفيُّ- أن يُصلب علىٰ بابه قال: ورأيته حين رُفع علىٰ خشبةٍ يُسبِّح ويُهلِّل ويُكبِّر ويعقد بيده حتىٰ بلغ تسعًا وعشرين قال: وطعنه الرجل علىٰ تلك الحال، فلقد رأيته بعد شهرٍ معقودًا بيده تسعةً وعشرين، وكنَّا نرىٰ عنده الضَّوْء بالليل شِبْهَ السِّراج.

وقال عبدالله أيضًا: حدَّثني أبي: ثنا حسين بن علي، عن الحسن بن الحر، عن ميمون بن أبي شَبِيب قال: أردت الجمعة زمن الحجَّاج، فتهيَّأت للذهاب ثُمَّ قلت: أين أذهب أُصلِّي خلف هذا؟ فقلتُ مرّةً: أذهب، وقلت مرّةً: لا أذهب، فأجمع رأيي على الذهاب، فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، قال: فذهبتُ، قال: وجلستُ مرّةً أكتب كتابًا فعرض لي شيءٌ إن أنا كتبته في كتابي زُيِّن كتابي وكنت قد كذبت، وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القُبح وكنتُ قد صَدَقتُ، فقلت مرَّةً: أكتبه، وقلت مرَّةً: لا أكتبه، فأجمعت رأيي على تركه، قال: فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وأخرج أبو نعيم من طريق عِمران بن عمرو الياميُّ -ابن أخ زُبيدٍ اليامي- قال: كان زبيدٌ الياميُّ حاجًّا فاحتاج إلى الوضوء، فقام فتنحَّى فقضى حاجته ثُمَّ أقبل فإذا هو بماءٍ في موضع ولم يكن معهم ماء فتوضَّأ، ثُمَّ جاء يُعلمهم ليأخذوا منه ويتوضَّؤا، فلم يجدوه ووجدوه قد ذهب.

وروى أيضًا من طريق عِمران بن عمرو الياميُّ -ابن أخ زُبيد- قال: كان معاوية بن خديج -يعني أبا زهير بن معاوية- تزوَّج امرأةً من آل خارجة زوَّجها أخوها، وغضب أخٌ لها آخر فخرج إلى الوالي قال: فكتب إلى يوسف بن عمر انظر شاهديه واحبسهما، قال: وكان أحد الشّاهدين زُبيدًا، قال: فتغيب وحضر الحجَّ فقال: اللهمَّ ارزقني حجَّ بيتك في عامي هذا ثُمَّ لا ترني يوسف

أبدًا، قال: فرزقه الله الحجَّ ومات في انصرافه ودفن في النقرة.

قلتُ: زُبيد -بضم الزاي- ابن الحارث اليامي، ويقال: الأيامي أبو عبدالرحمن، كان ثقةً زاهدًا عابدًا، قال شعبة: ما رأيت رجلًا خيرًا وأفضل من زُبيد، وقال سعيد بن جبير: لو اخترت عبدًا لله أكون في مِسْلَاخه لاخترت زُبيدًا الياميَّ، ورآه يحيىٰ بن كثير الضَّرير في النّوم بعد موته فقال: إلىٰ ما صرت يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إلىٰ رحمة الله، قال: فأيُّ العمل وجدت أفضل؟ قال: الصَّلاة، وحُبُّ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق محمَّد بن فُضَيل بن غَزْوان، حدَّثني أبي: أنَّ كُرْزَ بن وَبَرَة الحارثيَّ دخل علىٰ ابن شُبْرُمَة يعوده وهو مُبرسَمٌ، فتفل في أذنه فبَرِئَ.

وروىٰ أيضًا من طريق جرير بن زياد بن وَبَرَة الحارثيِّ، عن شجاع بن صُبيح مولىٰ كُرْزَ بن وَبَرَة قال: أخبرني أبو سليمان المكتب قال: صَحِبتُ كُرْزًا إلىٰ مكَّة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرّحل، ثُمَّ تنحَّىٰ للصَّلاة فإذا سمع رُغَاءَ الإبل أقبل، فاحتبس يومًا عن الوقت فانبثَّ أصحابه في طلبه، فكنتُ فيمن طلبه قال: فأصبته في وَهْدَةٍ يُصلِّي في ساعةٍ حارَّةٍ وإذا سحابة تُظلُّه، فلمَّا رآني أقبل نحوي فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجةٌ، قلت: وما حاجتك يا أبا عبدالله؟ قال: أُحبُّ أن تكتم ما رأيت، قال: قلت: ذلك لك يا أبا عبدالله، فقال: أَوْثِق لي، فحلفتُ له ألَّا أُخبر به أحدًا حتىٰ يموت.

وروىٰ أبو نعيمٍ أيضًا من طريق أحمد بن كثير: حدَّثتني رَوْضَة مولاة كُرْزٍ قالت: قلنا لها من أين يُنفِق كُرْزٌ؟ قالت: كان يقول لي: يا رَوْضَة إذا أردت شيئًا فخذي من هذه الكُوَّة، قالت: فكنت آخذ كلَّ ما أردت.

وقال سعيد بن عثمان الدارميُّ: سمعت ابن عُيَيْنَة يقول: قال ابن شُبْرُمَةَ: سأل كُرْزُ بن وَبَرَة ربَّه أن يعطيه الاسم الأعظم علىٰ ألَّا يسأل به شيئًا من الدّنيا، فأعطاه الله ذلك، فسأل أن يقوىٰ حتىٰ يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث خَتَماتٍ.

قلتُ: كُرْزُ بن وَبَرَة الحارثيُّ ثقةٌ عابدٌ كان من أتباع التّابعين، ذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «كان من العُبَّاد قَدِم مكَّة فأتعب من بها من العابدين، وكان إذا دعا أُجيب، وكانت السّحابة تُظلُّه، وكان ابن شُبْرُمَة كثير المدح له».اهـ

وذكر أبو نعيمٍ بإسناده عن ابن شُبْرُمة: أنَّ كُرْزًا كان يختم القرآن في كلِّ يوم وليلة ثلاث خَتَماتٍ.

وممَّا رواه كُرْزُ من الأحاديث: الحديث الذي رواه عن الرّبيع بن خُثَيمٍ، عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**نوم الصَّائم عبادةٌ، ونَفَسه تسبيحٌ، ودعاؤه مستجابٌ**». أخرجه أبو نعيمٍ في **"الحلية"**، وأخرجه البيهقيُّ من حديث عبدالله بن أبي أَوفىٰ بلفظ: «نوم الصَّائم عبادةٌ، وصمته **تسبيحٌ، وعمله مُضاعفٌ، ودعاؤه مُستجابٌ، وذنبه مغفورٌ**».

والحديث بكلا اللفظين ضعيفٌ.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق جَسْرٌ القَصَّاب قال: كنت أجلب الغنم في خلافة عمر بن عبدالعزيز، فمررت براعٍ وفي غنمه نحو ثلاثين ذئبًا فحسبتها كِلابًا -ولم أكن رأيت الذِّئب قبل ذلك- فقلت: يا راعي ما ترجو بهذه الكِلاب كلِّها؟ فقال يا بُنيَّ: إنَّها ليست كِلابًا إنَّما هي ذِئابٌ، فقلت: سبحان الله! ذِئبٌ في غَنمٍ لا يضرُّها، فقال: يا بُنيَّ إنَّه إذا صلح الرأس فليس علىٰ الجسد بأسٌ، وكان

ذلك في خلافة عمر بن عبدالعزيز.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني علي بن سلم الطوسيُّ: ثنا سَيَّار: ثنا جعفر: ثنا مالك بن دينارٍ قال: لما استُعمل عمر بن عبدالعزيز علىٰ النَّاس قال رِعاء الشَّاء: من هذا العبدالصَّالح الذي قام علىٰ النَّاس؟ قيل لهم: وما عليكم بذلك؟ قالوا: إنَّه إذا قام علىٰ النَّاس خليفةٌ عدل كَفَّت الذِّئاب عن شَائنا.

وقال خالد بن خِدَاشٍ: ثنا حمَّاد بن زيد: ثنا موسىٰ بن أعين قال: كنَّا نرعىٰ الشَّاء بكَرْمَان في خلافة عمر بن عبدالعزيز، فكانت الشَّاء والذِّئاب ترعىٰ في مكانٍ واحدٍ، فبينما نحن ذات ليلةٍ إذا عَرَضَ الذِّئبُ لشاةٍ فقلت: ما نرىٰ الرجل الصَّالح إلَّا هلك، قال حمَّاد: فحدثني هو -أو غيره-: أنَّهم حسبوا فوجدوه قد هلك في تلك الليلة.

قلتُ: في هذه الآثار بيان فضل العدل، وكرامةٌ كبيرةٌ لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وهي بعضٌ من كراماته ومناقبه الكثيرة، وقد كان عمر إمامًا من أئمَّة الهُدىٰ، ناسجًا علىٰ مِنوال الخلفاء الرَّاشدين، منقطع النَّظير في الورع والزّهد والعدل والعبادة، بحيث كان كما قال محمَّد الباقر لما سُئل عنه: أما علمت أنَّ لكل قوم نجيبةً؟ وإنَّ نجيبة بني أُميَّة عمر بن عبدالعزيز، وإنَّه يبعث يوم القيامة أمَّة وحده.

وقال نافع: كنت أسمع ابن عمر كثيرًا يقول: ليت شعري من هذا الذي في وجهه علامةٌ من ولد عمر يملأ الأرض عدلًا؟.

قلتُ: كانت أمُّ عمر بن عبدالعزيز حفيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان في وجهه شَجَّةٌ من ضربة فرسٍ.

وقال حبيب بن هند الأسلميُّ: قال لي سعيد بن المسيِّب -ونحن على عرفة-: إنَّما الخلفاء ثلاثةٌ، قلت: من الخلفاء؟ قال: أبو بكر، وعمر، وعمر، قلت: هذا أبو بكر، وعمر قد عرفناهما فمن عمر الثالث؟ قال: إن عشت أدركته وإن مِتَّ كان بعدك.

وقال يعقوب بن سفيان في "تاريخه": ثنا محمَّد بن عبدالعزيز الرمليُّ: ثنا ضَمْرَة -هو ابن ربيعة- عن السَّرِيِّ بن يحيى، عن رباح بن عُبيدة قال: رأيت رجلًا يماشي عمر بن عبدالعزيز مُعتمدًا على يده، فقلت في نفسي: إنَّ هذا الرجل جافٌّ، فلما صَلَّى قلت: يا أبا حفصٍ من الرجل الذي كان معك مُعتمدًا على يدك آنفًا؟ قال: وقد رأيته يا رباح؟ قلتُ: نعم، قال: إنِّي لأراك رجلًا صالحًا، ذاك أخي الخَضِر بشَّرني أني سألي -يعني الخلافة- فأعدِلُ.

ورواه أبو عَرُوبة الحرَّاني في "تاريخه" عن أيوب بن محمَّد الوزَّان، عن ضَمْرَة به، وقد أطال أبو نعيمٍ في "الحلية" في ترجمة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وذكر مناقبه وفضائله فلتراجع.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق ضَمْرَة: ثنا السَّرِيِّ بن يحيى وغيره، عن حبيب أبي محمَّد: أنَّه أصاب النَّاسَ مجاعةٌ، فاشترى من أصحاب الدَّقيق دقيقًا وسَوِيقًا بنَسِيئةٍ، وعَمَد إلى خَرَائطه فخيَّطها ووضعها تحت فِراشه، ثُمَّ دعا الله فجاء أولئك الذين اشترى منهم يطلبون حقوقهم، قال: فأخرج تلك الخرائط قد امتلأت، فقال لهم: زنوا فوزنوا، فإذا هو يقوم من حقوقهم.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: ثنا أبي: ثنا يونس قال: جاء رجلٌ إلى أبي محمَّد-يعني حَبيبًا- فشكا إليه دَيْنًا عليه، فقال: اذهب واستقرض وأنا أضمن،

قال: فأتي رجلًا فاقترض منه خمسمائة درهمٍ وضَمِنها أبو محمَّد، ثُمَّ جاء الرجل فقال: يا أبا مُحمَّد دراهمي قد أضرَّني حبسها، فقال: نعم غدًا، فتوضَّأ أبو محمَّد ودخل المسجد ودعا الله تعالىٰ، وجاء الرجل فقال له: اذهب فإن وجدت في المسجد شيئًا فخذه، قال: فذهب فإذا في المسجد صُرَّة فيها خمسمائة درهمٍ، فذهب فوجدها تزيد علىٰ خمسمائة، فرجع إليه فقال يا أبا محمَّد: تلك الدراهم تزيد، فقال: اذهب فهي لك.

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق عيسىٰ بن أبي حرب: ثنا أبي، عن رجلٍ، عن جَدِّي قال: كنَّا عند حبيبٍ أبي محمَّد فقال رجلٌ: إنِّي أجد وجعًا في رجلي فقال له: اجلس، فلمَّا تفرَّق النَّاس قام فعلَّق المصحف في عنقه وقال: (يا خدا حبيب رسوا مياش) -كلامٌ فارسيٌّ- يقول: لا تُسوِّد وجه حبيبٍ، اللهمَّ عافه حتىٰ ينصرف، ولا يدري في أي رجليه كان الوجع، فوجد الرجل العافية فسألناه في أيِّ رجليك كان الوجع؟ قال: لا أدري.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: أُخبرتُ، عن عبدالله بن أبي بكر المُقَدَّمِيِّ: ثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت حبيبًا يقول: أتانا سائلٌ وقد عجنت عُمْرَةُ، وذهبت تجيء بنارٍ تخبزه، فقلت للسائل: خذ العجين، قال: فاحتمله، فجاءت عُمْرَةُ فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا يخبزونه، فلمَّا أكثرت علي أخبرتها، فقالت: سبحان الله! لابُدَّ لنا من شيء نأكله، قال: فإذا رجلٌ قد جاء بحَفْنَةٍ عَظِيمةٍ مملوءةٍ خُبزًا ولحمًا، فقالت عُمْرَة: ما أسرع ما ردُّوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحمًا.

وقال أبو الشيخ ابن حَيَّان: ثنا عبدالرحمن بن أبي حاتم: ثنا محمَّد بن مَعبد

الجَوْسَقِيُّ: ثنا محمَّد بن موسىٰ المُقرِئُ: ثنا عَون بن عُمارة، عن حمَّاد وأبي عَوَانة، قالا: شهدنا حبيبًا الفارسيَّ يومًا جاءته امرأةٌ فقالت: يا أبا محمَّد (نان نسيت مارا) -كلامٌ فارسيٌّ- فقال لها: كم لك من العيال؟ قالت: كذا وكذا، فقام حبيب إلىٰ وَضُوئه فتوضَّأ، ثُمَّ جاء إلىٰ الصَّلاة فصلَّىٰ بخضوعٍ وسكونٍ، فلمَّا فرغ قال: يا ربِّ إنَّ النَّاس يحسنون ظنَّهم بي، وذلك من سَترك عليَّ فلا تُخلِف ظنَّهم بي، ثُمَّ رفع حصيره فإذا بخمسين درهمًا فأعطاها إيَّاها ثُمَّ قال: يا حمَّاد اكتم ما رأيت حياتي.

وقال أحمد بن أبي الحواريُّ: سمعت أبا سليمان الدارانيَّ يقول: كان حبيبُ أبو محمَّدٍ يأخذ متاعًا من التُّجَّار يتصدَّق به، فأخذه مَرَّةً فلم يجد شيئًا يعطيهم، فقال: يا ربِّ كأنَّه يقول: إنِّي ينكسر وجهي عندهم، فدخل فإذا هو بجَوَالقَ من شَعْرٍ، كأنَّه نُصِب من أرض البيت إلىٰ السَّقف ملآن دراهم، فقال: يا ربِّ ليس أُريد هذا، قال: فأخذ حاجته وترك البقيَّة.

وقال أبو الشيخ: ثنا محمَّد بن العباس بن أيوب: ثنا عبدالرحمن بن واقد: ثنا ضَمْرَة: حدَّثني السَّرِيُّ بن يحيىٰ قال: كان حبيبٌ أبو محمدٍ يُرىٰ بالبصرة يوم التَّروية، ويُرىٰ بعرفة عَشيَّة عرفة.

قلت: حبيب بن محمدٍ الفارسيُّ أصلًا، البصريُّ دارًا وسُكنىٰ، ذكره أبو نعيمٍ في أتباع التَّابعين، وقال: كان صاحب المكرمات مُجاب الدَّعوات، وكان صاحب مالٍ كثيرٍ، ثُمَّ حضر مجلس الحسن البصري فاتَّعظ بكلامه، وتصدَّق في يومٍ واحدٍ بأربعين ألف درهم.

ومن خبره في ذلك ما رواه أبو نعيمٍ من طريق جعفر بن سليمان قال: «كنَّا

نصرف من مجلس ثابتٍ البُنانيِّ فنأتي حبيبًا أبا محمَّدٍ، فيحث على الصدقة فإذا وقعت قام فتعلق بقرن مُعلَّقٍ في بيته، ثُمَّ يقول:

هـــا قـــد تَغَـــذَّيتُ وطابَـــتْ نَفْـــسي

فلـــيس في الحَـــيِّ غـــلامٌ مِـــثْلي

إلَّا غُـــلامٌ قـــد تَغَـــذَّىٰ قَـــبْلي

سبحانك وحَنَانَيْك خَلَقْتَ فسوَّيت، وقَدَّرتَ فهديتَ، وأعطيت فأغنيتَ، وأَقْنَيتَ وعافيتَ، وعَفَوْتَ وأعطيتَ، فلك الحمد على ما أعطيتَ حمدًا كثيرًا طيبًّا مُباركًا، حمدًا لا ينقطع أُولاه، ولا ينفد أُخراه، حمدًا أنت مُنتهاه، فتكون الجنَّة عقباه، أنت الكريم الأعلىٰ، وأنت جزيل العطاء، وأنت أهل النَّعماء، وأنت وليُّ الحسنات، وأنت خليل إبراهيم، لا يُحفيك سائلٌ، ولا يُنقصك نائلٌ، ولا يبلغ مدحك قول قائلٍ، سجد وجهي لوجهك الكريم، ثُمَّ يَخِرُّ فيسجد ونسجد معه، ثُمَّ يُفرِّق الصَّدقة علىٰ من حضر من المساكين».

ومن كلامه الدَّالِّ علىٰ عُلوِّ مَقامه قوله: «لا قُرَّة عينٍ لمن لا تَقرُّ عينه بك، ولا فرح لمن لا يفرح بك، وعزَّتك إنَّك تعلم أنِّي أحبُّك».

وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «كان عابدًا ورعًا فاضلًا تقيًّا من المُجابين الدّعوة».

وقال ابن عبدالبر في كتاب "الكُنىٰ": «كان حبيبٌ ثقةٌ وفوق الثِّقة، قليل الحديث».

قلتُ: هذا هو حبيبٌ العَجَميُّ المذكور في سلسلة طريقتنا الشَّاذليَّة -التي هي لُب الطُرق الاتِّصاليةِ- أخذ الطَّريقة عن الحسن البصريِّ، وتلقَّىٰ عنه أبو

سليمان داود الطَّائيُّ.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق أحمد بن أبي الحواريِّ قال: قال لي أبو سليمان الدَّارانيُّ: «أصاب عبدالواحد بن زيدالفالج، فسأل الله أن يُطلقه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يتوضَّأ انطلق، وإذا رجع إلىٰ سريره عاد عليه الفالج».

وأخرج أيضًا من طريق الفيض بن إسحاق الرَّقِّيِّ: سمعت الفُضَيل بن عياضٍ يقول: قال عبدالواحد بن زيد: «سألت الله ثلاث ليالٍ أن يُريني رفيقي في الجنَّة، فرأيت كأنَّ قائلًا يقول لي: يا عبدالواحد رفيقك في الجنَّة ميمونة السَّوداء، فقلت: وأين هي؟ فقال: في آل بني فلان بالكوفة، قال: فخرجت إلىٰ الكوفة فسألت عنها، فقيل: هي مجنونةٌ بين ظهرانينا ترعىٰ غُنيماتٍ لنا، فقلت: أريد أن أراها؟ قالوا: اخرج إلىٰ الخان، فخرجت فإذا هي قائمةٌ تُصلِّي، وإذا بين يديها عُكَّازةٌ لها، فإذا عليها جُبَّةٌ من صوفٍ مكتوبٌ عليها لا تُباع ولا تُشترىٰ، وإذا الغنم مع الذِّئاب -لا الذِّئابُ تأكل الغنم ولا الغنمُ تفزع من الذِّئاب- فلمَّا رأتني أَوْجَزَت في صلاتها ثُمَّ قالت: ارجع يا ابن زيد فليس الموعد هاهنا إنَّما الموعد ثَمَّ، فقلت لها: رحمك الله وما يعلمك أني ابن زيد؟ فقالت: أمَا عَلِمتَ أنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فقلت لها: عِظيني. فقالت: واعجبًا لواعظ يُوعظ! ثُمَّ قالت: يا ابن زيدٍ إنَّك لو وضَعْتَ معاير القِسط علىٰ جَوارحك؛ لأَخْبَرَتْكَ بمكنون ما فيها، يا ابن زيدٍ إنَّه بلغني: ما من عبدٍ أُعطي من الدنيا شيئًا فابتغىٰ إليه ثانيًا؛ إلَّا سَلَبه الله حُبَّ الخَلوة معه، ويبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوَحْشَة، ثُمَّ أنشأت تقول:

يــا وَاعِظًــا قَــامَ لاحْتِســابٍ يَزْجُــرُ قَومًــا عــن الــذُّنوبِ

تَنْهَىٰ وأنت السَّقِيمُ حقًّا ... هذا مِن المُنكَرِ العَجيبِ
لو كنتَ أصْلَحْتَ قَبْل هذا ... غَيَّكَ أو تُبْتَ مِن قَريبِ
كان لِما قُلتَ يا حَبيبي ... مَوقِعَ صِدْقٍ مِن القُلوبِ
تَنْهَى عن الغَيِّ والتَّمادِي ... وأنتَ في النَّهي كالمُريبِ

فقلتُ لها: إنِّي أرىٰ هذه الذِّئاب مع الغنم، لا الغنم تفزع من الذِّئاب ولا الذِّئاب تأكل الغنم فإيش هذا؟ فقالت: إليك عنِّي، فإنِّي أصلحتُ ما بيني وبين سيِّدي فأصلح بين الذِّئاب والغنم».

قلت: عبدالواحد بن زيد البصريُّ أحد شيوخ الصُّوفيّة، كان زاهدًا عابدًا واعظًا، له أخبار في الزّهد والوعظ، لكنَّه ضعيفٌ في الحديث، روىٰ عن الحسن البصري وغيره أحاديث منكرةً، أُتي فيها من قِبل سوء حفظه، ولم يكن الحديث صناعته بل كان مشغولًا بالعبادة.

قال محمَّد بن عبدالله الخزاعي: صلَّىٰ عبدالواحد بن زيد الصبح بوضوء العِشاء أربعين سنةً، وقال غيره: كان مُجاب الدَّعوة، وترجمته مبسوطةٌ في "الحلية"، وغيرها.

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: ثنا محمَّد بن يحيىٰ: ثنا محمَّد بن عبيد الله التيميُّ: ثنا صالح المريُّ قال: «أصاب أهلي ريح الفالج، فقرأت عليها القرآن ففاقت، فحدَّثت به غالبًا القطَّان فقال: وما تعجب من ذلك؟! والله لو أنَّك حدَّثتني أنَّ ميتًا قُرِيء عليه القرآن فحيي ما كان ذلك عندي عجبًا!».

قلتُ: هذه كرامةٌ لصالح تدلُّ علىٰ: صدق إيمانه وقوَّة يقينه، وما ذكره غالب القطَّان صحيحٌ؛ لكن ذلك إنَّما يظهر علىٰ من كان صالحًا تقيًّا، وصالح بن

بشير المريُّ كان عابدًا تقيًّا واعظًا، وإن كان ضعيفًا في الحديث؛ لأنَّه ليس فنَّه.

قال خلف بن الوليد: كان صالح المريُّ إذا قصَّ -أي: وعظ النَّاس- قال: «هات جؤنة المسك والتِّرياق المُجرَّب -يعني القرآن- فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتىٰ ينصرف»، وأخباره في الوعظ والخوف من الله كثيرة، مبسوطةٌ في "الحلية" وغيرها.

وروىٰ أبو إبراهيم الترجمانيُّ عنه قال: «قال لي في منامي قائلٌ: إذا أحببت أن يُستجاب لك فقل: اللهمَّ إنِّي أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك المطهَّر الطَّاهر المقدَّس، قال: فما دعوت به في شيء إلَّا تعرفت الإجابة».

وقال أبو الشيخ: ثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا خالد بن خِداشٍ: سمعت بعض أصحابنا يقول: «دعا عُتبة الغلام هذا الطَّير الأقمر، فقال: تعالَ فأنت آمن، فجاء حتىٰ وقع في يده، ثُمَّ خلَّىٰ سبيله وقال لصاحبه الذي رآه: لا تُحدِّث به أحدًا».

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق مسلم بن إبراهيم قال: «رأيت عُتبة الغلام، وكان يقال: إنَّ الطير تُجيبه».

وروىٰ أبو الشيخ وعنه أبو نعيمٍ من طريق مهديِّ بن ميمون قال: «خرجت في بعض الليالي إلىٰ بعض الجبال، فإذا عُتبة الغلام قال لي: جئتَ؟ قد دعوت الله أن يجيء بك، قلت: ادعُ الله أن يُطعمنا رُطبًا، فدعا فإذا دَوْخَلَةٌ مملوءةٌ رطبًا».

قلت: عتبة بن أبان بن صَمْعَة الغلام كان عابدًا زاهدًا، يحترف عمل الخَوصِ فيبيعه ويتصدَّق بثُلثه ويأكل ثُلثه ويجعل الثُّلث الباقي رأس ماله،

استشهد في إحدىٰ غزوات المسلمين في قرية يقال لها: الحباب، وُوجد في جسده سبع طعنات، ووجدوه واضعًا يده علىٰ فرجه.

ذكر مخلد بن الحسين: «عُتبة الغلام وصاحبه يحيىٰ الواسطيُّ، فقال كأنَّما ربَّتهم الأنبياء».

وقال قُدَامةُ بن أيُّوب العَتكِيُّ -وكان من أصحاب عُتبة-: «رأيت عُتبة في المنام فقلت: يا أبا عبدالله ما صنع الله بك؟ قال: يا قُدامة دخلت الجنَّة بتلك الدَّعوة المكتوبة في بيتك، قال: فلمَّا أصبحت جئت إلىٰ بيتي، وإذا خط عُتبة في حائط البيت مكتوب: يا هادي المضلين وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم، والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، آمين يا ربَّ العالمين».

وأخرج أبو نعيم من طريق أبو النَّضر قال: «كان إبراهيم بن أدهم يأخذ الرُّطَبَ من شجرة البَلُّوطِ».

وروىٰ أيضًا من طريق وَبَرَة الغَسَّانيِّ: ثنا عَدِي الصَّيَّاد -من أهل جَبَلَة-: «سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله، أنَّه كان ينظر إلىٰ إبراهيم بن أدهم وهو علىٰ شَطِّ البحر في وقت الإفطار، فيرىٰ مائدةً توضع بين يديه لا يدري من وضعها، ثُمَّ يراه يقوم فينصرف حتىٰ يدخل جَبَلة وما معه شيءٌ».

وروىٰ أبو نعيمٍ أيضًا عن مَكيِّ بن إبراهيم قال: «كان إبراهيم بن أدهم بمكّة فسُئل ما يبلغ من كرامة المؤمن علىٰ الله عزَّ وجلَّ؟ قال: يبلغ من كرامته علىٰ الله تعالىٰ لو قال للجبل تحرَّكْ لتحرَّكَ؛ فتحرك الجبل، فقال: ما إيَّاك عَنَيتُ».

وقال أبو الشيخ: ثنا أبو العبَّاس الهَرَويُّ: ثنا عصام بن روَّاد: ثنا عيسىٰ بن حازم: حدَّثني إبراهيم بن أدهم قال: «لو أنَّ مؤمنًا قال لذاك الجبل: زُل لزال، قال: فتحرَّك أبو قُبَيْسٍ، فقال: اسكن إنِّي لم أعنك فسكن».

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيُّ: ثنا خلف ابن تميم: حدَّثني عبدالجبَّار بن كثيرٍ قال: «قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا هو السَّبُع قد ظهر؟ فقال: أَرِنيه، فلمَّا نظر إليه قال: يا قَسْوَرة إن كنت أُمرت فينا بشيءٍ فامضِ لما أُمرت به، وإلَّا فعَوْدُك علىٰ بَدْئِك، قال: فضرب بذَنَبِه وولَّىٰ ذاهبًا قال: فعَجِبنا منه حين فَقِه كلامه! ثُمَّ أقبل علينا إبراهيم فقال: قولوا اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، اللهمَّ واكنُفْنا بكنفك الذي لا يُرام، اللهمَّ وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت الرَّجاء، قال خلف: فأنا أُسافر منذ نَيِّفٍ وخمسين سنةً فأقولها لم يأتني لِصٌّ قطُّ، ولم أرَ إلا خيرًا قطُّ»، ولهذه القصّة طريقان رواهما أبو نعيمٍ.

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا محمَّد بن أحمد بن سليمان الهَرَويُّ: سمعت ابن العبَّاس بن محمَّد يقول: سمعتُ خلف ابن تميمٍ يقول: «كان إبراهيم بن أدهم في البحر، فعصفت الرّيح واشتدَّت، وإبراهيم ملفوفٌ في كِسَائه، فجعل أهل السَّفينة ينظرون إليه، فقال له رجلٌ منهم: يا هذا ما ترىٰ ما نحن فيه من هذا الهول وأنت نائمٌ في كسائك؟! قال: فكشف إبراهيم رأسه فأخرجه من الكِساء، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء فقال: اللهمَّ قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فسكن البحر حتىٰ صار كالدُّهن»، ولهذه القصة طريق آخر عند أبي نعيمٍ.

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن إبراهيم: حدَّثني

خلف بن تميمٍ قال: «كنت عند أبي رجاء الهَرويِّ في مسجدٍ، فأتىٰ رجلٌ علىٰ فرسٍ فنزل فسلَّم عليه وودَّعه، فأخبرني أبو رجاء عنه أنَّه كان مع إبراهيم بن أدهم في سفينةٍ في غَزَاة البحر، فعصفت عليهم الرِّيح وأشرفوا علىٰ الغرق، فسمعوا في البحر هاتفًا يهتف بأعلىٰ صوته: تخافون وفيكم إبراهيم؟!».

قلتُ: كرامات إبراهيم بن أدهم كثيرةٌ مرويَّةٌ في "حلية أبي نعيمٍ" و"رسالة القشيريِّ" وغيرهما، وهو أحد شيوخ الصُّوفيَّة كان زاهدًا ثقةً في الحديث، وثَّقه ابن معين، وابن نُمَيرٍ، والعجليُّ، والنَّسائيُّ، والدارقطنيُّ، ويعقوب بن سفيان، وابن حِبَّان، وغيرهم، روىٰ عنه الثوريُّ والأوزعيُّ وعِدَّةٌ، وأطال أبو نعيمٍ ترجمته في "الحلية"، وتوسَّع في نقل كراماته وأحواله وكلامه في الزّهد وغيره، ثُمَّ قال: لم تكن الرواية من شأنه، فلذلك يقلُّ حديثه، ثُمَّ أسند الأحاديث التي رواها.

وللحافظ أبي عبدالله محمَّدٍ بن إسحاق بن محمَّدٍ بن يحيىٰ بن مَنده "مسند أحاديث إبراهيم بن أدهم"، وهو جزءٌ صغيرٌ وقفت عليه وقرأته، افتتحه بذكر نسب إبراهيم ومَبدأ زهده، وتاريخ وفاته وموضع دفنه، ثُمَّ بدأ من الأحاديث بما رواه إبراهيم بن أدهم عن أبي جعفر محمَّد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من أنعم الله عليه نعمةً فليحمد الله، ومن استبطأ الرِّزق فليستغفر الله، ومن حَزبه أمرٌ فليقل لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله**». وهذا الحديث رواه البيهقيُّ في "شعب الإيمان" من حديث عليٍّ أيضًا.

ومن أحاديث إبراهيم بن أدهم ما رواه عن الزُّبيديِّ، عن عطاء الخُراسانيِّ يرفع الحديث قال: «**ليس للنِّساء سلامٌ ولا عليهنَّ سلامٌ**».

قال الزُّبيديُّ: «أُخذ علىٰ النِّساء ما أُخذ علىٰ الحيَّات: أن ينجحرن في بيوتهنَّ»، أخرجه أبونعيم.

ولكن نساء اليوم يُردن أن يزاحمن الرجال في أعمالهم الخاصة بهم، ويدَعن بيوتهنَّ وأولادهنَّ في أيدي الخَدَم والمُربِّيات، وقد عقدن في هذه الأيام مؤتمرًا للبحث في حقوقهنَّ كما زعمن دُعِيَتْ إليه كلُّ خَليعةٍ سافرةٍ وقرَّرن قراراتٍ هي -مع خروجها عن تعاليم الدين ومنافاتها للمروءة- غايةٌ في السَّخافة ودليلٌ آخر علىٰ نقص عقولهنَّ، والعيب في هذا يعود علىٰ الرجال الذين تركوا لهنَّ الحبل علىٰ الغارب، ولم يأخذوهنَّ بشيءٍ من الحزم، كما هو الواجب شرعًا وعادةً، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله.

وقال أبو الشيخ: ثنا جعفر بن أحمد بن فارس: ثنا إبراهيم بن الجنيد: ثنا مليح بن وكيعٍ قال: «سمعتهم يقولون: خرجنا من مكة في طلب فُضَيل بن عياضٍ إلىٰ رأس الجبل، فقرأنا القرآن فإذا هو قد خرج علينا من شِعبٍ لم نَرَه، فقال لنا: أخرجتموني من منزلي ومنعتموني الصَّلاة والطَّواف، أما إنَّكم لو أطعتم الله ثُمَّ شئتم أن تزول الجبال معكم زالت، ثُمَّ دَقَّ الجبل بيده فرأينا الجبل -أو الجبال- اهتزَّت وتحرَّكت».

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا أبو العبَّاس محمَّد بن أحمد بن سليمان الهَرويُّ: ثنا إبراهيم بن يعقوب: ثنا أحمد بن نصر، عن محمَّد بن حمزة المرتضىٰ قال: «كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماءٌ دعا ربَّه، فجاءت سحابة فأظلَّت فاغتسل، وكان يذهب إلىٰ الجمعة فيخط علىٰ غنمه، فيجئ فيجدها علىٰ حالتها لم تتحرَّك».

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق أبي سليمان الروميِّ: «سمعت خليلًا الصيَّاد

يقول: غاب ابني محمَّدٌ، فجزعت أَمُّه عليه جزعًا شديدًا، فأتيت معروفًا الكَرخيَّ فقلت: أبا محفوظٍ، قال: ما تشاء؟ قلت: ابني محمَّدٌ غاب وجزعت أُمُّه عليه جزعًا شديدًا فادعُ الله أن يردَّه عليها، فقال: اللهمَّ إنَّ السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فائتِ به، قال خليلٌ: فأتيت باب الشَّام - مكان ببغداد - فإذا ابني محمَّدٌ قائمٌ مُنبَهِرٌ، قلتُ: محمَّدٌ! قال: يا أبت كنت السَّاعة بالأنبار».

وأخرج الخطيب في "التاريخ" عن ابن شِيرَويهِ قال: «كنت أجالس معروفًا الكَرخيَّ كثيرًا، فلمَّا كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا، فقلت له: يا أبا محفوظ بلغني أنَّك تمشي على الماء، فقال لي: ما مشيت قطُّ على الماء، ولكن إذا هممت بالعبور جُمع لي طرفاها فأتخطاها».

وروى أيضًا قال: أخبرنا الأزهريُّ: ثنا عثمان بن عمرو الإمام: ثنا محمَّد بن مَخلدٍ قال: «قُرئ على الحسن بن عبدالوهَّاب -وأنا أسمع- قال: سمعت أبي يقول: قالوا إنَّ معروفًا الكَرخيَّ يمشي على الماء، ولو قيل إنَّه يمشي في الهواء لصدَّقتُ».

وروى أيضًا عن يعقوب ابن أخي معروف قال: «قالوا لمعروف: يا أبا محفوظ لو سألت الله أن يُمطرنا؟ قال: -وكان يومًا صائفًا شديد الحرِّ- قال: ارفعوا إذًا ثيابكم قال: فما استتمُّوا رفع ثيابهم حتى جاء المطر».

وروى الخطيب أيضًا من طريق سعيد بن عثمان: سمعت محمَّد بن منصورٍ يقول: «ذهبت يومًا إلى معروفٍ الكَرخيِّ، ثُمَّ عُدت إليه من غَدٍ فرأيت في وجهه أثر شَجَّةٍ فَهِبتُ أن أسأله عنها، وكان عنده رجل أجرأ عليه منِّي فقال له: يا أبا محمَّدٍ كنَّا عندك البارحة ومعنا محمَّد بن منصورٍ، فلم نرَ في وجهك

هذا الأثر؟ فقال له معروفٌ: خذ فيما تنتفع به، فقال له: أسألك بحقِّ الله؟ قال: فانتفض معروفٌ ثُمَّ قال: ويْحَكَ وما حاجتك إلىٰ هذا؟ مضيت البارحة إلىٰ بيت الله الحرام، ثُمَّ صِرتُ إلىٰ زمزم فشربت منها، فزلَّت رجلي فبطح وجهي الباب، فهذا الذي ترىٰ من ذلك».

قلت: معروف بن الفيرزان الكَرخيُّ أستاذ السَّريِّ السَّقَطِي، ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في "تاريخ بغداد" فقال: كان أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، يغشاه الصّالحون، ويتبرّك بلقائه العارفون، وكان يوصف بأنَّه مُجاب الدّعوات، ويُحكىٰ عنه كرامات، وأسند أحاديث كثيرةً عن بكر بن خُنَيسٍ، والرّبيع بن صُبَيحٍ وغيرهما، ثُمَّ ذكر جملةً من كراماته، وثناء الإمام أحمد عليه وذهابه مع ابن معينٍ إلىٰ معروفٍ ليكتبا عنه جزءًا عن ابن أبي حازم.

وقال أبو القاسم القشيري في "الرسالة": «كان معروفٌ من المشايخ الكبار، مُجاب الدّعوة، يُستشفىٰ بقبره، يقول البغداديون: قبر معروفٍ تِرياقٌ مُجرَّبٌ، وهو من موالي علي بن موسىٰ الرِّضى، رضي الله عنهم».

وروىٰ الحافظ الخطيب في "التاريخ" من طريق عبدالله بن موسىٰ الطَّلحيِّ: سمعت أحمد بن العبَّاس يقول: «خرجت من بغداد فاستقبلني رجلٌ عليه أثر العبادة فقال: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يُخسف بأهلها، فقال: ارجع ولا تخف، فإنَّ فيها قبور أربعةٍ من أولياء الله هم حِصنٌ لهم من جميع البلايا، قلت: من هم؟ قال: ثَمَّ الإمام أحمد، ومعروفٌ الكَرخيُّ، وبشر الحافي، ومنصور بن عمَّار، فرجعت وزرت القبور، ولم أخرج تلك السنة».

وقال أبو نعيمٍ: ثنا أبو الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي: ثنا علي بن محمَّد المصريُّ: ثنا يوسف بن موسى المَروزيُّ: ثنا عبدالله بن خُبَيقٍ: «سمعت عبدالله بن السِّنديَّ يُحدِّث أصحابه قال: لو أنَّ وليًّا من أولياء الله قال للجبل: زُلْ لزال، قال: فتحرَّك الجبل من تحته، فضربه برجله فقال: اسكن إنَّما ضربتك مثلًا لأصحابي».

وأخرج أبو نعيمٍ عن طريق زكريا بن يحيىٰ -قاضي عين زَرْبَة- ثنا أبو بكر المقابريُّ قال: «دخلت علىٰ عليِّ بن بكّار وهو يُنقي شعيرًا لفرسه، فقلت: يا أبا الحسن ما لك من يكفيك هذا؟ فقال لي: كنت في بعض المغازي وواقعنا العدوَّ وانهزم المسلمون وانهزمتُ معهم، وقصر بي فرسي فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفرس: نعم إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون حيث تتكلَّم عليّ فلا تُنقي علفي! فضَمِنتُ ألا يليه غيري».

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا عن أبي عبدالله بن الجلاء قال: «خرجت إلىٰ شَطِّ نيل مصر، فرأيت امرأةً تبكي وتصرخ، فأدركها ذو النّون فقال لها: ما لك تبكين؟ قالت: كان ولدي وقُرَّة عيني علىٰ صدري، فخرج تمساحٌ فاستلب منّي ولدي، قال: فأقبل ذو النّون علىٰ صلاته وصلَّىٰ ركعتين ودعا دعوات، فإذا التّمساح خرج من النّيل والولد معه ودفعه إلىٰ أُمِّه فأخذته، وأنا كنت أرىٰ».

وفي ترجمة ذي النون المصري من "الحلية" كراماتٌ له ولغيره من الأولياء، شاهدها هو بنفسه يطول بنا تتبُّعها.

وقال أبو الحسين بن بشران في الأول من "فوائده": أخبرنا دَعْلَج بن أحمد، ثنا إبراهيم بن أبي طالب، ثنا جعفر بن عِمْران الثعلبيُّ، ثنا المحاربيُّ، عن

سُعير- مصغرًا - ابن الخِمس - بكسر الخاء المعجمة - عن عبدالعزيز بن أبي روَّادٍ قال: «كانت امرأةٌ أسفل مكّة تُسبِّح في كلِّ يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحةً فماتت، فلمَّا بلغ بها القبر أُخذت من أيدي الرجال».

وأخرج أبو نعيمٍ عن آدم بن أبي إياس قال: «كان شابٌّ يكتب عنِّي، قال: فأخذ منِّي دفترًا ينسخه فنسخه، فظننتُ عليه ظنَّ سُوءٍ، ثُمَّ جاء به وعليه ثيابٌ رَثَّةٌ فرفقت به، ثُمَّ أمرت له بدراهم فلم يقبلها، فجَهَدتُ فلم يفعل، ثُمَّ أخذ بيدي فمرَّ بي إلى البحر ثُمَّ أخرج من كُمِّه قدحًا فغرف من ماء البحر، ثُمَّ قال: اشرب، فشربت أحلى من العسل، ثُمَّ قال: من كان في خدمة من هذه قدرته، أي شيء يصنع بدراهمك؟! ثُمَّ غاب عنِّي فلم أرَه».

وأخرج أبو نعيمٍ عن أبي الحارث الأُولَاسيِّ قال: «خرجت من حصن أُولاسٍ أُريد البحر فقال بعض إخواني: لا تخرج فإنِّي قد هيَّأت لك عِجَّةً حتى تأكل قال: فجلستُ وأكلتُ معه، ونزلتُ إلى السّاحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد قائمًا يُصلِّي، فقلت في نفسي: ما أشكُّ إلَّا أنَّه يريد أن يقول لي: امشِ معي على الماء، ولئن قال لي لأمشينَّ معه، فما استحكمتُ الخاطر حتى سلَّم، ثُمَّ قال: هيه يا أبا الحارث امشِ على الخاطر، فقلت: بسم الله، فمشى هو على الماء وذهبت أمشي فغاصت رجلي، فالتفت إليَّ وقال: يا أبا الحارث، العجة أخذت برجلك».

قلت: إبراهيم بن سعد العلويُّ ذكر أبو نعيمٍ أنَّه: كان معروفًا بالآيات، موصوفًا بالكرامات.

وأخرج أيضًا عن أبي جعفر الخَصَّاف قال: «قال لي جابر الرَّحَبيُّ -يومًا وأنا أُماشيه-: مُرَّ بنا نتسابق، مُرَّ أنت هكذا حتى أمُرَّ أنا هكذا، قال: فمررتُ

أنا علىٰ الجسر، فلمَّا أبعدت علىٰ الجسر التَفتُّ فإذا هو يمشي علىٰ الماء ينتضِحُ من تحت قدميه مثل ما يخرج الغُبَار من تحت قدم الماشي، فلمَّا التقينا قلت: من يحسن مثل هذا؟ أمشي علىٰ الجسر وتمشي أنت علىٰ الماء، فقال: أو قد رأيتني؟ قلت: نعم، قال: أنت رجلٌ صالحٌ».

وقال أبو نعيمٍ: ثنا عثمان بن محمَّدٍ العثمانيُّ: سمعت أبا الحسن محمَّد بن أحمد يقول: ثنا عُبيدٌ البُسْرِيُّ قال: «سألت رجلًا بالكام ما الذي أجلسك في هذا الموضع؟ قال: وما سُؤالك عن شيءٍ إن طلبته لم تُدركه، وإن لَحِقته لم تقع عليه؟ قلت: تخبرني ما هو؟ قال: علمي بأنَّ مجالسة الله تستغرق نعيم الجِنان كلِّها، قلت: بِمَ؟ قال: أوَّاهُ قد كنتُ أظنُّ أنَّ نفسي ظَفَرتْ، ومن الخلق هَربتْ، فإذا أنا كذَّابٌ في مقامي، لو كنتُ مُحبًّا لله صادقًا ما اطَّلع عليَّ أحدٌ، فقلت: أما علمت أنَّ المُحبِّين خُلفاء الله في أرضه، مُستأنسون بخلقه يبعثهم علىٰ طاعته، قال: فصاح بي صَيْحةً وقال: يا مخدوع لو شممت رائحة الحبِّ، وعاين قلبك ما وراء ذلك من القُرْب، ما احتجتَ أن ترىٰ فوق ما رأيت، ثُمَّ قال: يا سماء ويا أرض اشهدا عليَّ أنَّه ما خطر علىٰ قلبي ذكر الجنَّة والنَّار قطُّ، إن كنت صادقًا فأمتني، فوالله ما سمعت له كلامًا بعدها، وخفت أن يسبق إليَّ الظنُّ من النَّاس في قتله، فتركته ومضيت، فبينا أنا علىٰ ذلك إذا أنا بجماعةٍ قالوا: ما فعل الفتىٰ، فكنَّيت عن ذلك فقالوا: ارجع فإنَّ الله قد قبضه، فصلَّيتُ معهم عليه فقلت لهم: من هذا الرجل؟ ومن أنتم؟ قالوا:ويحك هذا رجلٌ به كان يُمطر المطر، قلبه علىٰ قلب إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام، أما رأيته يُخبر عن نفسه أن ذكر الجنَّة والنَّار ما خطر علىٰ قلبه قطُّ، فهل كان أحدٌ هكذا إلَّا

إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام قلت: فمن أنتم؟ فقالوا: نحن السبعة المخصوصون من الأبدال، قلت: علِّموني شيئًا؟ قالوا: لا تُحبَّ أن تُعرف، ولا تحبَّ أن يُعرف أنَّك ممَّن لا يُحبُّ أن يُعرف».

وذكر الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع" ممَّا عزاه لأبي عبدالرحمن السُّلَميِّ بإسناده إلىٰ أبي الخير الأقطع، قال: «دخلت المدينة وأنا بفَاقةٍ شديدةٍ، فأقمت خمسة أيَّامٍ لم أذق ذواقًا، فتقدَّمت إلىٰ القبر الشَّريف وسلَّمتُ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، وتخلَّيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبا بكرٍ عن يمينه وعمر عن شماله وعليًّا بين يديه، فحرَّكني عليٌّ وقال: قُم فقد جاء النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه، فدفع إلىٰ رغيفًا، فأكلت نصفه فانتبهت فإذا في يدي نصف رغيفٍ».

وأبو الخير الأقطع ذكره القشيري في "الرسالة" وقال: مغربيُّ الأصل، سكن تينات وله كراماتٌ وفِراسةٌ حادَّةٌ، وكان كبير الشّأن مات سنة نَيِّفٍ وأربعين وثلاثمائة، وذكر من كلامه قوله: «ما بلغ أحدٌ إلىٰ حالةٍ شريفةٍ؛ إلَّا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض وصحبة الصّالحين».

وذكر ابن القيِّم في كتاب "الكبائر" وكتاب "السُّنَّة والبدعة" في بيان بدعة الرفض من هذين الكتابين ناقلًا عن الحافظ السِّلَفيِّ نزيل الإسكندرية، ممَّا رواه بإسناده إلىٰ يحيىٰ بن عَطَّاف المعدل: أنَّه حكىٰ عن شيخٍ دمشقيٍّ جاور بالحجاز سنين، قال: كنت بالمدينة في سنةٍ مُجدبةٍ، فخرجت يومًا إلىٰ السُّوق لأشتري دقيقًا برباعي قال: فأخذ الدقَّاق الرباعي، وقال: العن الشيخين حتىٰ

أبيعك الدَّقيق، فامتنعت من ذلك فراجعني مرَّات وهو يضحك، فضجرت منه وقلت: لعن الله من يلعنهما، قال: فلطم عيني فسالت علىٰ خدي، فرجعت إلىٰ المسجد وكان لي صديقٌ من أهل مَيّافارِقِين جاور بالمدينة سنين، فسألني عمَّا جرىٰ فأخبرته، فقام معي إلىٰ الحجرة المقدَّسة فقال: السَّلام عليك يا رسول الله، قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا، ثُمَّ رجعنا، فلما جَنَّ الليل نمت؛ فلما استيقظت وجدت عيني صحيحةً أحسن ما كانت... وذكر بقيَّة القصَّة فيما حصل لذلك الدقَّاق من العَطَب علىٰ لعنه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما، وهذه القصّة مع كثيراتٍ مثلها مذكورةٌ في كتاب "مصباح الظَّلام" المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩م) ، ولست أعني "مصباح الظَّلام" للجردانيِّ فليتنبَّه.

وقال الحافظ أبو بكر بن المقري في "مسند أصبهان": «كنت أنا والطَّبرانيُّ وأبو الشّيخ في مدينة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم، فلمَّا كان وقت العَشاء أتيت إلىٰ القبر الشَّريف وقلت: يا رسول الله، الجوع؟ فقال لي الطَّبرانيُّ: اجلس فإمَّا أن يكون الرِّزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علويٌّ، ففتحنا له فإذا معه غلامان بزَنْبيلين فيهما شيءٌ كثيرٌ، فقال: يا قوم، شكيتم إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فإنِّي رأيته فأمرني بحمل شيءٍ إليكم»، نقل هذه القصَّة الحافظ السخاويُّ في "القول البديع"، وفيها كرامةٌ للشَّريف العلويِّ ولهؤلاء الحُفَّاظ الثلاثة، وهم أهل لكلِّ كرامةٍ وإكرامٍ .

وقال الحافظ أسلم بن سهلٍ الواسطيُّ -المعروف ببَحْشَل- في "تاريخ

واسط": حدَّثنا محمَّد بن أبان: ثنا خلف بن خليفة قال: حدَّثني بوَّاب الحجَّاج قال: «لمَّا سقط رأس سعيدٍ إلى الأرض قال: لا إله إلا الله. يَجهرُ بها».

قلتُ: سعيد هو ابن جُبيرٍ، وبوَّاب الحجَّاج اسمه عُتبة بن مسلمة، كذا جاء مُبيَّنًا في ترجمة حمزة بن عبدالقاهر بن حمزة من "تاريخ واسط" أيضًا.

وقال الحافظ أبو سعد المالينيُّ في "الأربعين في شيوخ الصُّوفيَّة": «سمعت أبا بكرٍ أحمد بن عبدالله بن المنتصر الأندلسيَّ يقول: أنبأ أبو الفرج الموحد إبراهيم بن إسحاق بن البريِّ قال: قال لي أبو صالح مفلح بن عبدالله: «أقمت أربعين يومًا ما شربت ماءً، فلمَّا مضى أربعون يومًا أخذ بيدي أبو بكر محمَّد بن سيد حَمْدَوَيْه، وحملني إلى بيته، فأخرج إليَّ ماءً وقال: اشرب فشربت، فحكت لي امرأته أنَّه قال لها: اشربي فضلة رجلٍ له أربعون يومًا ما شرب ماءً، قال أبو صالح: وما اطَّلع على تركي لشُرب الماء أحدٌ غير الله تعالى».

وقال المالينيُّ أيضًا: سمعت قاسم بن عمرو المعافريَّ يقول: «كنت ألزم مجلس أبي الحسن الدَّينَوَرِيِّ، فخرجت يوم الجمعة أروح إلى الجامع، فرأيت النَّاس يتزاحمون على الخبَّازين وكنت صائمًا، فقالت لي نفسي: حصل إفطارك قبل الصَّلاة، فإنَّك إذا صليت لم تجد شيئًا تشتريه، فأخذت إفطاري وخبَّأته في موضع، فلما صلَّيت الجمعة قعدت في مجلس الشيخ أبي الحسن الدَّينَوَرِيِّ فسألته مسألةً فالتفتَ إليَّ، وقال: ليس هذا مسألة من يهتمُّ لإفطاره قبل صلاة الجمعة».

وقال الحافظ المالينيُّ أيضًا: سمعت أبا علي الحسين بن علي بن خلف قال: سمعت أبا بكر محمَّد بن إبراهيم المصريَّ يقول: «كنت بالمدينة فجئت إلى عند

الفقراء، فإذا رجلٌ أعجميٌّ كبير الهامة يُودِّع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فودَّعه، وتبعته حتىٰ جاء إلىٰ مسجد الشّجرة، فصلَّىٰ ولبَّىٰ فصلَّيتُ ولبَّيتُ، وخرجتُ خلفه فالتفتَ فرآني، فقال: ما تريد؟ قلت: أريد أن أتبعك، فأبىٰ عليَّ فألححتُ، فقال: إن كان ولابد فانظر ألَّا تضع قدمك إلَّا علىٰ أثر قدمي، قلت: نعم ، فمشىٰ وأخذ علىٰ غير الطَّريق ، فلمَّا مرَّ هوىٰ من الليل إذا بضَوْء سراجٍ فالتفت إليَّ فقال: هذا مسجد عائشة، تتقدَّم أنت أو أتقدَّم أنا؟ قلت: ما تختار؟ فتقدَّم ، ونمت حتىٰ إذا كان وقت السَّحَر دخلت إلىٰ مكّة فطُفت وسَعَيْت، وجئت إلىٰ عند أبي بكر الكتَّانيِّ وجماعة الشيوخ قعودٌ فسلَّمت عليهم، فقال لي أبو بكر: متىٰ قَدِمت؟ قلت: السّاعة، قال: من أين؟ قلت: من المدينة، قال: كم عهدك منها؟ قلت: البارحة، فنظر بعضهم إلىٰ بعض فقال لي الكتَّانيُّ: مع من جئت؟ فقلت: مع رجلٍ من حاله وقصّته، فقال: ذاك أبو جعفر الدامغانيُّ ، وهذا في حاله قليلٌ ، ثُمَّ قال: قوموا اطلبوه، ثُمَّ قال لي: علمت أن هذا ليس حالك، قال أبو عليٍّ: قلت لأبي بكر المصريِّ: كيف كنت تحسُّ بالأرض تحت قدمك؟ قال: كنت أحسُّ بها مثل الموج إذا دخل تحت السَّفينة».

هذا وقد أورد الأستاذ الأجلُّ شيخ الصُّوفيَّة وأحد أئمَّة أهل السُّنَّة الإمام أبو القاسم القشيريُّ في "رسالته" جملةً من الكرامات سمعها من شيوخه الأجلاء عن مشايخهم مُتصلة الإسناد، أحببت أن أنقل منها ما لم يتقدَّم ذكره لتتمَّ فائدة الكتاب.

قال في باب "كرامات الأولياء" - بعد أن تكلَّم علىٰ جوازها وما يتعلَّق بذلك، وأسند بعض الأحاديث ممَّا سبق لنا إيراده بتوسُّع- ما نصُّه:

«وقد ظهر على السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين، ثُمَّ على مَن بعدهم من الكرامات ما بلغ حدَّ الاستفاضة، وقد صُنِّف في ذلك كتبٌ كثيرةٌ سنشير إلى طَرَفٍ منها على وجه الإيجاز، فمن ذلك: أنَّ ابن عمر كان في بعض الأسفار؛ فلقي جماعة وقفوا على الطَّريق من خوف السَّبُع؛ فطرد السَّبُع من طريقهم ثُمَّ قال: إنَّما يُسلَّط على ابن آدم ما يخافه، ولو أنَّه لم يَخَف غير الله لما سلَّط عليه شيءٌ، وهذا خبرٌ معروفٌ.

وروى: أنَّه كان بين يدي سلمان وأبي الدَّرداء قَصْعَةٌ، فسبَّحت حتى سمعا التَّسبيح، وذكر أخبارًا تقدَّمت، ثم قال: وحُكي عن سهل بن عبدالله أنَّه قال: مَن زَهِد في الدنيا أربعين يومًا صادقًا من قلبه مُخلصًا ظهرت له الكرامات، ومن لم تظهر له فلعدم الصِّدق في زهده، فقيل لسهلٍ: كيف تظهر له الكرامة؟ فقال: يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء.

سمعت أبا حاتم السّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: دخلنا تُسْتَرَ فرأينا في قصر سهل بن عبدالله بيتًا كان النَّاس يُسمَّونه بيت السِّباع، فسألنا النَّاس عن ذلك؟ فقالوا: كانت السباع تجيء إلى سهلٍ، وكان يُدخلها هذا البيت، ويُضيِّفها ويُطعمها اللحم ثُمَّ يخليها، قال أبو نصر: ورأيت أهل تُسترَ كلَّهم متَّفقين على هذا لا ينكرونه وهو الجمع الكثير.

سمعت محمَّد بن أحمد بن محمَّد التميميَّ يقول: سمعت عبدالله بن علي الصوفيَّ يقول: سمعت حمزة بن عبدالله العلويَّ يقول: دخلت على أبي الخير التيناتيِّ، وكنت اعتقدت في نفسي أن أُسلِّم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعامًا، فلمَّا خرجت من عنده ومشيت قدرًا فإذا به خلفي وقد حمل طبقًا عليه طعامًا،

فقال: يا فتىٰ كُلْ هذا، فقد خرجت السّاعة من اعتقادك.

وأبو الخير التيناتيُّ مشهورٌ بالكرامات، حكىٰ عن إبراهيم الرقيِّ قال: قصدته مُسلِّمًا عليه فصلَّىٰ المغرب فلم يقرأ الفاتحة مُستويًا، فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلمَّا سلَّمتُ خرجت للطَّهارة فقصدني السَّبُع فعُدت إليه، وقلت: إنَّ الأسد قصدني، فخرج وصاح علىٰ الأسد، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني؟ فتنحَّىٰ وتطهَّرتُ، فلمَّا رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظَّواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد».

نقل هذه الكرامة أيضًا الإمام النَّوويُّ في"بستان العارفين" وقال: «قد يتوهَّم من يتشبَّه بالفقهاء ولا فقه عنده أنَّ صلاة أبي الخير هذا كانت فاسدةً لقوله: لم يقرأ الفاتحة مُستويًا، وهذه جهالةٌ وغَباوةٌ ممَّن يتوهَّم ذلك، وجَسارةٌ منه علىٰ إرسال الظُّنون في أولياء الرَّحمن، فليحذر العاقل من التّعرض لشيءٍ من ذلك؛ بل حقّه إذا لم يفهم حِكمهم المستفادة، ولطائفهم المُستجادة أن يتفهَّمها ممَّن يعرفها، وكل شيءٍ رأيته من هذا النَّوع ممَّا يتوهَّم من لا تحقيق عنده أنَّه مُخالفٌ، ليس بمخالفٍ بل يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالىٰ، وجواب هذا من ثلاثة أوجهٍ: أحدهما: أنَّه جرىٰ منه لحن لا يخل بالمعنىٰ، ومثل هذا لا يُفسد الصَّلاة بالاتفاق، الثاني: أنَّه مغلوبٌ علىٰ ذلك بخللٍ في لسانه، فتصح صلاته بالاتفاق، الثالث: أنَّه لو لم يكن له عذرٌ، فقراءة الفاتحة ليست بمتعيِّنة عند أبي حنيفة وطائفةٌ من العلماء، ولا يلزم هذا الوليُّ أن يتقيَّد بمذهب من أوجبها».اهـ

وقيل: كان لجعفر الخلديِّ فصٌّ فوقع يومًا في دِجْلَةَ، وكان عنده دعاءٌ

مُجَرَّبٌ للضَّالة تُردُّ به، فدعا به فوجد الفصَّ في وسط أوراق كان يتصفَّحها.

سمعت أبا حاتم السّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: إنَّ ذلك الدُّعاء: «يا جامع النَّاس ليومٍ لا ريب فيه اجمع عليَّ ضالَّتي»، قال أبو نصر السَّرَّاج: أراني أبو الطَّيب العكيُّ جزءًا ذكر فيه: من ذكر هذا الدُّعاء على ضالَّةٍ وجدها، وكان الجزء أوراقًا كثيرةً.

سألتُ أحمد الطّابرانيَّ السَّرَخسيَّ رحمه الله تعالى فقلت: هل ظهر لك شيءٌ من الكرامات؟ فقال: في وقت إرادتي وابتداء أمري ربَّما كنت أطلب حجرًا أستنجي به، فلم أجد فتناولت شيئًا من الهواء، فكان جوهرًا فاستنجيت به وطرحته، ثُمَّ قال: وأي خَطَرٍ للكرامات؟ إنَّما المقصود زيادة اليقين في التوحيد، فمن لا يشهد غيره موجودًا في الكون فسواء أبصر فعلًا مُعتادًا أو ناقضًا للعادة.

سمعت محمَّد بن أحمد الصوفيَّ يقول: سمعت عبدالله بن عليٍّ يقول: سمعت أبا الحسين البصريَّ يقول: كان بـعبَّادَان رجلٌ أسود فقيرٌ يأوي إلى الخرابات فحملت معي شيئًا وطلبته، فلمَّا وقعت عينه عليَّ تبسَّم، وأشار بيده إلى الأرض فرأيت الأرض كلَّها ذهبًا تلمع، ثُمَّ قال: هات ما معك؟ فناولته وهالني أمره وهربت.

سمعت منصورًا المغربيَّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: كان لي استقصاء في أمر الطَّهارة، فضاق صدري ليلةً من كثرة ما صببت من الماء، ولم يسكن قلبي، فقلت: يا رب عفوك، فسمعت هاتفًا يقول: العفو في العلم، فزال عنِّي ذلك.

سمعت منصورًا المغربيَّ يقول: فرأيته يومًا قعد على الأرض في الصّحراء،

وكان عليها آثار الغنم بلا سَجَّادة، فقلت: أيُّها الشيخ هذه آثار الغنم، فقال: اختلف الفقهاء فيه.

سمعت أبا حاتمٍ السَّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرَّازي يقول: سمعت أبا سليمان الخَوَّاص يقول: كنت راكبًا حمارًا يومًا، وكان الذّباب يؤذيه فيطأطأ رأسه، فكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي، فرفع الحمار رأسه وقال: اضرب فإنَّك على رأسك هكذا تُضرب، قال الحسين: فقلت لأبي سليمان لك وقع هذا؟ فقال: نعم كما تسمعني.

وذكر ابن عطاء أنَّه قال: سمعت أبا الحسن النّوريَّ يقول: كان في نفسي من هذه الكرامات شيءٌ، فأخذتُ قصبة من الصِّبيان وقمتُ بين زورقين، ثُمَّ قلت: وعِزَّتك لئن لم يُخرج لي سمكةٌ فيها ثلاثة أرطال لأُغرقنَّ نفسي، قال: فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطالٍ، فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حُكْمه أن تخرج له أفعى تلدغه.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُلمي يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القوّاس ببغداد: ثنا عبدالكبير بن أحمد: سمعت أبا بكر الصّائغ: سمعت أبا جعفر الحدّاد -أستاذ الجنيد- يقول: كنت بمكّة فطال شَعْري ولم يكن معي قطعةٌ من حديدٍ آخذ بها شعري، فتقدَّمت إلى مُزيِّن توسَّمتُ فيه الخير وقلت: تأخذ شعري لله تعالى؟ فقال: نعم وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا، فصرفه وأجلسني وحلق شعري، ثُمَّ دفع إليَّ قرطاسًا فيه دراهم، وقال: استعن بها على قضاء حوائجك، فأخذتها واعتقدت أن أدفع إليه أول شيء يفتح عليَّ به، قال: فدخلت المسجد فاستقبلني بعض إخواني، وقال

لي: جاء بعض إخوانك بصُرَّة من البصرة من بعض إخوانك، فيها ثلاثمائة دينار قال: فأخذت الصُرَّة وحملتها إلىٰ المزين، وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك، فقال لي: ألا تستحي يا شيخ؟ تقول لي: احلق شعري لله ثُمَّ آخذ عليه شيئًا، انصرف عافاك الله.

وحُكي عن النّوريِّ: أنَّه خرج ليلةً إلىٰ شَطِّ دِجلة، فوجدها قد التزق الشطَّان فانصرف وقال: وعِزَّتك لا أجوزها إلَّا في زَوْرَقٍ.

وقيل لأبي يزيد البِسْطَاميِّ: فلانٌ يمشي في ليلةٍ إلىٰ مكّة، فقال: الشّيطان يمشي في ساعةٍ من المشرق إلىٰ المغرب في لعنة الله، وقيل له: فلان يمشي علىٰ الماء ويطير في الهواء، فقال: الطّير يطير في الهواء، والسّمك يمرُّ علىٰ الماء.

وقال سهل بن عبدالله: أكبر الكرامات أن تُبدِّل خُلقًا مذمومًا من أخلاقك.

سمعت محمَّد بن أحمد بن محمَّد التميميَّ يقول: سمعت عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت ابن سالم يقول: سمعت أبي يقول: كان رجلٌ يقال له عبدالرحمن بن أحمد يصحب سهل بن عبدالله فقال له يومًا: ربّما أتوضأ للصَّلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة، فقال سهل: أما علمت أنَّ الصِّبيان إذا بَكوا أُعطوا خَشْخَاشَةً ليشتغلوا بها.

سمعت أبا حاتمٍ السَّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصرٍ السَّرَّاج يقول: أخبرني جعفر بن محمَّدٍ، حدَّثني الجنيد قال: دخلت علىٰ السَّريِّ يومًا فقال لي: عصفورٌ كان يجيء في كلِّ يومٍ فأفتُّ له الخبز فيأكل من يدي، فنزل وقتًا من الأوقات فلم يسقط علىٰ يدي، فتذكرت في نفسي إيش السّبب؟ فذكرت أنِّي أكلت ملحًا بإِبْزَار، فقلت في نفسي: لا آكل بعدها وأنا تائبٌ منه، فسقط علىٰ يدي وأكل.

وحكىٰ أبو عمرو الأنماطيُّ قال: كنت مع أستاذي في البادية، فأخذنا المطر؛ فدخلنا مسجدًا نستكنُّ فيه، وكان السّقف يفك، فصعدنا السَّطح ومعنا خشبةٌ نريد إصلاح السّقف فقصر الخشب عن الجدار، فقال أستاذي: مُدَّهُ، فمددتها فركبت الحائط من هاهنا، ومن هاهنا.

سمعت محمَّد بن أحمد النَّجار يقول: سمعت الرقيَّ يقول: سمعت أبا بكر الدقَّاق يقول: كنت مارًّا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أنَّ علم الحقيقة مُباينٌ للشّريعة، فهتف بي هاتفٌ من تحت شجرةٍ: كلُّ حقيقةٍ لا تتبعها شريعةٌ فهي كفرٌ.

وقال بعضهم: كنت عند خير النَّساج فجاءه رجلٌ، وقال: أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين، فجئت خلفك فحللتهما من طَرَف إزارك، وقد صارت يدي منقبضة علىٰ كتفي، قال: فضحك خير، وأومأ بيده إلىٰ يد الرجل ففتحها، ثُمَّ قال: امضِ واشترِ لعيالك بهما شيئًا ولا تَعُد لمثله.

وحُكي عن أحمد بن محمَّد السُّلّميِّ قال: دخلت علىٰ ذي النّون المصريِّ يومًا، فرأيت بين يديه طِستًا من ذهب، وحوله الندّ والعنبر يَسجُر، فقال لي: أنت ممَّن يدخل علىٰ الملوك في حال بسطهم! ثُمَّ أعطاني درهمًا فأنفقت منه إلىٰ بَلْخ!.

وحُكي عن أبي سعيد الخرَّاز قال: كنت في بعض أسفاري، وكان يظهر لي كلَّ ثلاثة أيامٍ شيءٌ فكنت آكله وأستقلُّ به، فمضىٰ ثلاثة أيام وقتًا من الأوقات ولم يظهر شيءٌ، فضعفت وجلست، فهتف بي هاتفٌ: أيّما أحب إليك سببٌ أو قوةٌ؟ فقلت: القوَّة، فقمت من وقتي ومشيت إثني عشر يومًا لم أذق شيئًا ولم أضعف.

وعن المرتعش قال: سمعت الخوّاص يقول: تُهتُ في البادية أيامًا فجاءني شخص وسلَّم عليَّ، وقال لي: تُهتَ؟ فقلت: نعم، فقال: ألا أدُلُّك علىٰ الطّريق

ومشىٰ بين يدي خطواتٍ، ثُمَّ غاب عن عيني، وإذا أنا علىٰ الجادّة فبعد ذلك ما تُهت، ولا أصابني في سفرٍ جوعٌ ولا عطشٌ.

سمعتُ محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت عمر بن يحيىٰ الأردبيلي يقول: سمعت الرقيَّ يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لما مات أبي ضحك علىٰ المُغتَسَل، فلم يجسر أحدٌ يُغسِّله، وقالوا: إنَّه حيٌّ، حتىٰ جاء واحدٌ من أقرانه وغَسَّله.

سمعتُ محمَّد بن أحمد التميميَّ يقول: سمعت طلحة القصائريَّ يقول: سمعت المفتاحيَّ صاحب سهل بن عبدالله يقول: كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يومًا، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي.

ثنا محمَّد بن عبدالله الصوفيُّ: ثنا أبو الحسن غلام شَعْوَانة: سمعت عليَّ بن سالم يقول: كان سهل بن عبدالله أصابته زَمَانةٌ في آخر عمره، فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه، فإذا أدىٰ الفرض عاد إلىٰ حال الزَّمَانة.

وقال بعضهم: كنت بمدينة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مسجده مع جماعةٍ نتجارىٰ الآيات، ورجلٌ ضَريرٌ بالقرب منَّا يسمع، فتقدَّم إلينا وقال: أَنِسْتُ بكلامكم، اعلموا أنَّه كان لي صِبيةٌ وعيالٌ، وكنت أخرج إلىٰ البقيع أحتطب، فخرجت يومًا فرأيت شابًّا عليه قميص كتّان ونعله في أُصبعه، فتوهّمت أنَّه تائهٌ فقصدته لسلب ثوبه، فقلت له: انزع ما عليك؟ فقال: سِر في حفظ الله، فقلت: الثانية والثالثة، فقال: لابد، فقلت: لابد، فأشار بأصبعيه من بعيد إلىٰ عيني فسقطتا، فقلت: بالله عليك من أنت؟ فقال: إبراهيم الخوَّاص.

وحُكي عن إبراهيم الخوَّاص قال: دخلت البادية مرّةً، فرأيت نَصرانيًا علىٰ وسطه زُنَّارًا، فسألني الصُّحبة فمشينا سبعة أيامٍ، فقال لي: يا راهب

الحَنِيفيَّة هات ما عندك من الانبساط فقد جُعنا؟ فقلت: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر، فرأيت طبقًا عليه خبزًا وشِواءً ورُطبًا وكوز ماءٍ، فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام، ثُمَّ بادرت وقلت: يا راهب النَّصارىٰ هات ما عندك فقد انتهت النَّوبة إليك؟ فاتَّكأ علىٰ عصاه ودعا، فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان علىٰ طبقي، قال: فتحيَّرت وتغيَّرت وأبيت أن آكل فألحَّ عليَّ فلم أجبه، فقال: كُل فإنِّي أُبشِّرك ببشارتين: أحدهما أنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وحلَّ الزُّنَّار، والأخرىٰ أنِّي قلت: اللهمَّ إن كان لهذا العبد خطر عندك، فافتح عليَّ بهذا، ففتح، قال: فأكلنا ومشينا وحجَّ وأقمنا بمكّة سنةً، ثُمَّ إنَّه مات ودُفن بالبطحاء.

سمعت محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت محمَّد بن الفرحان يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت أبا جعفر الخصَّاف يقول: حدَّثني جابر الرَّحبي قال: أكثر أهل الرَّحبة عليَّ الإنكار في باب الكرامات، فركبت السَّبُع يومًا ودخلت الرَّحبة، وقلت: أين الذين يُكذِّبون أولياء الله؟ قال: فكفوا بعد ذلك عنِّي.

وقيل: كان لإبراهيم بن أدهم صاحبٌ -يُقال له: يحيىٰ- يتعبد في غرفةٍ ليس إليها سُلَّم ولا درج، فكان إذا أراد أن يتطهَّر يجيء إلىٰ باب الغرفة، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويمر في الهواء كأنَّه طيرٌ، ثُمَّ يتطهَّر، فإذا فرغ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويعود إلىٰ غرفته.

أخبرنا محمَّد بن عبدالله الصّوفيُّ: سمعت عمر بن محمَّد بن أحمد الشيرازيَّ -بالبصرة- قال: سمعت أبا محمَّد جعفر الحَذَّاء بشِيراز قال: كنت أتأدَّب بأبي عمر الإِصْطَخْرِيِّ، فكان إذا خطر لي خاطرٌ أخرج إلىٰ إِصْطَخْرَ، فربُّما أجابني عمَّا

أحتاج إليه من غير أن أسأله، وربَّما سألت فأجابني، ثُمَّ شُغلت عن الذِّهاب، فكان إذا خطر علىٰ سرِّي مسألةٌ أجابني من إِصْطَخْرَ فيخاطبني بما يَرِدُ عليَّ.

وحكىٰ بعضهم قال: مات فقيرٌ في بيت مُظلمٍ، فلمَّا أردنا غُسله تكلَّفنا طلب سِراجٍ، فوقع من كُوَّةٍ ضوءٌ فأضاء البيت فغسَّلناه، فلمَّا فرغنا ذهب الضوء كأن لم يكن.

وحُكي عن إبراهيم الآجريِّ قال: جاءني يهوديٌّ يتقاضى دَيْنًا كان له عليَّ، وأنا قاعدٌ عند الأُتون أُوقِد تحت الآجُرِّ، فقال لي اليهوديُّ: يا إبراهيم، أرني آية أُسلِم عليها، فقلت له: تفعل؟ قال: نعم، فقلت: انزع ثوبك، فنزع فلففته، ولففت علىٰ ثوبه ثوبي وطرحته في النَّار، ثُمَّ دخلت الأُتون وأخرجتُ الثَّوب من وسط النَّار، وخرجت من الباب الآخر؛ فإذا ثيابي بحالها لم يصبها شيءٌ، وثيابه في وسطها صارت حراقة، فأسلم اليهوديُّ.

سمعت محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت أحمد بن محمَّد بن عبدالله الفرغانيَّ يقول: تزوَّج عبَّاس بن المهتدي امرأةً، فلمَّا كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامةٌ، فلمَّا أراد الدُّنوَّ منها زُجِر عنها، فامتنع من وطئها وخرج، فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوجٌ.

قال الأستاذ: هذا هو الكرامة علىٰ الحقيقية حيث حفظ عليه العلم.

وقال عبدالواحد بن زيدٍ لأبي عاصمٍ البصريِّ: كيف صنعت حين طلبك الحَجَّاج؟ قال: كنت في غرفتي فدقّوا عليَّ الباب، فدخلوا فدفعت بي دفعةً، فإذا أنا علىٰ أبي قُبَيسٍ بمكّة، فقال له عبدالواحد: من أين كنت تأكل؟ قال: كانت تصعد إليَّ عجوزٌ كلَّ وقتٍ عند إفطاري بالرَّغيفين اللذين كنت آكلهما

بالبصرة، فقال عبدالواحد: تلك الدنيا أمرها الله أن تخدم أبا عاصمٍ.

وقيل: كان عامر بن عبد قيسٍ يأخذ عطاءه، ولا يستقبله أحدٌ إلَّا أعطاه شيئًا، وكان إذا أتىٰ منزله رمىٰ إليه بالدراهم، فتكون بمقدار ما أخذ لم تنقص.

سمعت أبا عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت أبا أحمد الكبير يقول: سمعت أبا عبدالله بن خَفِيف يقول: سمعت أبا عمر الزَّجَّاجيَّ يقول: دخلت علىٰ الجنيد وكنت أريد أن أخرج إلىٰ الحجِّ، فأعطاني درهمًا صحيحًا، فشددته علىٰ مِئزري، فلم أدخل منزلًا إلَّا وجدت رُفقاء، ولم أحتج إلىٰ الدرهم، فلما حججت ورجعت إلىٰ بغداد دخلت علىٰ الجنيد فمدَّ يده، وقال: هات فناولته الدرهم، فقال: كيف كان؟ فقلت: كان الحتم -أي: الأمر- نافذًا.

وحُكي عن أبي جعفر الأعور قال: كنت عند ذي النّون المصريِّ فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النّون: من الطّاعة أن أقول لهذا السّرير يدور في أربع زوايا البيت ثُمَّ يرجع إلىٰ مكانه فيفعل، قال: فدار السَّرير في أربع زوايا البيت وعاد إلىٰ مكانه، وكان هناك شابٌّ فأخذ يبكي حتىٰ مات في الوقت.

وقال أبو بكر بن عبدالرحمن: كنَّا مع ذي النّون المصريِّ في البادية، فنزلنا تحت شجرة أُمِّ غَيلان، فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رُطَبٌ! فتبسَّم ذو النّون وقال: أتشتهون الرُّطب؟ وحرَّك الشَّجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرةً إلَّا نثرت علينا رُطبًا جَنيًّا، ثُمَّ حرَّكها فنثرت رُطبًا جَنيًّا، فأكلنا وشبعنا، ثُمَّ نمنا وانتبهنا فحركنا الشَّجرة فنثرت علينا شوكًا.

وحُكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال: كنت أنا وأبو بكر الورَّاق مع أبي سعيد الخرَّاز نمشي علىٰ ساحل البحر نحو صيدا، فرأىٰ شخصًا

من بعيد، فقال: اجلسوا لا يخلو هذا الشخص أن يكون وليًّا من أولياء الله، قال: فما لبثنا أن جاء شابٌّ حسن الوجه، وبيده رَكوةٌ ومعه مَحبرةٌ وعليه مُرَقَّعةٌ، فالتفت أبو سعيد إليه مُنكرًا عليه، لحمله المَحبرة مع الرَّكوة، فقال له: يا فتىٰ كيف الطّرق إلىٰ الله تعالىٰ؟ فقال: أبا سعيد أعرف طريقين: طريقًا خاصًا، وطريقًا عامًا، فأمَّا الطّريق العام فالذي أنت عليه، وأمَّا الطّريق الخاص فهلُمَّ، ثُمَّ مشىٰ علىٰ الماء حتىٰ غاب عن أعيننا، فبقي أبو سعيد حيران ممَّا رأىٰ.

وقال الجنيد: جئت مسجد الشُّونِيزيَّة، فرأيت فيه جماعةً من الفقراء يتكلمون في الآيات، فقال فقيرٌ منهم: أعرف رجلًا لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهبًا نصفك ونصفك فضةً كانت، قال الجنيد: فنظرت فإذا الأسطوانة نصفها ذهبٌ ونصفها فضةٌ.

وقيل: حجَّ سفيان الثوري مع شيبان الرَّاعي، فعرض لهما سَبُعٌ، فقال سفيان لشيبان: أما ترىٰ هذا السَّبُع؟ فقال: لا تخف، فأخذ شيبان أذنه فعركها، فبصبص وحرَّك ذَنَبه، فقال سفيان: ما هذه الشُّهرة؟ فقال: لولا مخافة الشُّهرة، لوضعت زادي علىٰ ظهره حتىٰ آتي مكّة.

وحُكي عن أبي عليٍّ الرّازيِّ قال: مررتُ يومًا علىٰ الفُرات، فعرضت لنفسي شهوة السَّمك الطريِّ، فإذا الماء قد قذف سمكةً نحوي وإذا رجلٌ يعدو ويقول: أشويها لك؟ فقلت: نعم، فشواها فقعدت وأكلتها.

وقال حامد الأسود: كنت مع الخوَّاص في البرِّيَّة، فبتنا عند شجرةٍ، وجاء السَّبُع فصعدت الشَّجرة إلىٰ الصَّباح لا يأخذني النوم، ونام إبراهيم الخوَّاص والسَّبُع يشمُّ من رأسه إلىٰ قدمه، ثُمَّ مضىٰ، فلما كانت الليلة الثانية بتنا في مسجدٍ

في قريةٍ، فوقعت بقَّةٌ علىٰ وجهه فضربته، فأنَّ أنَّةً، فقلت: هذا عجبٌ! البارحة لم تجزع من الأسد، والليلة تصيح من البقِّ؟ فقال: أمَّا البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله عزَّ وجلَّ، وأمَّا الليلة فهذه حالة أنا فيها بنفسي.

وحُكي عن عطاء الأزرق: أنَّه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشتري الدّقيق لهم، فخرج من بيته فلقي جارية تبكي، فقال لها: ما لك؟ فقالت: دفع إليَّ مولاي درهمين أشتري لهم شيئًا وسقطا مِنِّي، فأخاف أن يضربني، فدفع عطاء الدِّرهمين إليها، ومرَّ وقعد علىٰ حانوت صديقٍ له ممَّن يشقُّ السَّاج، وذكر له الحال وما يخاف من سوء خُلق امرأته، فقال له صاحبه: خذ من هذه النُّشارة في هذا الجراب؛ لعلّكم تنتفعون بها في سَجر التّنّور، إذ ليس يساعدني الإمكان في شيءٍ آخر، فحمل النُّشارة وفتح باب داره ورمىٰ بالجراب وردَّ الباب، ودخل المسجد إلىٰ ما بعد العتمة؛ ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة، فلمّا فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز، فقال: من أين لكم هذا الخبز؟ فقالوا: من الدّقيق الذي كان في الجراب، لا تشترِ غير هذا الدّقيق، قال: أفعل إن شاء الله تعالىٰ.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا جعفر بن بركات يقول: كنت أجالس الفقراء ففتح عليَّ بدينار، فأردت أن أدفعه إليهم، ثُمَّ قلت في نفسي: لعلِّي أحتاج إليه، فهاج بي وجع الضّرس، فقلعت سَنًّا، فوجعت الأخرىٰ حتىٰ قلعتها، فهتف بي هاتف: إن لم تدفع إليهم بدينارٍ فلا يبقىٰ في فمك سِنٌّ واحدةٌ.

قال الأستاذ: وهذا في باب الكرامة أتمُّ من أن كان يفتح عليه دنانير كثيرة

بنقض العادة.

وحكىٰ أبو سليمان الدّارانيُّ قال: خرج عامر بن عبد قيسٍ إلىٰ الشّام، ومعه رَكْوةٌ إذا شاء صبَّ منها ماءٌ يتوضَّأ للصَّلاة، وإذا شاء صبَّ منها لبنًا يشربه.

ثنا محمَّد بن عبدالله الصوفيُّ: ثنا عبدالعزيز بن الفضل: ثنا محمَّد بن أحمد المروزيُّ: ثنا عبدالله بن سليمان قال: قال أبو حمزة نصر بن الفرج -خادم أبي معاوية الأسود-: كان أبو معاوية ذهب بصره، فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيردُّ الله عليه بصره، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

وقال أحمد بن الهيثم المتطبب: قال لي بشرٌ الحافيُّ: قُل لمعروفٍ الكَرخيِّ: إذا صلَّيت جئتك، قال: فأديت الرسالة وانتظرته، فصلَّينا الظّهر ولم يجيء، ثُمَّ صلَّينا العصر، ثُمَّ المغرب، ثُمَّ العِشاء، فقلت في نفسي: سبحان الله! مثل بشرٍ يقول شيئًا ثُمَّ لا يفعل! لا يجوز ألَّا يفعل، وانتظرته وأنا فوق مسجدٍ علىٰ مِشْرَعةٍ، فجاء بشرٌ بعد هوىً من الليل وعلىٰ رأسه سَجَّادة، فتقدَّم إلىٰ دِجلة ومشىٰ علىٰ الماء، فرميت بنفسي من السَّطح وقبلت يديه ورجليه، وقلت: ادعُ الله لي، فدعا لي وقال: استره عليَّ، فلم أتكلَّم بهذا حتىٰ مات.

أخبرنا أبو عبدالله الشِّيرازيُّ: ثنا أبو الفرج الورثانيُّ: سمعت علي بن يعقوب -بدمشق- قال: سمعت أبا بكر محمَّد بن أحمد يقول: سمعت قاسمًا الجوعيَّ يقول: رأيت رجلًا في الطَّواف لا يزيد علىٰ قوله: قضيت حوائج الكلِّ ولم تقضِ حاجتي؟ فقلت: ما لك لا تزيد علىٰ هذا الدُّعاء؟ فقال: أُحدِّثك: اعلم أنا كنَّا سبعة أنفس من بلدان شتَّىٰ، فخرجنا إلىٰ الجهاد فأسرنا الرّوم، ومضوا بنا لنُقتل، فرأيت سبعة أبواب فُتحت من السَّماء، وعلىٰ كلِّ بابٍ جاريةٌ

حسناء من الحور العين، فَقُدِم واحد منا فضُربت عنقه، فرأيت جارية منهن هبطت إلىٰ الأرض بيدها منديل، فقبضت روحه، حتىٰ ضُربت أعناق ستةٍ منّا، فاستوهبني بعض رجالهم، فقالت الجارية: أي شيء فاتك يا محروم؟ وغُلِّقت الأبواب، فأنا يا أخي متأسِّفٌ مُتحسِّرٌ علىٰ ما فاتني.

قال قاسم الجوعيُّ: أراه أفضلهم؛ لأنَّه رأىٰ ما لم يروا، وعمل علىٰ الشّوق بعدهم.

وسمعته يقول: سمعت أبا النّجم أحمد بن الحسين -بخوزستان- يقول: سمعت أبا بكر الكنانيَّ يقول: كنت في طريق مكّة في وسط السَّنة، فإذا أنا بِهميان ملآن يلتمع دنانير، فهممت أن أحمله؛ لأُفرِّقه بمكّة علىٰ الفقراء، فهتف بي هاتفٌ: إن أخذته سلبناك فقرك.

ثنا محمَّد بن محمَّد بن عبدالله الصوفيُّ: ثنا أحمد بن يوسف الخيَّاط قال: سمعت أبا علي الروذباريَّ يقول: سمعت أبا العبَّاس الشرفيَّ يقول: كنا مع أبي تراب النَّخشبيِّ في طريق مكّة، فعدل عن الطَّريق إلىٰ ناحيةٍ، فقال بعض أصحابه: أنا عطشان، فضرب برجله الأرض؛ فإذا عين ماءٍ زُلالٍ، فقال الفتىٰ: أحبُّ أن أشربه في قدح، فضرب بيده إلىٰ الأرض فناوله قدحًا من زجاجٍ أبيض، كأحسن ما رأيت، وسقانا، ومازال القدح معنا إلىٰ مكّة، فقال لي أبو تراب: يومًا ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده؟ فقلت: ما رأيت أحدًا إلا وهو يؤمن بها، فقال: من لم يؤمن بها فقد كفر، إنَّما سألتك عن طريق الأحوال، فقلت: ما أعرف لهم قولًا فيه، قال: بلىٰ قد زعم أصحابك أنها خِدعٌ من الحقِّ، وليس الأمر كذلك، إنَّما الخِدع في حال السُّكون إليها، فأمَّا

من لم يقترح ذلك، ولم يُساكنها، فتلك مرتبة الربَّانيين.

حدَّثنا محمَّد بن عبلة الصوفيُّ: ثنا أبو الفرج الورثانيُّ قال: سمعت محمَّد بن الحسين الخلدي بطرسوس قال: سمعت أبا عبدالله بن الجلاء يقول: كنَّا في غرفة سَريٍّ السَّقَطيِّ ببغداد، فلمَّا ذهب من الليل شيءٌ لبس قميصًا نظيفًا وسراويل ورداءً ونعلًا، وقام ليخرج فقلت: إلى أين في هذا الوقت؟ فقال: أعود فتحًا الموصلي، فلمَّا مشى في طُرقات بغداد أخذه العَسَسُ وحبسوه، فلمَّا كان من الغد أُمر بضربه مع المحبوسين، فلمَّا رفع الجلَّاد يده ليضربه وقفت يداه فلم يقدر أن يحرِّكها، فقيل للجلَّاد: اضرب، فقال: بحذائي شيخٌ يقول: لا تضربه، فتقف يداه لا تتحرَّك، فنظروا مَن الرجل، فإذا هو فتح الموصلي فلم يضربوه.

أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السُلَميُّ: حدَّثنا أبو الحارث الخَطَّابيُّ: ثنا محمَّد بن الفضل: ثنا عليُّ بن مسلمٍ: ثنا سعيد بن يحيى البصريُّ قال: كان أناس من قريشٍ يجلسون إلى عبدالواحد بن زيدٍ، فأتوه يومًا وقالوا: إنَّا نخاف من الضَّيقة والحاجة، فرفع رأسه إلى السّماء وقال: اللهمَّ إنِّي أسالك باسمك المرتفع، الذي تُكرم به من شئت من أوليائك، وتُلهمه الصفيَّ من أحبابك، أن تأتينا برزقٍ من لدنك، تقطع به علائق الشّيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء، فأنت الحنَّان المنَّان، القديم الإحسان، اللهمَّ السَّاعة السَّاعة. قال: فسمعت والله قعقعة للسَّقف، ثُمَّ تناثرت علينا دنانير ودراهم، فقال عبدالواحد بن زيد: استغنوا بالله عزَّ وجلَّ عن غيره، فأخذوا ذلك، ولم يأخذ عبدالواحد شيئًا.

وسمعت أبا عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت عبدالواحد بن بكر الورثانيَّ

يقول: سمعت محمَّد بن علي بن الحسين المقري -بطرسوس- يقول: سمعت أبا عبدالله بن الجلاء يقول: اشتهت والدتي علىٰ والدي يومًا من الأيام السَّمك، فمضىٰ والدي إلىٰ السّوق وأنا معه، فاشترىٰ سمكًا ووقف ينتظر من يحمله، فرأىٰ صبيًّا وقف بحذائه مع صبيٍّ فقال: يا عم تريد من يحمله؟ فقال: نعم، فحمله ومشىٰ معنا فسمعنا الأذان، فقال الصَّبيُّ: أذَّن المؤذِّن وأحتاج أن أتطهَّر وأُصلِّي فإن رضيت وإلا فاحمل السَّمك، ووضع الصَّبيُّ السَّمك ومرَّ، فقال أبي: فنحن أولىٰ أن نتوكَّل في السَّمك، فدخلنا المسجد فصلَّينا، وجاء الصَّبيُّ وصلَّىٰ، فلمَّا خرجنا فإذا بالسَّمك موضوعٌ مكانه، فحمله الصَّبيُّ، ومضىٰ معنا إلىٰ دارنا، فذكر والدي ذلك لوالدتي، فقالت له: قل له حتىٰ يقيم عندنا ويأكل معنا، فقلنا له، فقال: إني صائم، فقلنا: تعود بالعشيِّ؟ فقال: إذا حملت مرّةً في اليوم لا أحمل ثانيًا، ولكنِّي سأدخل المسجد إلىٰ المساء، ثُمَّ أدخل عليكم، فمضىٰ، فلمَّا أمسينا، دخل الصَّبيُّ وأكلنا، فلمَّا فرغنا دللناه علىٰ موضع الطَّهارة، ورأينا فيه أنَّه يؤثر الخلوة، فتركناه في بيتٍ، فلمَّا كان بعض الليل كان لقريبٍ لنا بنتٌ زَمِنَةٌ فجاءت تمشي، فسألناها عن حالها، فقالت: قلت: يا ربِّ أسألك بحرمة ضيفنا أن تعافيني، فقمت، قال: فمضينا لنطلب الصَّبيَّ فإذا الأبواب مغلقةٌ كما كانت ولم نجد الصَّبيَّ، فقال أبي: فمنهم -أي: الأولياء- صغيرٌ، ومنهم كبيرٌ.

سمعت محمَّد بن الحسين يقول: ثنا أبو الحارث الخطَّابي: ثنا محمَّد بن الفضل: ثنا عليُّ بن مسلم: ثنا سعيد بن يحيىٰ البصريُّ قال: أتيت عبدالواحد بن زيدٍ وهو جالسٌ في ظلٍّ، فقلت له: لو سألت الله أن يوسِّع عليك الرزق،

لرجوت أن يفعل، فقال: ربِّي أعلم بمصالح عباده، ثُمَّ أخذ حصىٰ من الأرض، ثُمَّ قال: اللهمَّ إن شئت أن تجعلها ذهبًا فعلت، فإذا هي والله في يده ذهبٌ فألقاها إليَّ، وقال: أنفقها أنت، فلا خير في الدُّنيا إلَّا للآخرة.

سمعت أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت محمَّد بن الحسن البغداديَّ يقول: سمعت أبا علي بن يوسف المؤدِّب يقول: تكلَّم سهل بن عبدالله يومًا في الذِّكر فقال: إنَّ الذاكر لله علىٰ الحقيقة لو هَمَّ أن يُحيِيَ الموتىٰ لفعل، ومسح يده علىٰ عليلٍ بين يديه فبَرئ وقام.

وسمعت أبا عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت أبا عبدالله بن مفلح يقول: سمعت المغازليَّ يقول: سمعت الجنيد يقول: كانت معي أربعة دراهم، فدخلت علىٰ السَّريِّ، وقلت: هذه أربعة دراهم حملتها إليك، فقال: أبشر يا غلام بأنَّك تُفلح، كنت أحتاج إلىٰ أربعة دراهم، فقلت: اللهمَّ ابعثها علىٰ يد من يُفلح عندك.

وسمعته يقول: حدَّثني إبراهيم بن أحمد الطَّبريُّ: ثنا أحمد بن يوسف: ثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيىٰ: حدَّثني أبي حدَّثني أبو إبراهيم اليمانيُّ قال: خرجنا نسير مع إبراهيم بن أدهم علىٰ ساحل البحر، فانتهينا إلىٰ غَيْضَةٍ فيها حطبٌ يابسٌ كثيرٌ، وبالقرب منها حِصنٌ، فقلنا لإبراهيم بن أدهم: لو أقمنا الليلة هاهنا وأوقدنا من هذا الحطب، فقال: افعلوا، فطلبنا النَّار من الحِصن فأوقدنا، وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل، فقال واحدٌ منَّا: ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحمٌ نشويه عليه! فقال إبراهيم بن أدهم: إنَّ الله تعالىٰ لقادر علىٰ أن يطعمكموه، قال: فبينا نحن كذلك إذا بأسدٍ يطرد أيلًا -ذكر الوعل- فلمَّا

قرب منَّا وقع فاندقت عنقه، فقام إبراهيم بن أدهم وقال: اذبحوه فقد أطعمكم الله، فذبحناه وشوينا من لحمه، والأسد واقفٌ ينظر إلينا.

سمعت محمَّد بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم عبدالله بن علي الشَّجَريَّ يقول: كنت مع إبراهيم الخوَّاص في البادية سبعة أيام على حالةٍ واحدةٍ، فلمَّا كان اليوم السّابع ضَعُفتُ، فجلستُ، فالتفتَ إليَّ وقال: ما لَكَ؟ فقلت: ضَعُفتُ، فقال: أيُّها أغلب عليك، الماء أو الطَّعام؟ فقلت: الماء، فقال: الماء وراءك، فالتفتُّ فإذا عين ماءٍ كاللبن الحليب، فشربت وتطهَّرت، وإبراهيم ينظر ولم يقربه، فلمَّا أردت القيام، هممت أن أحمل منه فقال: أمسك؛ فإنَّه ليس ممَّا يُتزوَّدُ منه.

سمعت أبا عبدالله يقول: سمعت أبا عبدالله بن عبدالله يقول: سمعت أبا عبدالله الدَّبَّاس البغداديَّ يقول: سمعت فاطمة -أخت أبي علي الروذباريِّ- تقول: سمعت زيتونة -خادمة أبي الحسين النُّوريِّ، وكانت تخدمه، وخدمت أبا حمزة والجنيد- قالت: كان يومٌ باردٌ فقلت للنُّوريِّ: أَحمِل شيئًا إليك؟ قال: نعم، فقلت: إيش تريد؟ قال: خبز ولبن، فحملت وكان بين يديه فحمٌ، وكان يقلِّبها بيديه وقد اشتعلت، فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده، وعليها سواد الفحم، فقلت في نفسي: ما أقذر أولياءك يا رب! ما فيهم أحد نظيف! قالت: فخرجت من عنده، فتعلَّقت بي امرأة، فقالت: سرقت لي رُزمة ثياب، وجرُّوني إلى الشُّرطي، فأُخبر النُّوري بذلك، فخرج وقال للشُّرطي: لا تتعرَّضوا لها؛ فإنَّها وليَّةٌ من أولياء الله تعالى، فقال الشُّرطي: كيف أصنع والمرأة تدَّعي؟ قال: فجاءت جاريةٌ، ومعها الرُّزمة المطلوبة، فاستردَّ النُّوري المرأة

وقال لها: لا تقولي بعدها، ما أقذر أولياءك، قالت: فقلت: تُبتُ إلى الله تعالى.

سمعت محمَّد بن عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت محمَّد بن فارسٍ الفارسيَّ يقول: سمعت أبا الحسن خيرًا النَّسَّاج يقول: سمعت الخوَّاص يقول: عطشت في بعض أسفاري وسقطت من العطش، فإذا أنا بماء رُشَّ على وجهي، ففتحت عيني، فإذا برجلٍ حسن الوجه راكبٌ دابَّة شَهْبَاء، فسقاني الماء، وقال: كن رَدِيفي، وكنت بالحجاز، فما لبثت إلَّا يسيرًا، فقال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة، فقال: انزل، وأَقْرِأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منِّي السَّلام، وقل أخوك الخَضِر يُقرؤك السَّلام.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت محمَّد بن الحسن البغداديَّ يقول: قال أبو الحديد: سمعت المُظَفَّر الجَصَّاص يقول: كنت أنا ونصر الخرَّاط ليلةً في موضعٍ فتذاكرنا شيئًا من العلم، فقال الخرَّاط: إنَّ الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره أن يعلم أنَّ الله تعالى ذَكَره، فبذكر الله ذِكره، قال: فخالفتُه، فقال: لو كان الخَضِر عليه السَّلام هاهنا لشهد بصحَّته، قال: فإذا نحن بشيخٍ يَجيء بين السَّماء والأرض، حتى بلغ إلينا وسلَّم، وقال: صَدَق، الذَّاكر لله تعالى بفضل ذِكر الله تعالى له ذِكره، فعلمنا أنَّه الخضر عليه السَّلام.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقَّاق يقول: جاء رجلٌ إلى سهل بن عبدالله، وقال: إنَّ النَّاس يقولون إنَّك تمشي على الماء فقال: سَلْ مؤذِّن المحلَّة؛ فإنَّه رجلٌ صالح لا يكذب، قال: فسألته، فقال المؤذِّن: لا أدري هذا، ولكنَّه كان في بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهَّر فوقع في الماء، فلو لم أكن أنا لبقي فيه. قال الأستاذ أبو علي الدقَّاق: إنَّ سهلًا كان بتلك الحالة التي وَصَف، ولكنَّ الله

تعالىٰ يريد أن يستر أولياءه، فأجرىٰ ما وقع من حديث المؤذِّن والحوض سَترًا لحال سهلٍ، وسهلٌ كان صاحب الكرامات.

وقريب من هذا المعنىٰ ما حُكي عن أبي عثمان المغربيِّ قال: رأيته بخطِّ أبي الحسين الجرجانيِّ قال: أردت مرَّةً أن أمضي إلىٰ مصر، فخطر لي أن أركب السّفينة، ثُمَّ خطر ببالي أني أُعرف هناك، فخفت الشُّهرة، فمرَّ مركبٌ، فبدا لي، فمشيت علىٰ الماء، ولحقت بالمركب ودخلت السفينة، والناس ينظرون، ولم يقل أحد إنَّ هذا ناقضٌ للعادة أو غير ناقضٍ، فعرفت أنَّ الوليَّ مستورٌ وإن كان مشهورًا.

وممَّا شاهدنا من أحوال الأستاذ أبي عليٍّ الدقَّاق رضي الله عنه معاينةً: أنَّه كان به عِلَّة حُرقة البول، وكان يقوم في ساعةٍ غير مرَّةٍ حتىٰ كان يُجدد الوضوء غير مرَّةٍ لركعتي فرضٍ، وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس، وربَّما كان يحتاج إليها في الطَّريق مرَّات ذاهبًا وجائيًا، وكان إذا قعد علىٰ رأس الكرسيِّ يتكلَّم لا يحتاج إلىٰ طهارةٍ، ولو امتدَّ به المجلس زمنًا طويلًا، وكنَّا نُعاين ذلك من سنين، ولم يقع لنا في حياته أنَّ هذا شيءٌ ناقضٌ لعادته، وإنَّما وقع لي هذا، وفُتح عليَّ عِلمه بعد وفاته.

وفي قريبٍ من هذا ما يُحكىٰ عن سهل بن عبدالله: أنَّه كان قد أصابته زَمَانةٌ في آخر عمره، وكانت تُردُّ عليه القوة في أوقات الفرض فيُصلِّي قائمًا.

ومن المشهور: أنَّ عبدالله الوزَّان كان مُقعدًا، وكان في السَّماع إذا ظهر به وجدٌ يقوم ويستمع.

وسمعت محمَّد بن عبدالله الصّوفيَّ يقول: ثنا إبراهيم بن محمَّد المالكيُّ: ثنا يوسف بن أحمد البغداديُّ: ثنا أحمد بن أبي الحواريِّ قال: حَجَجتُ أنا وأبو

سليمان الدَّارانيُّ، فبينا نحن نسير إذ سقطت السَّطيحَة منِّي، فقلت لأبي سليمان: فقدت السَّطيحَة وبقينا بلا ماءٍ، وكان بردٌ شديدٌ، فقال أبو سليمان: يا رادَّ الضَّالَّة ويا هاديًا من الضَّلالة أُردُدْ علينا الضَّالة، فإذا واحدٌ ينادي: من ذهبت له سَطِيحَة؟ قال: فقلت: أنا، فأخذتها، فبينا نحن نسير، وقد تدرعَّنا بالفِراء؛ لشدَّة البرد، فإذا نحن بإنسانٍ عليه طِمْران، وهو يترشَّح عرقًا، فقال أبو سليمان: تعالىٰ ندفع إليه شيئًا ممَّا علينا من الثِّياب، فقال: يا أبا سليمان، أتشير بالزهد وأنت تجد البرد؟ أنا أَسِيح في هذه البرِّيَّة منذ ثلاثين سنةً ما انتفضت ولا ارتعدت، يُلبسني الله في البرد فيحًا من محبَّته، ويلبسني في الصَّيف برد مذاق محبَّته، ومَرَّ.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر محمَّد بن علي التكريتيَّ يقول: سمعت محمَّد بن عليٍّ الكتانيَّ يقول - بمكة-: سمعت الخوَّاص يقول: كنت في البادية مرَّةً، فسِرت في وسط النَّهار فوصلت إلىٰ شجرة وبالقرب منها ماءٌ، فنزلت فإذا أنا بسَبُعٍ عظيمٍ أقبل، فاستسلمت، فلمَّا قرب منِّي إذا هو يعرج، فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده علىٰ حجري، فنظرت فإذا يده مَنتفخةٌ بها قيحٌ ودمٌ، فأخذت خشبة،وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت عليه خرقة ومضىٰ، فإذا أنا به بعد ساعةٍ ومعه شبلان يبصبصان لي وحملا إليَّ رغيفًا.

وسمعته يقول: ثنا أحمد بن علي السَّائح: ثنا محمَّد بن عبدالله بن مُطرِّف: ثنا محمَّد بن الحسن العسقلانيُّ: ثنا أحمد بن أبي الحواريِّ قال: اشتكىٰ محمَّد بن السَّمَّاك، فأخذنا ماءه وانطلقنا إلىٰ الطَّبيب وكان نصرانيًا، فبينا نحن بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجلٌ حسن الوجه طيِّب الرائحة نقيُّ الثوب، فقال لنا: إلىٰ

أين تريدون؟ قلنا: نريد فلانًا الطَّبيب؛ نريه ماء ابن السَّمَّاك، فقال: سبحان الله، تستعينون على وليِّ الله بعدوِّ الله! اضربوا به الأرض وارجعوا إلى ابن السَّمَّاك وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع وقل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، ثُمَّ غاب عنَّا فلم نره، فرجعنا إلى ابن السَّمَّاك فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل، فعُوفي في الوقت، فقال: ذلك كان الخَضِر عليه السَّلام.

سمعت محمَّد بن الحسين يقول: سمعت عبدالرحمن بن محمَّد الصوفيَّ يقول: سمعت عمر البسطامي يقول: كنا قعودًا في مجلس أبي يزيد البِسْطَاميِّ فقال: قوموا بنا نستقبل وليًّا من أولياء الله تعالى، فقمنا معه، فلمّا بلغنا الدَّرب فإذا إبراهيم بن شيبة الهروي، فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أن أستقبلك، وأشفع لك إلى ربي، فقال إبراهيم بن شيبة: لو شفَّعك في جميع الخلق لم يكن بكثيرٍ؛ إنَّما هم قطعة طين، فتحيَّر أبو يزيد من جوابه.

قال الأستاذ: وكرامة إبراهيم في استصغار ذلك أتمُّ من كرامة أبي يزيد، فيما حصل له من الفِراسة وصدق له من الحالة في باب الشفاعة.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت أبا بكر الرازيَّ يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النَّون المصريَّ وقد سأله سالم المغربيُّ عن أصل توبته؟ فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطّريق ثُمَّ انتبهت وفتحت عيني؛ فإذا أنا بقُنبرة عَمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقَّت الأرض فخرج منها سُكرُّجَتان إحداهما من ذهبٍ والأخرى من فضّةٍ، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فأكلت من هذه،

وشربت من هذه، فقلت: حسبي تبت، ولزمت الباب إلىٰ أن قبلني.

وقيل: أصاب عبدالواحد بن زيدٍ فالجٌ، فدخل وقت الصَّلاة واحتاج إلىٰ الوضوء، فقال: مَن هاهنا؟ فلم يجبه أحدٌ، فخاف فوت الوقت، فقال: يا رب أحللني من وثاقي حتىٰ أقضي طهارتي، ثُمَّ شأنك وأمرك، قال: فصحَّ حتىٰ أكمل طهارته، ثُمَّ عاد إلىٰ فراشه وصار كما كان.

وقال أيوب الجمَّال: كان أبو عبدالله الدَّيلميُّ إذا نزل منزلًا في سفرٍ عمد إلىٰ حِماره وقال في أذنه: كنت أريد أن أشدَّك فالآن لا أشدُّك وأُرسلك في هذه الصّحراء لتأكل الكلأ فإذا أردنا الرحيل فتعال، فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحِمار.

وقال النَّضر بن شُمَيلٍ: ابتعت إزارًا فوجدته قصيرًا، فسألت ربِّي تعالىٰ أن يُمغِّط لي ذِراعًا، ففعل.

قال الأستاذ: أي: يمد، من مَغَّط القوس، وهو مدُّه، قال النَّضر: ولو استزدته لزادني.

وقال إبراهيم الخواص: دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة بالليل، فإذا فيها سَبُعٌ عظيمٌ، فخفت، فهتف بي هاتفٌ: اثبت، فإنَّ حولك سبعين ألف مَلَك يحفظونك.

أخبرنا محمَّد بن الحسين، أخبرنا أبو الفرج الورثانيُّ: سمعت أبا الحسن عليَّ بن محمَّد الصوفيَّ يقول: سمعت جعفر الدبيل يقول: دخل النوريُّ الماء، فجاء لصٌّ فأخذ ثيابه، ثُمَّ إنَّه جاء ومعه الثِّياب وقد جفَّت يده، فقال النوريُّ: قد ردَّ علينا الثياب فرُدَّ عليه يده، فعُوفي.

وقال الشِّبليُّ: اعتقدت وقتًا أن لا آكل إلَّا من الحلال، فكنت أدور في

البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل، فنادتني الشَّجرة: احفظ عليك عقدك، لا تأكل مني فإنِّي ليهوديٍّ.

وقال أبو عبدالله بن خَفَيفٍ: دخلت بغداد قاصدًا إلى الحجِّ، وفي رأسي نخوة الصّوفيّة، ولم آكل الخبز أربعين يومًا، ولم أدخل على الجنيد، وخرجت ولم أشرب الماء إلى زبالة، وكنت على طهارة، فرأيت ظبيًا على رأس البئر وهو يشرب -وكنت عطشان- فلما دنوت من البئر ولَّى الظبي وإذا الماء في أسفله، فمشيت وقلت: يا سيدي ما لي محل هذا الظبي، فسمعت من خلفي: جرّبناك فلم تصبر، ارجع وخذ الماء، فرجعت فإذا البئر ملآي ماءً، فملأت رَكوتي، وكنت أشرب منه وأتطهَّر إلى المدينة ولم ينفد، ولما استقيت سمعت هاتفًا يقول: إنَّ الظبي جاء بلا رَكوةٍ ولا حبلٍ، وأنت جئت مع الرَّكوة والحبل! فلمَّا رجعت مِن الحجِّ، دخلت الجامع، فلمَّا وقع بصر الجنيد عليَّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك، لو صبرت ساعة.

سمعت حمزة بن يوسف السَّهميَّ يقول: سمعت أبا أحمد بن عديٍّ الحافظ يقول: سمعت أحمد بن حمزة -بمصر- يقول: حدثني عبدالوهاب -وكان من الصّالحين- قال محمَّد بن سعيد البصريُّ: بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة، إذ رأيت أعرابيًّا يسوق جملًا، فالتفت فإذا الجمل قد وقع ميتًا ووقع الرحل والقتب، فمشيت ثُمَّ التفتُّ، فإذا الأعرابيُّ يقول: يا مُسبِّب كلَّ سببٍ، ويا مولى من طلب، رُدَّ على ما ذهب، من جملٍ يحمل الرحل والقتب، وإذا الجمل قائمٌ والرحل والقتب فوقه.

وقيل: إنَّ شبلًا المروزي اشتهى لحمًا، فأخذ بنصف درهم، فاختطفته منه

حدأة في الطَّريق، فدخل شبل مسجدًا ليصلِّي، فلمَّا رجع إلىٰ منزله قدَّمت امرأته إليه لحمًا فقال: من أين هذا؟ فقالت: تنازعت حدأتان فسقط هذا منهما، فقال شبل: الحمد لله الذي لم ينس شبلًا، وإن كان شبلٌ كثيرًا ينساه.

أخبرنا محمَّد بن عبدالله الصّوفيُّ: ثنا عبدالواحد بن بكر الورثانيُّ قال: سمعت محمَّد بن داود يقول: سمعت أبا بكر بن معمرٍ يقول: سمعت ابن أبي عبيد البُسريَّ يحدث عن أبيه: أنَّه غزا سنة من السنين، فخرج في السَّريَّة، فمات المُهر الذي كان تحته وهو في السَّرية، فقال: يا رب أعرناه حتىٰ نرجع إلىٰ بُسرىٰ -يعني قريته- فإذا المُهر قائمٌ، فلمَّا غزا ورجع إلىٰ بُسرىٰ قال: يا بني خذ السَّرج عن المُهر، فقلت: إنَّه عرق، فإن أخذت السَّرج داخله الرِّيح، فقال: يا بني إنَّه عاريةٌ، قال: فلمَّا أخذت السَّرج وقع المُهر ميتًا.

وقيل: كان بعضهم نبَّاشًا، فتوفّيت امرأةٌ فصلَّىٰ النَّاس عليها وصلَّىٰ هذا النَّبَّاش؛ ليعرف القبر، فلمَّا جَنَّ عليه الليل نبش قبرها، فقالت: سبحان الله!! رجلٌ مغفورٌ له يأخذ كفن امرأةٍ مغفور لها؟! فقال: هبي أنَّك مغفورٌ لك، فأنا من أين؟ فقالت: إنَّ الله تعالىٰ غفر لي ولجميع من صلَّىٰ عليَّ، وأنت قد صليت عليَّ، فتركتها ورددت التراب عليها، ثمَّ تاب الرجل وحسنت توبته.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل -بمصر- يقول: سمعت أبا محمد نعمان بن موسىٰ الحيري -بالحيرة- يقول: رأيت ذا النّون المصريَّ وقد تقاتل اثنان، أحدهما من أولياء السّلطان والآخر من الرعية، فعدا الذي من الرعية عليه فكسر ثنيّته، فتعلق الجنديُّ بالرجل وقال: بيني وبينك الأمير، فجازوا بذي النون، فقال لهم النَّاس:

اصعدوا إلىٰ الشيخ، فصعدوا إليه فعرَّفوه ما جرىٰ، فأخذ السنَّ ثُمَّ بلَّها بريقه وردها إلىٰ فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه، وحرَّك شفتيه فتعلقت بإذن الله تعالىٰ، فبقي الرجل يفتش فاه فلم يجد الأسنان إلَّا سواء.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا بكر النّابلسيَّ يقول: سمعت أبا بكر الهمذانيَّ يقول: بقيت في برِّيَّة الحجاز أيامًا لم آكل شيئًا، فاشتهيت باقلَّا حارًا، وخبزًا من باب الطاق، فقلت: أنا في البرِّيَّة وبيني وبين العراق مسافةٌ بعيدةٌ، فلم أُتم خاطري إلَّا وأعرابيٌّ من بعيد ينادي: باقلا حارٌّ وخبزٌ، فتقدمت إليه، فقلت: عندك باقلا حارٌّ وخبزٌ؟ قال: نعم، وبسط مئزرًا كان عليه، وأخرج خبزًا وباقلًا، وقال لي: كُل، فأكلت، ثم قال لي: كُل، فأكلت، ثم قال لي: كُل، فأكلت، فلمّا قال في المرة الرابعة، قلت: بحقِّ الذي بعثك إليَّ إلَّا ما قلت لي من أنت؟ فقال: الخَضِر، وغاب عنِّي فلم أره.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت أبا العبَّاس بن الخشَّاب البغدادي يقول: سمعت محمَّد بن عبدالله الفرغاني يقول: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: جئت الثعلبية وهي خرابٌ، ولي سبعة أيام لم آكل فيها شيئًا، فدخلت القُبَّة، وجاء قومٌ خراسانيّون أصابهم جهدٌ فطرحوا أنفسهم علىٰ باب القبّة، فجاء أعرابيٌّ علىٰ راحلةٍ وصبَّ تمرًا بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لي شيئًا ولم يرني الأعرابيُّ، فلمّا كان بعد ساعتين فإذا بالأعرابي جاء وقال لهم: معكم غيركم؟ قالوا: نعم، هذا الرجل داخل القبة، قال: فدخل الأعرابي وقال لي: إيش أنت؟! لِمَ لم تتكلم؟! مضيتُ فعارضني إنسانٌ فقال لي: قد خلَّفت إنسانًا لم تطعمه، ولم يمكنني أن أمضي وتطولت عليَّ الطّريق؛ لأنِّي رجعت عن أميال،

وصبَّ بين يدي التمر الكثير ومضىٰ، فدعوتهم فأكلوا وأكلت.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا طاهر الرقيَّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كلمني جملٌ في طريق مكّة، رأيت جِمالًا والمحامل عليها، وقد مدت أعناقها في الليل، فقلت: سبحان الله من يحمل عنها ما هي فيه! فالتفت إليَّ جمل وقال لي: قل جلَّ الله! فقلت: جلَّ الله!.

سمعت محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت الحسن بن أحمد الفارسيَّ يقول: سمعت الرقيَّ يقول: سمعت أبا بكر بن معمر يقول: سمعت أبا زرعة الجَنْبيَّ يقول: مكرت بي امرأة فقالت: ألا تدخل الدار؛ فتعود مريضًا، فدخلتُ فأغلقتِ الباب ولم أرَ أحدًا، فعلمتُ ما فعلتْ، فقلت: اللهمَّ سوِّدها، فاسودَّت، فتحيَّرتْ وفتحتْ الباب فخرجت، فقلت: اللهمَّ رُدَّها إلىٰ حالها، فردَّها إلىٰ ما كانت.

قال الأستاذ: واعلم أنَّ الحكايات في هذا الباب تربو علىٰ الحصر، والزيادة علىٰ ما ذكرناه، تخرجنا عن المقصود من الإيجاز، وفيما ذكرناه مُقنعٌ في هذا الباب».اهـ ما أردت نقله من "رسالة الإمام أبي القاسم القشيري" في باب كرامات الأولياء.

وذكر كرامات أخرىٰ في باب رؤيا القوم وغيره من أبواب "الرسالة" من ذلك ما ذكره عن ابن الجلاء أنَّه قال: «دخلت المدينة وبي فاقةٌ، فتقدمت إلىٰ القبر وقلت: أنا ضيفك فغفوت، فرأيت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقد أعطاني رغيفًا، فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النِّصف، وقد تقدَّم نظير هذه القصّة عن أبي الخير الأقطع».

وقال الإمام الحافظ النوويُّ في "بستان العارفين": روينا عن السّيد الجليل أبي مَيْسَرة عمرو بن شُرَحْبِيل التّابعيِّ الكوفيِّ الهمدانيِّ -رضي الله عنه بإسكان الميم وبالدال المهملة-: «أنَّه كان إذا أخذ عطاءه تصدَّق منه، فإذا جاء أهله فعدّوه فوجدوه سواء، فقال ابن أخيه: ألا تفعلون مثل هذا؟ فقالوا: لو علمنا أنّه لا ينقص لفعلنا، قال أبو مَيسرة: إنِّي لست أشرط هذا على ربي عزَّ وجلَّ».

وذكر هذه الحكاية الحافظ المزي في "التهذيب"، والحافظ في "تهذيب التهذيب" من طريق أبي نعيم -الفَضْل بن دُكَيْنٍ- عن إسرائيل باللفظ المذكور

وروى الحافظ النَّسفي في "فضائل الأعمال" من طريق حمَّاد بن سلمة: «أنَّ عاصم بن أبي النَّجُود -أحد أئمَّة القُرَّاء- قال: أصابني خَصَاصةٌ، فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الجبانة، فصلَّيتُ ما شاء الله ثُمَّ وضعت وجهي على الأرض، وقلت: يا مُسَبِّب الأسباب، يا مُفتِّح الأبواب، يا جامع الأصوات، يا مُجيب الدَّعوات، يا قاضي الحاجات، اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمَّن سِواك، قال: فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعةً بقربي، فرفعت رأسي فإذا حِدَأةٌ طرحت كيسًا أحمر، فأخذتُ الكيس فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرةٌ ملفوفةٌ في قطنةٍ مندوفةٍ، قال: فبعت الجوهرة بمالٍ عظيمٍ، وفضلت الدنانير فاشتريت بها عقارًا، وحمدت الله على ذلك».

وقال ابن ظفر في كتاب "النصائح": «دخلت ثغرًا من ثغور الأندلس، فألفيت به شابًّا متفقِّهًا من أهل قرطبة، فآنسني بحديثه وذاكرني طرفًا من العلم، ثُمَّ إنِّي دعوت فقلت: يا من قال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾

[النساء:٣٢]، فقال: ألا أُحدِّثك عن هذه الآية بعجب؟! قلت: بلىٰ، فحدَّثني عن بعض سلفه أنَّه قال: قَدِم علينا من طليطلة راهبان، كانا عظيمي القدر بها وكانا يعرفان اللسان العربيِّ، فأظهرا الإسلام وتعلَّما القرآن والفقه، فظنَّ النَّاس بهما الظّنون، قال: فضممتهما إليَّ وقمت بأمرهما، وتجسَّست عليهما، فإذا هما علىٰ بصيرةٍ من أمرهما، وكانا شيخين، فقلَّما لبث أحدهما حتىٰ مات، وأقام الآخر أعوامًا، ثُمَّ مرض، فقلت له يومًا: ما سبب إسلامكما؟ فكره مسألتي، فرفقت به، فقال: إنَّ أسيرًا من أهل القرآن كان يخدم في كنيسةٍ نحن في صومعةٍ منها، فاختصصنا به لخدمتنا، وطالت صحبته لنا حتىٰ فقهنا اللسان العربيِّ وحفظنا آياتٍ كثيرةٍ من القرآن لكثرة تلاوته له، فقرأ يومًا ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

فقلت لصاحبي -وكان أسدىٰ مني رأيًا وأحسن فهمًا-: أما تسمع دعاوىٰ هذه الآية؟ فزجرني، ثُمَّ إنَّ الأسير قرأ يومًا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فقلت لصاحبي: هذه أشدُّ من تلك، فقال: ما أحسب الأمر إلَّا علىٰ ما يقولون، وما بَشَّر عيسىٰ إلَّا بصاحبهم.

قال: واتفق يومًا أني غُصصت بلقمةٍ والأسير قائمٌ علينا يسقينا الخمر علىٰ طعامنا، فأخذت الكأس منه فلم أنتفع بها، فقلت في نفسي: يا رب إنَّ محمدًا قال عنك أنَّك قلت: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، وأنك قلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فإن كان صادقًا فاسقني، فإذا صخرة يتفجَّر منها الماء فبادرت وشربت منه.

فلمَّا قضيت حاجتي انقطع، وورائي ذلك الأسير فشكَّ في الإسلام ورغبت أنا فيه، وأطلعت صاحبي علىٰ أمري فأسلمنا معًا، وغدا علينا الأسير يرغب في أن نعمده وننصره فانتهرناه وصرفناه عن خدمتنا، ثُمَّ إنَّه فارق دينه وتنصر، فحِرنا في أمرنا ولم نهتد لوجه الخلاص، فقال صاحبي -وكان أسدىٰ مني رأيًا-: لم لا ندعو بتلك الدعوة؟ فدعونا بها في التماس الفرج، ونمنا القائلة، فرأيت في المنام أنَّ ثلاثة أشخاص نورانيّة دخلوا معبدنا، فأشاروا إلىٰ صُورٍ فيه فانمحت، وأتوا بكرسي فنصّبوهنَّ، ثُمَّ أتىٰ جماعةٌ مثلهم في النّور والبهجة وبينهم رجلٌ ما رأيت أحسن خَلْقًا منه، فجلس علىٰ الكرسيِّ فقمت إليه، فقلت له: أنت السّيد المسيح؟ فقال: لا، بل أنا أخوه أحمد، أسلِم، فأسلمت، ثُمَّ قلت: يا رسول الله، كيف لنا بالخروج إلىٰ بلاد أمَّتك؟ فقال لشخصٍ قائمٍ بين يديه: اذهب إلىٰ مَلِكهم وقل له يحملهما مكرمين إلىٰ حيث أحبّا من بلاد المسلمين، وأن يحضر الأسير فلانًا ويعرض عليه العود إلىٰ دينه، فإن فعل يُخلي سبيله، وإن لم يفعل فليقتله، قال: فاستيقظت من منامي وأيقظت صاحبي وأخبرته بما رأيت، وقلت له: ما الحيلة؟ فقال: قد فرَّج الله، أما ترىٰ الصُّور ممحوَّة؟! فنظرت فوجدتها ممحوَّة، فازددت يقينًا، ثُمَّ قال لي صاحبي: قم بنا إلىٰ الملك، فأتيناه فجرىٰ في تعظيمنا علىٰ عادته وأنكر قصدنا له، فقال له صاحبي: افعل ما أُمرت به في أمرنا، وفي أمر فلانٍ الأسير، فانتقع لونه وأرعد ثُمَّ دعا بالأسير وقال له: أنت مسلمٌ أو نصرانيٌّ؟ فقال: بل نصرانيٌّ، فقال له: ارجع إلىٰ دينك فلا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه، فقال: لا أرجع إليه أبدًا، فاخترط الملك سيفه وقتله بيده، ثُمَّ قال لنا سِرًّا: إنَّ الذي جاء إليَّ وإليكما

شيطان، ولكن ما الذي تريدان؟ قلنا: الخروج إلى بلاد المسلمين، قال: أنا أفعل ما تريدان لكن أظهرا أنّكم تريدان بيت المقدس، فقلنا له: نفعل فجهّزنا وأخرجنا مكرمين». اهـ

نقل هذه القصّة الحافظ الدميريُّ في مبحث الحمار من "حياة الحيوان" ونقل عقبها عن مسروق قال: «كان رجلٌ بالبادية له حمارٌ وكلبٌ وديكٌ، وكان الدِّيك يُوقظهم للصَّلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم، فجاء الثعلب فأخذ الدِّيك فحزنوا له، وكان الرجل صالحًا فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثُمَّ جاء الذِّئب فخرق بطن الحمار فقتله، فقال الرجل: عسى أن يكون خيرًا، ثُمَّ أُصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثُمَّ أصبحوا ذات يوم فنظروا، فإذا قد سُبي مَن كان حولهم وبقوا سالمين، وإنَّما أُخذ أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والدِّيكة، فكانت الخِيرة في هلاك ما كان عندهم من ذلك كما قدَّر الله سبحانه وتعالى، فمن عرف خفيَّ لُطْف الله رضي بفعله». اهـ

وقال الشيخ أبو الحسن عليُّ بن محمَّد المزيَّن الصغير الصُّوفيُّ: «كنت ببادية تبوك فقدمت إلى بئرٍ أستقي منها فزلقت رجلي، فوقعت في جوف البئر فرأيت في البئر زاويةً واسعةً فأصلحت موضعًا وجلست فيه، فبينما أنا كذلك إذا أنا بخشخشةٍ، فتأمّلت، فإذا أنا بأفعى سقطت عليَّ ودارت بي وأنا ساكنٌ في البئر لا أضطرب، ثُمَّ لفّت عليَّ ذَنَبها وأخرجتني من البئر وحلّت عني ذَنَبها، ثُمَّ ذهبت عني»، نقل هذه القصّة الحافظ الدميريُّ في "حياة الحيوان"، وذكر: أنَّ أبا الحسن هذا تُوفِّي بمكّة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وقال الدميريُّ أيضًا: روينا بالسّند الصّحيح: «أنَّ الشيخ عبدالقادر الجيليَّ -قدَّس الله روحه- جلس يومًا يعظ النَّاس وكانت الريح عاصفة، فمرت علىٰ مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوشت علىٰ الحاضرين ما هم فيه، فقال الشيخ: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي، وأخذها بيده، وأَمَرَّ يده الأخرىٰ عليها، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك».اهـ

وقال أيضًا: روينا بأسانيد شتىٰ من طُرقٍ مُختلفةٍ: «أنَّ امرأةً جاءت بولدها إلىٰ سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلانيِّ -قدس الله روحه- وقالت: إنِّي رأيت قلب ابني هذا شديد التعلّق بك، وقد خرجت عن حقِّي فيه لله عزَّ وجلَّ ولك فاقبله، فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت عليه أمُّه يومًا، فوجدته نَحيلًا مُصفرًّا من آثار الجوع والسَّهر، ووجدته يأكل قرصًا من الشَّعير، فدخلت إلىٰ الشيخ فوجدت بين يديه إناءً فيه عظام دجاجةٍ مسلوقةٍ قد أكلها، فقالت: يا سيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشَّعير؟! فوضع الشيخ يده علىٰ تلك العظام وقال: قومي بإذن الله تعالىٰ الذي يُحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سويّة وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء».اهـ

وذكر الحافظ ابن النجَّار في "تاريخه" في ترجمة يوسف بن عليِّ بن محمَّدً الزنجانيِّ -الفقيه الشَّافعيَّ- قال: حدَّثنا الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ، عن القاضي الإمام أبي الطيب الطبريِّ قال: «كنَّا في حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد، فجاء شابٌّ خُراسانيٌّ يسأل عن مسألة المصراة ويطالب بالدليل،

فاحتجَّ المستدلُّ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في "الصّحيحين" وغيرهما فقال: الشَّابُّ -وكان حنفيًّا- أبو هريرة غير مقبول الحديث، قال القاضي: فما استتمَّ كلامه حتى سقطت حيَّةٌ عظيمةٌ من سقف الجامع، فهرب الناس وتبعت الشَّابَّ دون غيره، فقيل له: تُب تُب، فقال: تُبت، فغابت الحيَّة ولم يبقَ لها أثرٌ».

وذكرها الحافظ بن الصَّلاح في "رحلته" وقال: «هذا إسنادٌ ثابتٌ فيه ثلاثةٌ من صالحي أئمَّة المسلمين: القاضي أبو الطَّيِّب الطَّبريُّ، وتلميذه أبو إسحاق الشِّيرازيُّ، وتلميذه أبو القاسم الزنجانيُّ».

قلت: هذه كرامةٌ عظيمةٌ دافع الله بها عن صحابيٍّ جليلٍ، طالما تهجَّم على مقامه بعض الحنفيَّة المبتدعة فرموه تارةً بعدم الفقه وتارةً بعدم الثِّقة، مع أنَّه أوثق من أبي حنيفة وأفقه بدرجاتٍ، والكلام في الصَّحابة هو باب الزَّندقة الأعظم والسلم الموصل لهدم الدين؛ لأنَّهم نَقَلة القرآن وحَمَلة الحديث وحَفَظة الشَّريعة، فالطَّعن فيهم هدم للدِّين مِن أساسه، نسأل الله السَّلامة من الفتن.

وذكر الدميريُّ في "مبحث الحيَّة" عن أبي بكر بن أبي داود قال: «كان المستعين بالله بعث إلى عليِّ بن نصر -يعني الجهضميَّ الحفيد- يشخصه للقضاء، فدعاه عبدالملك -أمير البصرة- وأمره بذلك، فقال: ارجعُ فاستخير الله، فرجع إلى بيته فصَلَّى ركعتين وقال: اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك ونام، فنبَّهوه فإذا هو ميتٌ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين».اهـ

وذكر الحافظ السيوطيُّ في ترجمة السيِّد عبدالرحيم بن أحمد بن حجون السَّبتيِّ الحسنيِّ دفين قنا: «أنَّ حفيده السيِّد محمَّد ابن السيِّد الحسن ابن السيِّد

عبدالرحيم كان في بعض السّياحات، فكان يمرُّ بالحشائش فتخبره بمنافعها»، وذكر الحافظ السيوطيُّ أيضًا: «أنَّ هؤلاء السَّادات الثلاثة كانوا أصحاب علمٍ وورعٍ وزهدٍ وعبادةٍ، وكانت لهم كراماتٌ ومكاشفاتٌ وأحوالٌ عاليةٌ».

وذكر الحافظ السيوطيُّ أيضًا: «أن أبا القاسم بن منصور بن يحيىٰ الإسكندريَّ المالكيَّ -المعروف بالقباري- باع دابَّةً لرجلٍ، فأقامت أيامًا لم تأكل عنده شيئًا، فجاء إليه وأخبره، فقال له الشيخ: ما صنعتك؟ قال: رقَّاصٌ عند الوالي، فقال: إن دابَّتنا لا تأكل الحرام، ثُمَّ ردَّ إليه دراهمه».

قلت: كان العلامة ناصر الدين بن المنير تلميذًا لهذا الشيخ، وله في مناقبه تأليفٌ خاصٌّ نبَّه عليه الحافظ السيوطيُّ في "حسن المحاضرة"، ورأيت الحافظ ابن حجرٍ نقل منه في "فتح الباري" في الكلام علىٰ حديث «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**» حيث قال ما نصُّه: «ونقل ابن المنير في مناقب شيخه القباريِّ عنه أنَّه كان يقول: المكروه عقبةٌ بين العبد والحرام، فمن استكثر من المكروه تطرَّق إلىٰ الحرام، والمباح عقبةٌ بينه وبين المكروه، فمن استكثر منه تطرَّق إلىٰ المكروه، وهو منزعٌ حسنٌ».اهـ

وذكر أبو عمران الفاسيُّ -أحد أئمَّة المالكيَّة-: «أنَّ أبا الحسن بن حرزهم سجنه سلطان مراكش، فقال لتلامذته في الطريق: لا ألبث في السجن، فقالوا له: سبحان الله!! اسكت، وهل سُجنت إلَّا علىٰ مثل هذه الأحوال، فقال لهم: ها هو الشيخ (أبو يعزىٰ) ينظرني لا يتركني، فإنَّه كلُّ ما يطلبه من مولاه يعمله له، وبينهما مسيرة خمسة أيام، فأُطلق من ساعته»، نقل هذه القصَّة العلامة المحقق للشيخ أحمد بابا التنبكتي في كتاب"نيل الابتهاج بتطريز الديباج".

قلت: أبو يعزىٰ كان من الأولياء الكبار ذوي المقامات الحميدة والكرامات العديدة، أفرد التادليُّ مناقبه بكتابٍ خاصٍّ سمَّاه "المعزىٰ في مناقب أبي يعزىٰ" رأيته وهو يقع في عشر كراسات تقريبًا وأبو الحسن عليُّ بن إسماعيل بن محمَّدٍ بن عبدالله بن حرزهم كان عالمًا جمع بين الحديث والفقه وغيرهما، وأخذ عن أبي بكر بن العربي وغيره، وسلك طريق القوم وغلب عليه الزهد والورع، أصله من فاس ودخل الأندلس وأخذ عن علمائها، ثُمَّ رحل لمراكش فدرس بها العلم وتَوّب ناسًا وزَهّد أميرها في الدنيا، وكثر أتباعه وتلاميذه، ترجمه التادليُّ في "التشوف"، والساحليُّ في "بغية السالك"، والشيخ أحمد بابا في "نيل الابتهاج"، والسيد محمَّد بن جعفر الكتانيُّ في "سلوة الأنفاس" وغيرهم، وقبره مشهورٌ بفاس زرته مراتٍ.

ومن كراماته: أنَّه نعىٰ نفسه للنَّاس، وذلك أنَّه قال لهم: لا أصوم رمضان الآتي، ثُمَّ بعد أيام قصد صاحبًا له فقال له: قدِّم لي طعامًا آكله؛ فطعامك حلالٌ، فقدَّم له خبزًا ولبنًا فأكل ثُمَّ دخل الحمّام وقال لخَدَمة الحمّام: لم يبقَ لكم من خدمتي إلَّا هذا اليوم، فلمَّا خرج منه أتىٰ منزله فاستلقىٰ علىٰ فراشه، فلمَّا حان وقت صلاة العصر أتاه بعض تلامذته ليوقظه للصَّلاة فوجده ميتًا، تُوفِّي في آخر شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة رحمه الله ورضي عنه.

ومن تلاميذه شيخ الشيوخ، الشيخ شعيب بن الحسن الأندلسي المعروف بأبي مدين، كان من أفراد الرجال ومن أعلام العلماء، وحفَّاظ الحديث خصوصًا "جامع الترمذيِّ" قائمًا عليه، رواه عن شيوخه عن أبي ذرٍّ الحافظ، يلازم كتاب "الإحياء" وترد عليه الفتاوىٰ في مذهب مالكٍ فيجيب عنها في

الحال، له مجلس وعظٍ يتكلَّم فيه علىٰ النَّاس، وتمرُّ به الطيور وهو يتكلَّم فتقف تستمع وربما مات بعضها، وكثيرًا ما يموت بمجلسه أهل الحبِّ، تخرَّج به جماعةٌ من العلماء والمحدِّثين وأرباب الأحوال، وكان شيخه أبو يعزىٰ يثني عليه ويعظِّمه بين أصحابه، ولما قَدِم من الأندلس قرأ علىٰ ابن حرزهم المتقدِّم، وعلىٰ الفقيه العلامة ابن غالبٍ.

وذُكر عنه أنَّه قال: «كنت في ابتدائي إذا سمعت تفسير آيةٍ أو حديثٍ قنعت به، وانصرفت لموضع خارج فاس أتَّخذه للعمل بما فتح الله عليَّ به، فإذا خلوت تأتيني غزالةٌ تؤنسني، وأمرُّ في طريقي بالكلاب فتبصبص لي وتدور حولي، فبينا أنا يومًا بفاسٍ إذا رجلٌ أندلسيٌّ من معارفي سلَّم عليَّ، فقلت: وجبت ضيافته، فبعت ثوبًا بعشرة دراهم فطلبته لأدفعها له فلم أجده هنالك، فحملتها معي وخرجت لخلوتي علىٰ عادتي، فتعرَّضت لي الكلاب ومنعتني الجواز حتىٰ جاء رجلٌ حال بيني وبينها، ولمَّا وصلت قريتي جاءتني الغزالة علىٰ عادتها فشمتني ونفرت عنِّي وأنكرت علي، فقلت: ما أتىٰ عليَّ ألدُّ من هذه الدراهم، فرميتها عنِّي، فسكنت الغزالة وعادت لحالها، ولمَّا رجعت رفعتها معي، ولقيت الأندلسيَّ فدفعتها له ثُمَّ خرجت للخلوة، فدارت بي الكلاب وبصبصت علىٰ عادتها، وجاءت الغزالة فشمّتني وأتت كعادتها.

وبقيت كذلك مدَّةً، وأخبار أبي يعزىٰ ترد عليَّ، وكراماته يتداولها الناس، فملأ حبُّه قلبي، فقصدته مع الفقراء، فلمَّا وصلنا إليه أقبل عليهم دوني، وإذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم، فبقيت ثلاثة أيام فأجهدني الجوع، وتحيَّرت من خواطر ترد عليَّ وقلت في نفسي: إذا قام الشيخ من موضعه

مرَّغت فيه وجهي، فلمَّا قام مرغته فإذا أنا لا أُبصر شيئًا، فبكيت ليلتي، فلمَّا أصبح دعاني وقرَّبني، فقلت: يا سيدي قد عميتُ، فمسح بيده على عيني فأبصرت، ثُمَّ على صدري فزالت عني تلك الخواطر وفقدت ألم الجوع، وشاهدت في الوقت عجائب بركاته، ثُمَّ استأذنته في الانصراف للحجِّ فأذن لي، وقال: ستلقى الأسد في طريقك فلا يروِّعك، فإن غلب عليك خوفه، فقل: بحرمة آل النّور إلَّا انصرفت عني، فكان كما قال، ولما حجَّ تعرَّف في عرفة بالشيخ عبدالقادر الجيلانيِّ، فقرأ عليه في الحرم كثيرًا من الحديث، وألبسه الخرقة، وأودعه كثيرًا من أسراره».

ومن كرامات الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ما نقله صاحب "الروض" عن الشيخ الزاهد عبدالرزاق -أحد خواصِّ أصحابه- قال: «مرَّ الشيخ في بلاد الغرب، فرأى أسدًا افترس حمارًا يأكله، وصاحبه جالسٌ بالبعد على غاية الحاجة والفاقة، فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد وقال له: امسكه، واستعمله في الخدمة موضع حمارك، فقال: يا سيِّدي أخاف منه، فقال: لا تخف، لا يستطيع أن يؤذيك، فمرَّ بالأسد يقوده، والنَّاس ينظرون، فلمَّا كان آخر النَّهار جاء الرجل وقال: يا سيدي هذا الأسد يتبعني أينما ذهبت وأنا خائفٌ منه لا طاقة لي بعشرته، فقال الشيخ للأسد: اذهب ولا تعد، ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليك».

ومن كراماته المشهورة: «أنَّه كان يومًا يمشي على السّاحل فأَسَرَه العدوُّ، وجعلوه في سفينةٍ فيها جماعةٌ من الأسرى، فلمَّا استقرَّ في السَّفينة توقَّفت عن السَّير ولم تتحرَّك مع قوّة الرِّيح ومساعدتها، وأيقن الرّوم ألَّا يقدورا على

السَّير، فقال بعضهم: أنزلوا هذا المسلم فإنَّه قِسِّيسٌ، ولعلَّه من أصحاب السّرائر عند الله تعالىٰ، فأشاروا إليه بالنّزول فقال: لا إلَّا إن أطلقتم كلَّ من فيها من الأساري، فعلموا ألَّا بدَّ لهم من ذلك، فأطلقوهم كلَّهم وسارت السّفينة في الحال.

ومن كراماته أيضًا: «أنَّ بعض طلبة العلم -ببجاية- اختلفوا في حديث «**إذا مات المؤمِن أُعْطِي نِصفَ الجنَّة**». فأشكل عليهم ظاهره، إذ يموت مؤمنين يستحقَّان كلَّ الجنَّة؟ فجاءوه وهو يتكلَّم علىٰ "رسالة القشيريِّ" فقال لهم قبل أن يسألوه: المراد: يُعطىٰ نصف جنَّته هو، فيُكشف له عن مقعده ليتنعَّم به وتقرَّ عينه، ثُمَّ النِّصف الآخر يوم القيامة».

ولمَّا كثر أتباعه وتلاميذه، وكثر إخباره بالغيوب، وظهرت الخوارق علىٰ يده، وشىٰ به بعض العلماء عند السلطان يعقوب المنصور وخوفوه منه علىٰ الدولة، وأنه يشبه الإمام المهدي قد كثر أتباعه من كل بلد، فوقع في قلبه وأهمه شأنه، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، ووصىٰ صاحب بجاية أن يحمله خير محمل، فلما أخذ في السفر شق علىٰ أصحابه وتغيروا، فسكنهم، وقال: إن مَنيتي قربت، وبغير هذا المكان قُدرت ولابد منه، وقد كبرت وضعفت لا أقدر علىٰ الحركة، فبعث الله لي مَن يحملني إليه برفق وأنا لا أرىٰ السلطان ولا يراني، فطابت نفوسهم، وعدوه من كراماته، فارتحلوا به علىٰ أحسن حال حتىٰ وصلوا حوز تلمسان، فبدت لهم رابطة العباد، فقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، فمرض، فلما وصل وادي يسر اشتد مرضه فنزلوا به هناك، فكان آخر كلامه: الله الحق، وتوفي وكان ذلك سنة أربع وتسعين وخمسمائة، ولم يرَ

السلطان كما قال رضي الله عنه، ومناقبه وكراماته كثير، ترجمه التادليُّ في "التشوف"، والإمام الغبريني في "عنوان الدارية"، والشيخ أحمد بابا في "نيل الابتهاج"، بل أفرد ابن الخطيب القسنطيني جزءًا في التعريف به وبأصحابه، قال التادليُّ: تخرّج به ألف شيخٍ من الأولياء أُولي الكرامات.

قلت: ومن تلاميذه القطب الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه، وكان الشيخ أبو مدين يقول: كرامات الأولياء نتائج معجزاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزىٰ بسنده إلىٰ الجنيد، بسنده إلىٰ الحسن البصري، عن عليٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ومن كلامه: «حسن الخُلق معاشرة كلِّ شخصٍ بما يؤنِسُه ولا يوحشه، فمع العلماء، بحسن الاستماع والافتقار، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار».

ومن كلامه أيضًا: «من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه، ومن خدم الصّالحين ارتفع، ومن حرمه الله احترامهم ابتلاه بالمقت من خلقه، وانكسار العاصي خير من صَوْلَة المُطيع»، وله كلام من هذا القبيل كله حِكمٌ ومواعظ.

وذكر الإمام العلامة أبو العبَّاس الغبرينيُّ في "عنوان الدراية في تراجم علماء وصُلحاء بجاية": «أنَّ أبا الفضل بن النَّحوي كان يقرر للطَّلبة علم الكلام، فدخل قاضي الجماعة يومًا الجامع فوجده يقرر، فسأل عن الحلقة فأخبر، فأمر بإبطال الدرس، فقال أبو الفضل: كما تسبَّب في إهانة العِلم؛ فأرنا فيه العلامة وخرج، فتبعه ولد القاضي -وله في أبي الفضل اعتقاد- فقال له: ارجع لوالدك لتواريه، فرجع فوجد أباه قد قتله بعض أعدائه».

قلت: أبو الفضل اسمه يوسف بن محمَّد بن يوسف التوزريُّ، أخذ "صحيح البخاري" عن اللَّخميِّ، وقرأ الفقه والأصلين على المازريِّ، وأبي زكريا الشقراطيسيِّ، وعبدالجليل الربعي وغيرهم، وكان يميل إلى النَّظر والاجتهاد، وكان مُجاب الدّعوة، قال القاضي أبو عبدالله بن حمَّاد: «كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علمًا وعملًا».

ومن كراماته: أنَّه قرأ بسلجلماسة الأصلين، فقال ابن بسام أحد رؤساء البلد: يريد هذا أن يُدخل علينا علومًا لا نعرفها، فأمر بطرده من المسجد، فقال: أمَتَّ العلم أماتك الله هنا، فجلس ثاني يوم لعقد نكاح سَحرًا فقتلته صنهاجة، وجرى له مثل هذا بفاسٍ مع قاضيها ابن دبوس، فدعا عليه فأصابته أَكَلَةٌ في رأسه فوصلت لحلقه فمات، وكراماته كثيرةٌ، وهو ناظم المُنفرجة المشهورة التي أوَّلها:

اشتَدِّي أَزمَةُ تَنفَرِجِي قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

تُوفِّي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ترجمه القاضي عياض، وابن الأبار، والغبرينيُّ، والشيخ أحمد بابا وغيرهم.

وقال ابن الخطيب القسنطينيُّ: أنَّ الإمام أبا محمَّدٍ موسى بن الجرائيِّ -فقيه فاسٍ- دخل يومًا جامع فاسٍ وليس فيه قنديلٌ، فأضاء منه الجامع حتى صلَّى وخرج وعاينه الناس.

قلت: هذا الشيخ من أصحاب أبي الحسن بن حرزهم ترجمه التادليُّ في "التشوف" ووصفه بالورع والفضل والاجتهاد وكثرة الصوم، تُوفِّي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة رحمه الله ورضي عنه.

وقال ابن الخطيب القسنطينيُّ: حدَّثني ثقاتٌ: «أنَّ الشيخ أبا عبدالله الهزميريَّ كان يتكلَّم علىٰ مسألةٍ يومًا في مجلس أقرانه، فتكلَّم رجلٌ من طرف الحلقة فيها معه فلم يجبه، والرجل لا يعرف وعليه مرقعة، فنظر إليه الحاضرون استهزاءً، فقال له الرجل: يا فقيه أدرك أمَّك فقد حضر أجلُها، ثُمَّ قال: الله، فطار في الهواء، فعجب الحاضرون من ذلك وقام ضجيجٌ في المسجد، وغشي علىٰ الشيخ ساعةً وانصرف إلىٰ منزله، فوجد أمَّه منتظرةٌ له -وكانت من الصّالحات- فقالت: يا ولدي حضر أجلي، وأردت حضورك، وأعياني انتظارك، فجلس عندها حتىٰ قُبضت».

قلت: الشيخ أبو عبدالله محمد الهزميريُّ كان عالمًا صالحًا زاهدًا، له كراماتٌ كثيرةٌ، تُوفِّي سنة ثمان وسبعين وستمائة، قال الشيخ أحمد بابا: «وقد زرت قبره بأغمات مرارًا، وتوسلت عنده ولله الحمد».اهـ

وله أخ اسمه عبدالرحمن الهزميريُّ -وكنيته أبو زيد- كان أيضًا عالمًا ورعًا زاهدًا صاحب كراماتٍ، قال ابن الخطيب القسنطينيُّ عن بعض شيوخه بمراكش أنَّه قال: «كان أعجوبة وقته، يتحدَّث أبدًا علىٰ الضَّمائر ولا يفضح أحدًا، إنَّما يقول: مثل رجلٍ فعل كذا في مكان كذا».

قال ابن الخطيب: وذكر لي هذا الشيخ: «أنَّ شيخ شيوخنا الشيخ الصالح أبا العبّاس بن البنّا، كان يقصده فيما يشكل عليه من مسائل الهندسة وغيرها، قال: فأجد الزحام عليه فيجيبني من طرف الحلقة فأنصرف بلا سؤالٍ».

وقال الإمام الشريف أبو عبدالله التلمسانيُّ: أخبرني شيخنا الأبليُّ قال: أخبرنا الفقيه أبو عبدالله بن الحدّاد قال: «ورد علينا بفاس العارف أبو زيد الهزميريُّ،

فكنت أنتابه بالزيادة، وأتردَّدُ على أبي محمَّدٍ الفشتاليِّ -رضي الله عنهما- فكان يسألني عن الشيخ أبي زيدٍ، إلى أن قال لي في يوم جمعةٍ: ترى الشيخ أبا زيد أين يُصلِّي الجمعة؟ فقلت: لا أدري، فخرجت من عنده إلى الشيخ أبي زيد، فلمَّا سلمت عليه قال لي: سألك الشيخ أبو محمَّدٍ أين أُصلِّي الجمعة؟ لقد حجبته تلك الرُكيعات أن يعلم أين أُصلي؟، فعجبت من مكاشفته، ثُمَّ رجعت إلى الشيخ أبي محمَّدٍ فلمَّا سلَّمت عليه قال لي: قال لك الشيخ أبو زيد: حجبته تلك الركيعات، قل له: لا قطع الله عني تلك الركيعات».

قال الإمام الشريف التلمسانيُّ: «أشار الشيخ أبو زيد إلى اللذّة العاجلة بالصَّلاة، وأنَّ الالتفات إليها حجابٌ، وأشار الشيخ أبو محمَّد إلى ثوابها الأُخروي الباقي».اهـ

تُوفِّي أبو زيد الهزميريُّ سنة ست وسبعمائة -رحمه الله ورضي عنه- وذكر الخطيب القسنطيني: «أن الدعاء عند قبره مستجاب».

قلت: وقد جمع كراماته وكرامات أخيه -أبي عبدالله السابق- الشيخ أبو عبدالله بن تجلات الأغماتي في كتاب سماه "إثمد العينين في مناقب الأخوين".

وقال العلامة بن سلامة البكري: حدثني شيخنا الإمام العلَّامة المحقِّق محمَّد بن محمَّدٍ التميميُّ المعلقيُّ، عن شيخه إمام المغرب محمَّد بن مرزوقٍ: «أنَّه أراد ركوب البحر من تونس، فأخذ الفأل من المصحف فوقع له: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤]، فترك الركوب في ذلك الوقت فغرق ذلك المركب، ثُمَّ أتى مركبٌ آخر فأراد الركوب، فأخذ المصحف ونظر فيه فوقع له ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ الآية [هود:٤١]، فركب ولقي السَّلامة رحمه الله تعالى».

قال البسكريُّ: «في هذا دليل جواز أخذ الفَأْل من المصحف، مع أنَّه

مكروهٌ، فهو كرامةٌ في حقِّ الشيخ رحمه الله تعالىٰ».اهـ

قال الشيخ أحمد بابا التنبكتيُّ: «بل ذلك يدلُّ علىٰ جوازه عنده، إذ مثله لا يُقْدِم علىٰ ما هو مكروهٌ لجلالته علمًا ودينًا، علىٰ أنَّ الشيخ أبا الحسن الزرويليَّ حكىٰ في "التقيد" عن الطرطوشيِّ: أنَّ أخذ الفأل من المصحف من الاستقسام بالأزلام، وأقرَّه وأَظُنه في آخر كتاب "الصيد والضحايا" فانظره».اهـ

وفي "الذخيرة" للقرافيِّ قال الطرطوشيُّ: «أخذ الفأل من المصحف حرامٌ».

وقال العلَّامة ابن عرضون: «في عدِّ ما هو من الكهانة، وقرعة النِّساء والرجال، وأخذ المصحف لأجل الفأل» إلىٰ آخر ما قال، وهو منقول في "حاشية ابن الحاجِّ علىٰ المرشد المعين" وفي تعليقاتي علىٰ "كتاب الأربعين حديثًا الصِّدِّيقيَّة".

وذكر ابن فضل الله عن الأمير الجائيِّ الدوادار قال: «وقع في نفسي إشكالٌ في مسألةٍ، وكان لي صاحبٌ من الفقهاء الحنفيَّة أتردَّدُ إليه، فكتبتُ إليه لأساله عن تلك المسألة فلم أجده، فأتيتُ الشيخ عبدالله المنوفيَّ فلمَّا جلست قال: كأنَّك مشتغلٌ بشيءٍ من الفقه؟ قلتُ: نعم قال: فما قولك في كذا وكذا لتلك المسألة بعينها؟ فقلت: منكم يُستفاد، فأخذ يتكلَّم في تلك المسألة، وما عليها من الإيرادات، وذكر الإشكال الذي وقع في نفسي، ثُمَّ شرع يُجيب عنه حتىٰ انجلىٰ، فسألته عن شيءٍ آخر فقال: لا، قم بالسَّلامة، والقصد حصل».

قلتُ: الشيخ عبدالله المنوفي من العلماء العاملين والأولياء الكبار، جمع مناقبه وكراماته تلميذه الشيخ خليل صاحب "المختصر" في جزءٍ مُستقلٍّ رأيته وهو في مكتبتنا قال الشيخ خليل في هذا الجزء: «أخبرني القاضي نجم الدين حمزة أنَّه يرىٰ

النور يخرج من فم الشيخ إذا تكلَّم، ويظهر على ساعديه إذا حسرهما».

وقال الشيخ خليل أيضًا: لما حصل الفناء، وأراد الناس أن يخرجوا ليدعوا ربهم، جئت إلى الشيخ وطلبت منه الحضور مع الناس، قال لي: نعم أكون معهم في ذلك اليوم ولكن لا أظهر، فكان ذلك يوم موته، ففهمت أنَّه أشار إلى خفائه عنهم بالكفن».اهـ

تُوفِّي في رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وكانت جنازته عظيمة، قال الحافظ العراقيُّ: «لم أرَ جنازة قطُّ أكثر جمعًا من جنازة الشيخ عبدالله المنوفي، وذلك أنَّه صادف اليوم الذي خرج فيه أهل مصر يدعون ربَّهم لما كثر الفناء، وكأنَّ الناس إنَّما خرجوا في الحقيقة لجنازة الشيخ».اهـ

وذكر الإمام الغبرينيُّ في "عنوان الدراية": «أنَّ الشيخ النجيبيَّ كان له أمُّ ولدٍ سيّئة الخُلُق -تُسمَّى كريمة- اشتدت عليه يومًا في الطلب، وأنَّ الأولاد لا شيء عندهم، فقال لها: الآن يأتي من قِبل الوكيل ما نتقوَّت به، فبينما هما كذلك إذا الحمَّال يطرق الباب بشكارة قمحٍ، فقال لها: يا كريمة ما أعجلك! هذا الوكيل بعث بالقمح، فقالت: ومن يصنعه؟ فأمر فتصدق به وقال لها: يأتيك ما هو أحسن منه، فانتظرت يسيرًا وبدا لها فتكلَّمت بما لا يليق، فبينما هما كذلك، إذا الحمال يطرق الباب بشكارة سميد -أسهل وأيسر من القمح- فلم يقنعها ذلك، فأمر بالتصدق به أيضًا، فزادت في المقال، وإذا رجلٌ على رأسه كاملي، فقال لها: يا كريمة قد كُفيت المؤنة علم الوكيل بحالك».

وذكر أيضًا: «أنَّ بعض الطلبة الذين يحضرون دروس الشيخ اجتمعوا في نزهةٍ، وأخذوا حُليًّا من زينة النِّساء فزيَّنوا به بعضهم، ثُمَّ جاءوا بعد لمجلس

الشيخ، فتكلَّم الذي كان في يده الحُلي وأشار بيده، فقال الشيخ مكاشفًا له: يد يُجعل فيها الحُلي لا يشار بها في الميعاد.

وأصاب الناس مرةً جفافٌ ببجاية، فأرسل إلى داره من يسوق ماء الفقراء، فامتنعت كريمة وانتهرت رسوله فسمع كلامها، فقال للرسول: قل لها يا كريمة والله لأشربنَّ من ماء المطر السَّاعة، فرمق السَّماء بطَرْفه ودعا ورفع يده به، وشرع المؤذِّن في الأذان، فما ختم أذانه حتى أمطرت كأفواه القِرَب.

وكان بعض تلاميذه مُولعًا بالخمر فاعتكف عليها ليلةً، وسقطت على وجهه زجاجة فأثرت فيه، فلمَّا أصبح جاء إلى الشيخ وفي وجهه أثرها فأنشده مُكاشِفًا:

لا تَسْفِكَنَّ دَمَ الزُّجَاجَةِ بعدَها إنَّ الجُروحَ كما عَلِمْتَ قِصَاص

فاستحى الطالب وتاب».

قلتُ: الشيخ التجيبيُّ هو: عليُّ بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم -المعروف بالحراليِّ- أندلسيُّ الأصل، وُلِد بمراكش ونشأ بها، حجَّ ورحل ولقي جماعةً من العلماء وناظر معهم فبرع، وشارك في عدَّة فنونٍ ثُمَّ تخلَّى عن الدنيا وزهد فيها، قال الغبرينيُّ: «تعلَّمنا عليه الفاتحة في نحو ستة أشهرٍ يلقي في التعليم قوانين تتنزَّل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام، حتى مَنَّ الله تعالى ببركاتٍ ومواهب لا تُحصى، وعلى أحكام تلك القوانين ألَّف كتابه "مفتاح اللُب المُقفل على فهم القرآن المُنزَل"».اهـ

وقال أبو محمَّد عبدالحق: «كنَّا نقرأ عليه "النجاة" لابن سينا فينقضه عروةً عروةً».اهـ

وله تفسيرٌ سلك فيه سبيل التحرير، وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ

عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [آل عمران:٣٧]، وعليه نسج البقاعيُّ مناسباته التي سماها "تناسق الدرر في تناسب السور" تُوفِّي فجأةً في الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة، ترجمه الذهبيُّ وابن الأبار وأبو العباس الغبرينيُّ والشيخ أحمد بابا وغيرهم.

وذكر الشيخ أحمد بابا في ترجمة الشيخ السنوسيِّ صاحب العقيدة المشهورة: «أنَّ رجلًا اشترىٰ لحمًا من السوق، فسمع الإقامة في المسجد فدخل واللحم في قبه -يعني رأس البرنس- فخاف من طرحه فوات ركعةٍ فكبَّر كذلك، فلمَّا سلَّم ذهب لداره فطبخ اللحم، فبقي إلىٰ العشاء فأرادوا طرحه؛ فإذا هو بدمه لم يتغير فقالوا: لعلَّه لحم شارف، فأوقدوا عليه إلىٰ الصُّبح، فلم يتغيَّر عن حاله حين وضعوه، فتذكر الرجل، فذهب إلىٰ الشيخ فأعلمه، فقال له: يا بني أرجو الله أنَّ كل من صلىٰ ورائي ألَّا تعدو عليه النار، ولعلَّ هذا اللحم من ذلك ولكن اكتم ذلك».اهـ

وللشيخ السنوسيِّ هذا كراماتٌ ومناقب، جمعها تلميذه الشيخ الملالي في كتاب يقع في ستة عشر كرّاسًا من القطع الكبير، واختصره الشيخ أحمد التنبكتي في نحو ثلاثة كراريس، تُوفِّي سنة خمس وتسعين وثمانمائة، وشمَّ الناس المسك عند موته رحمه الله.

أخذ الطَّريق عن الإمام العلَّامة القطب الكبير أبي سالم إبراهيم بن محمَّد بن علي التازي بسنده إلىٰ الشيخ أبي مدين، وهو صاحب الصلاة التَّازيَّة -المشهورة في مصر بالنَّاريَّة- وهي: «اللهمَّ صلِّ صلاةً كاملةً، وسلِّم سلامًا تامًّا علىٰ نبيٍّ تنحلُّ به العقد، وتنفرج به الكرب، وتُقضىٰ به الحوائج، وتُنال به الرغائب وحسن الخواتيم، ويُستسقىٰ الغمام بوجهه الكريم، وعلىٰ آله

وصحبه»، تُوفِّي سنة ست وستين وثمانمائة، أطال أبو عبدالله بن صعد ترجمته في "النجم الثاقب" وذكر جملًا من أحواله وكراماته، كما ذكر التنبكتي وغيره.

وذكر القاضي بن عبدالملك: «أنَّ أبا إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم السلميَّ البلفيقيَّ الأندلسيَّ -وكان عالمًا زاهدًا- أتاه مرَّةً طبيبٌ يُنكر كرامات الأولياء ومعه صبيٌّ يشكو ألم الحصىٰ، وقال للشيخ علىٰ جهة الاستهزاء: يا شيخ تداوي هذا الصَّبيَّ؟! فتفرَّس ما أضمره وتغيَّر وجهه، واستدعىٰ الصَّبيَّ وأَمَرَّ يده علىٰ صدره والأخرىٰ علىٰ قلبه، وحرَّك شفتيه، ورفع ثياب الصَّبيِّ ونفخ تحته ثلاثًا، وقبض بعنف وقوة علىٰ دُبر الصبي، فتجمع وقذف خمس حصياتٍ في حجم الحُمص مخضوبةً بالدَّم، وسكن الألم عنه حينئذٍ، ثُمَّ قال للطَّبيب وصاحبه: ما حملكما علىٰ إنكار مثل هذا؟ فتنصَّلا وخرجا علىٰ أسوأ حالٍ».

وقال الإمام ابن مرزوق الحفيد في الكتاب الذي ألَّفه في التعريف بشيخه العلَّامة المحقِّق الوليِّ الكبير أبي إسحاق إبراهيم بن موسىٰ المصموديِّ المكناسيِّ: «حدَّثني كبير أصحابه الشيخ أبو عبدالله بن جميل: أنَّه عرض له شيءٌ منعه منا اتباع المشهور في مسألةٍ، واضطر لفعله، فبحث حتىٰ وجد جوازه لأصبغ وابن حبيب فقلدهما، قال: ثم مضيت لزيارة أمي وسقط عليَّ حَجَرٌ آلمني شديدً واعتقدت أنَّه عقوبتي لمخالفة المشهور وتقليد غيره، وما علِم بذلك أحدٌ، ثُمَّ زرت الشيخ وأنا متألمٌ فقال لي: ما لك يا فلان؟ قلت له: ذنوبي، فقال لي علىٰ الفور: من قلَّد أصبغ وابن حبيبٍ فلا ذنوب عليه».

قال: «وحدَّثني بعض صالحي أصحابه قال: كنت جالسًا معه في بيته ليس معنا أحدٌ، وهو يقرأ القرآن ويشير بقضيبٍ في يده إلىٰ محلِّ الوقوف -علىٰ عادة

شيوخ التجويد- فقلت في نفسي: لِمَ يفعل هذا؟ أتراه يقرأ عليه أحدٌ من الجنِّ؟! فما تمَّ الخاطر حتىٰ قال لي: يا محمَّد كان بعض الشيوخ الجنِّ يُجَوِّد عليه القرآن». اهـ.

وذكر الحافظ السيوطيُّ في ترجمة أبي الحسن بن بنان بن حمدان الحمَّال الزاهد من كتاب "حسن المحاضرة": «أنَّه أنكر علىٰ ابن طولون يومًا شيئًا من المنكرات وأمره بالمعروف، فأمر ابن طولون فأُلقي بين يدي الأسد، فكان يشمه ويحجم عنه فرفع من بين يديه، وزاد تعظيم الناس له.

وجاءه رجل فقال: لي علىٰ شخصٍ مائة دينار وقد ضاعت الوثيقة، وأخاف أن ينكر فادع لي، فقال له: إنِّي قد كبرت وأُحب الحلواء؛ فاذهب فاشتر لي رطلًا وائتني به حتىٰ أدعو لك، فذهب الرجل فوضع له البائع الحلواء في ورقة، فإذا هي وثيقته بالمائة دينار، فجاء إلىٰ الشيخ فأخبره، فقال: خذ الحلواء فأطعمها صبيانك».

وذكر أيضًا: «أنَّ أبا الحسن عليَّ بن محمَّد بن سهل الدينوريَّ -الصائغ الزاهد- رُؤي يُصلِّي بالصَّحراء في شِدَّة الحرِّ، ونسرٌ قد نشر جناحيه يظلُّه من الحرِّ».

ونقل أيضًا عن صاحب "المرآة": «أنَّ أبا الحسن هذا أنكر علىٰ تكين -أمير مصر- أشياء، وكان تكين ظالمًا؛ فسيَّره إلىٰ القدس، فلما وصل إليه قال: كأنِّي بالبائس -يعني تكين- وقد جئ به في تابوت إلىٰ هنا، فإذا دنا من الباب عثر البغل ووقع التابوت، فبال عليه البغل فلم يلبث إلَّا مدَّةً يسيرةً، وإذا بقائل يقول: قد وصل تكين وهو ميت في التابوت، فلما وصل إلىٰ الباب عثر البغل في المكان الذي أشار إليه الدينوريُّ، فوقع التابوت، وغفل عنه المكاري فبال عليه البغل، وخرج الدينوري فقال للتابوت: جئت بالبائس إلىٰ المكان الذي نفانا

إليه، ثُمَّ ركب الدينوريُّ، وعاد إلىٰ مصر، فمات بها في رجب سنة إحدىٰ وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بالقرافة».

وذكر الحافظ السيوطيُّ أيضًا في ترجمة رفاعة بن أحمد بن رفاعة القناويِّ الجذاميِّ -المشهور بالصَّلاح والكرامات-: «أنَّ شيخه أبا الحسن بن الصبَّاغ تحدَّث مع والي قوص أن يعزل والي قنا فرفض، وكان الشيخ رفاعة حاضرًا فقال يا سيدي: أقول، قال: لا، فلمَّا خرج سأله الفقراء: ما الذي كنت تريد أن تقول؟ فقال: إنَّ الوالي لما ردَّ علىٰ الشيخ، عُزل في ساعته، فأرَّخوا ذلك الوقت، فجاء المرسوم بعزله في ذلك التاريخ».

الفصل السادس

فيما أكرم الله به أولياءه بعد وفاتهم من بقاء أجسامهم سليمة لا يُغيرها البلى ولا يعفيها التراب

ثبت ذلك بالمشاهدة والتواتر في وقائع لا يكاد يحصيها العدُّ، وأنا أذكر من ذلك ما يتيسّر من غير استيفاءٍ.

قال الحافظ بن رجب في كتاب "أهوال القبور" ما نصه: «وأما من شُوهد بدنه طريًّا صحيحًا، وأكفانه عليه صحيحة، بعد تطاول المدة من غير الأنبياء -عليهم السلام- فكثير جدًا، ونحن نذكر من أعيانهم جماعة.

قال عمر بن شبة: حدَّثني محمَّد بن يحيىٰ: ثنا هشام بن عبدالله بن عكرمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لَمَّا سقط جدار بيت النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعمر بن عبدالعزيز علىٰ المدينة انكشف قدمٌ من القبور التي في البيت فأصابها شيءٌ فدميت، ففزع من ذلك ابن عبدالعزيز فزعًا شديدًا، فدخل عروة البيت، فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لعمر: لا ترع هي قدم عمر بن الخطاب، فأمر بالجدار فبُني ورُدَّ علىٰ حاله.

وقال أبو القاسم البغويُّ: حدَّثنا عبدالأعلىٰ بن حماد: ثنا عبدالجبار بن الورد: سمعت أبا الزبير يقول: سمعت جابر بن عبدالله يقول: كتب معاوية إلىٰ عامله بالمدينة: أن يُجري عينًا إلىٰ أُحد، فكتب إليه عامله: إنَّها لا تجري إلَّا علىٰ قبور الشهداء، فكتب إليه: أن أنفذها، قال: سمعت جابرًا يقول: فرأيتهم يخرجون علىٰ رقاب الرجال كأنَّهم رجال نوم، حتىٰ أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دمًا.

وروىٰ مالك عن عبدالرحمن بن أبي صعصعة: أنَّه بلغه أنَّ عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الأنصاري كانا في قبرٍ واحدٍ، وهما ممَّن استشهد يوم أُحدٍ فحفر السيل قبرهما، فحُفر عليهما ليغيرا من مكانهما، فوُجدا لم يتغيرا كأنَّهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده علىٰ جرحه فدفن وهو هكذا، فأشيلت يده عن جرحه، ثُمَّ أرسلت، فرجعت كما كانت، وكان بين أُحد وبين ما حُفر عليهما ست وأربعون سنة.

وقال ابن أبي الدنيا: ثنا أحمد بن عاصم: ثنا سعيد بن عامر، عن المثني بن سعيد قال: لَمَّا قدمت عائشة بنت طلحة البصرة، أتاها رجلٌ فقال: إنِّي رأيت طلحة بن عبيد الله في المنام فقال: قل لعائشة، تُـحوِّلني من هذا المكان فإنَّ النز آذاني؛ فركبت في مواليها وحشمها، فضربوا عليها واستثاروه، فلم يتغيَّر منه إلَّا شعيرات في إحدىٰ شقي لحيته -أو قال: رأسه- حتىٰ حُوِّل إلىٰ موضعه، وكان بينهما بضع وثمانون سنة.

وبإسناده عن عليٍّ بن زيد بن جدعان، عن أبيه أنَّه قال: رأيت طلحة لما حُوِّل من مكانه، فرأيت الكافور في عينيه لم يتغيَّر منه شيء إلَّا عقيصته مالت من مكانها.

وقال في "كتاب الأولياء": «كتب إليَّ أبو عبدالله محمَّد بن خلف بن صالح التيميُّ: أنَّ إسحاق بن أبي بنانة، مكث ستين سنة يؤذِّن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد -يعني بالكوفة- وكان يُعلِّم الغلمان في الكتَّاب ولا يأخذ الأجر، ومات قبل أن يُحفر الخندق بثلاثين سنة، فلمَّا حُفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ووقع قبره في الخندق، فاستخرجوه كما دفن لم يتغير منه شيءٌ، إلَّا أنَّ الكفن قد جفَّ عليه ويبس، والحنوط محطوطٌ عليه، وكان خضيبًا

فرأوا وجهه مكشوفًا وقد ظهر الحناء في أطراف الشَّعر، فمضىٰ المسيب بن زهير إلىٰ أبي جعفر المنصور وهو علىٰ شاطيء الفرات، فأخبره فركب أبو جعفر في الليل حتىٰ رآه فأمر به فدُفن بالليل؛ لئلا يفتتن النَّاس».

وفي "الترمذي" في سياق حديث صهيب المرفوع في قصة أصحاب الأخدود: «أنَّ ذلك الغلام الذي قتله الملك وآمن الناس كلهم، وقالوا: آمنَّا بربِّ الغلام، وُجد في زمان عمر بن الخطاب ويده علىٰ جرحه كهيئته حين مات».

وقد ذكر محمَّد بن كعب القرظيُّ وزيد بن أسلم وغيرهما قصة عبدالله بن التامر -وهو رأس أصحاب الأخدود- وقصته شبيهة بقصة الغلام المخرجة في "الترمذيِّ" وأنَّه وُجد في زمان عمر رضي الله عنه بنجران، ويده علىٰ جرحه، وأنَّ جرحه يُدمي، وكذا ذكره ابن إسحاق عن عبدالله أبي بكر بن عمرو بن حزم.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب "القبور": دانيال لما وجده أبو موسىٰ بالسوس، وأخبارًا قصيرةً من أخبار المتقدمين في هذا المعنىٰ.

وذكر أبو الفرج ابن الجوزيِّ: «أنَّ الشريف أبا جعفر بن أبي موسىٰ لما دُفن بجانب قبر الإمام أحمد بعد موت أحمد بمائتي سنة، رُؤي كفن الإمام أحمد وهو يتقعقع.

قال: ولما كُشف قبر البربهاريِّ فاحت ببغداد رائحة طيبة حتىٰ ملأت المدينة.

قال: وحدَّثنا محمَّد بن منصور بن يوسف: حدَّثني أبي قال: كنت في جملة من كشف ابن سمعون لما نقل من بيته إلىٰ مقبرة الإمام أحمد بعد أربعين سنة وكفنه يتقعقع».اهـ

وقصة نقل طلحة بن عبيد الله أسندها ابن عبدالبر في "الاستيعاب" من

طرقٍ، وتقدَّم حديث ابن عبَّاسٍ: «**في الرَّجُلِ الذي ضَرَبَ خباءه على قبرٍ وهو لا يحسب أنَّه قبرٌ؛ فإذا رجلٌ يقرأ سورة (المُلك)**». وفي هذا المعنىٰ آثارٌ كثيرةٌ جدًّا، كما قال ابن رجب ذكرها ابن أبي الدنيا وغيره.

وذكر الحافظ السيوطيُّ جملةً منها في كتاب "شرح الصدور"، ومن طالع كتب التاريخ وتراجم الرجال وجد من هذا النوع ما لا يحصىٰ.

وذكر العلامة الشيخ أحمد بابا في ترجمة العالم الوليِّ الشهير سيدي محمَّد بن سليمان الجزوليِّ صاحب "دلائل الخيرات" أنه نُقل بعد موته بسبع وسبعين سنة فوجده لم يتغير منه شيء.

وذكر الفضيليُّ في "الدررالبهية": «أنَّ الشريف الصالح الزاهد سيدي عبدالملك بن محمد بن طاهر بن الحسن بن الحفيد الإدريسيَّ مرَّ علىٰ قبره فرسٌ، فزلَّت رجله فانكشف القبر عنه، فوجد كأنَّه دُفن الآن لم يتغيَّر من جسده شيءٌ، وذلك بعد دفنه بأكثر من أربعين سنة، وحضر لذلك جماعةٌ من الشُّرفاء والعلماء، منهم الفقيه العلَّامة القاضي السيِّد الصَّادق بن هاشم وشاهدوه».اهـ

ومنذ عشرين سنة أو أكثر نقلت الجرائد الأسبانيَّة التي تصدر في طنجة عن مراسليها في أسبانيا: أنَّ الحكومة هناك كانت تقوم بحفر بعض الطُّرق والميادين لإصلاحها في قرطبةٍ أو إشبيليَّة، فعثروا علىٰ أجساد قومٍ من المسلمين بِلِحاهم وعمائمهم البيض لم يتغيَّر منهم شيءٌ، مع أنَّه مرَّ علىٰ موتهم أكثر من ثلاثمائة سنة، وكان لهذا الحادث ضجَّةٌ في الصُّحف الأسبانية وتحيَّروا في تعليله؛ لأنَّهم لم يجدوا علىٰ أولئك الموتىٰ أثر التحنيط الذي يحفظ الجسم من البِلىٰ.

ولَمَّا مات العلَّامة السيد محمَّد بن جعفر الكتانيُّ دُفن بالقباب خارج مدينة

فاس، ثُمَّ اقتضىٰ الحال نقله إلىٰ داخل المدينة، فنُقل بعد أربعة أشهرٍ فإذا هو كهيئته يوم دُفن.

وممَّا رأيته بعيني: أنَّ والدتي -رحمها الله ورضي عنها- تُوفِّيت بالنفاس ليلة السابع والعشرين من رمضان (١٣٤١)، ودُفنت بزاويتنا الصِّدِّيقيَّة التي أنشأها مولانا الوالد رضي الله عنه بطنجة، ثُمَّ في اليوم السادس من شوال (١٣٥٤) اختار الله والدي لجواره، فدفنَّاه في الزاوية في مكان أوصىٰ أن يُدفن فيه، ورأينا أن تنقل الوالدة إلىٰ جانبه؛ حيث يكون عليهما ضريحٌ واحدٌ، وفعلنا، فوجدناها كهيئتها يوم دُفنت لم يتغيَّر من كفنها ولا من جسدها شيءٌ، شاهدت ذلك بنفسي حين نزلت إلىٰ قبرها، وشاهده الإخوان الذين قاموا بنقلها في تابوت عُمِل لذلك، وكانوا أكثر من عشرين فتعجَّبنا وزاد إيماننا.

وقد كانت من الصَّالحات العابدات، وكانت منقطعة النظير في الكرم وحسن الخُلُق، ولها فراسةٌ حادَّةٌ وأخلاقٌ حميدةٌ جَمَّةٌ، وأدركت الولاية في آخر حياتها كما أخبرنا مولانا الوالد قدَّس الله سِرَّه.

وهي من نسل الوليِّ الشَّهير والعارف الكبير سيدي أحمد بن عجيبة الحسنيِّ صاحب "شرح الحكم" وغيره من المؤلَّفات التي تزيد علىٰ ثلاثين مؤلَّفًا، وكان والدها سيدي عبدالحفيظ بن أحمد بن أحمد بن عجيبة صالحًا تاليًا لكتاب الله، منوَّر الشيبة، ظاهر البركة، يقصده الناس لالتماس بركته، ويُستشفىٰ المرضى بدعوته وتوجُّهاته، لم تفته صلاة الصُّبح جماعة في المسجد الذي كان يؤمُّ فيه أكثر من ثلاثين سنة، ووالده سيدي أحمد جمع بين العلم والولاية، والزهد والصلاح، أخذ الطريق عن جدِّي -من جهة الأب- الإمام العلامة المقرئ سيدي الحاج

أحمد ابن عبدالمؤمن الغُماريِّ، وعلىٰ يده رُزق الفتح والولاية، كما أنَّ جدي أخذ عنه علم المنطق، رحمهم الله جميعًا وألحقنا بهم علىٰ الإيمان، وجمعنا بهم في دار كرامته ومُستقرِّ رحمته، تحت لواء سيدنا محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل السابع
فيما أكرم الله به أولياءه من الظُّهور في صورٍ مُختلفةٍ

وإنِّي ذاكرٌ هنا بحول الله ما نشرته بـ"مجلَّة الإسلام" سنة ١٣٥٨- عدد ٣١، ٣٣- السنة الثامنة للمجلَّة.

ونصُّه: «كتب إليَّ فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالغني عوض كتابًا يقول فيه: بعد الدِّيباجة والتَّحيَّة، أرجو الجواب عن الآتي مع البيان الشافي والدليل الكافي، راجيًا نشره علىٰ صفحات "مجلة الإسلام" للنفع العام، أوفد الله لكم الإنعام علىٰ الدوام.

سؤالٌ: هل يتبدَّل الوليُّ؟ وما الدليل علىٰ ذلك من السُّنَّة؟ وإذا قلتم به فهل تكون جميع الصُّور مُكَلَّفةً أم صورة واحدةٌ معيَّنة أم مُبهمة؟ وإنِّي أناشدك الله وأستحلفك به أنِّي في حيرةٍ منه مع الوسط الذي أنا فيه، فأغثنا بغوثك، وتكرَّم علينا بوابل كرمك، إلىٰ آخر ما جاء في الكتاب المذكور.

الجواب: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته، وإنِّي أشكرك كثيرًا علىٰ ما أطريت وأثنيت، وأسأل الله أن يجزيك خير الجزاء، ويكثر أمثالك في العلماء.

وبعد: فاعلم أنَّ تبدُّل الوليِّ أي: تطوّره وظهوره في صورٍ مُختلفةٍ مع بقاء صورته الأصلية علىٰ حقيقتها جائزٌ وواقعٌ، كما بُيِّن ذلك في كتب العقائد وغيرها.

قال الجاميُّ: «النفس النَّاطقة الكاملة إذا تحقَّقت بمظهريَّة الاسم الجامع تظهر في صورٍ كثيرةٍ من غير تقييدٍ وانحصارٍ، فتصْدُق تلك الصُّور عليها وتتصادق لاتحاد عينها كما تتعدَّد لاختلاف صورها، ولذلك قيل في إدريس عليه الصَّلاة والسَّلام: إنَّه هو إلياس المرسل إلى بعلبك، لا بمعنى أنَّ العين خلع الصور الإدريسية ولبس لباس الصورة الإلياسية؛ وإلَّا لكان قولًا بالتناسخ، بل إنَّ هوية إدريس عليه السَّلام مع كونها قائمةٌ في آنيةٍ وصورةٍ في السماء الرابعة ظهرت وتعيَّنت في آنية إلياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدًا، ومن حيث التعين الصُّوري اثنين، كنحو جبريل وميكائيل وعزرائيل، يظهرون في الآن الواحد في مائة ألف مكانٍ بصورٍ شتى كلِّها قائمة بهم، كذلك أرواح الكُمَّل كما يُروى عن قضيب البان الموصليِّ أنَّه كان يُرى في زمانٍ واحدٍ، في مجالس متعدِّدة، مُشتغلًا في كلٍّ بما يُغاير ما في الآخر، ولَمَّا لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغِّلين في الزمان والمكان، تلقوه بالردِّ والعناد، وحكموا عليه بالبطلان والفساد، وأمَّا الذين مُنحوا التوفيق للنجاة من هذا المضيق، فسلَّموا».اهـ

وقال العلَّامة علاء الدين القونويُّ -شارح "الحاوي"- في تأليف له يُسمَّى "الإعلام": «ومن الممكن أن يخصَّ الله بعض عباده في حال الحياة، بخاصَّةٍ لنفسه الملكية القدسية وقوةٍ لها تَقْدِر بها على التصرُّف في بدنٍ آخر غير بدنها المعهود، مع استمرار صرفها في الأول، وقد قيل في الأبدال: إنَّهم إنَّما سمُّوا أبدالًا؛ لأنَّهم قد يرحلون إلى مكانهم ويقيمون في مكانهم الأول شبحًا آخر شبيهًا بشبحهم الأصلي بدلًا عنه، وإذا جاز في الجنِّ أن يتشكَّلوا في صورٍ

مُختلفةٍ، فالأنبياء والملائكة والأولياء أولىٰ بذلك، وقد أثبت الصُّوفية عالمًا متوسطًا بين عالم الأجساد وعالم الأرواح -سمُّوه عالم المثال- وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد، وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا علىٰ ذلك تجسد الأرواح وظهورها بصورٍ مُختلفةٍ من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلًا، هي في وقتٍ واحدٍ مُدبِّرةٍ لشبحه الأصلي ولهذا الشبح المثاليِّ.

وينحلُّ بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمَّة: أنَّه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل عليه السَّلام فقال: أين كان يذهب جسمه الأول الذي سدَّ الأفق بأجنحته لما تراءىٰ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دِحْية؟ وقد تكلَّف بعضهم الجواب عنه: بأنَّه يجوز أن يقال: كان يندمج بعضه في بعضٍ إلىٰ أن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ثُمَّ يعود ينبسط إلىٰ أن يصير كهيئته الأولىٰ.

وما ذكره الصُّوفية أحسن وهو: أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغيَّر، وقد أقام الله له شبحًا آخر وروحه تتصرف فيهما جميعًا في وقتٍ واحدٍ، وكذلك الأنبياء ولا بعد ذلك؛ لأنَّه إذا جاز إحياء الموتىٰ لهم، وقلب العصا ثعبانًا، وأن يقدرهم الله علىٰ خلاف المعتاد في قطع المسافة البعيدة كما بين السماء والأرض في لحظةٍ واحدةٍ، إلىٰ غير ذلك من الخوارق، فلا يمتنع أن يخصَّهم بالتصرُّف في بدنين وأكثر من ذلك.

وعلىٰ هذا الأصل تخرج جملة مسائل كثيرةٍ، وتنحلُّ إشكالاتٍ غير يسيرةٍ، كقولهم: جنَّةٌ عرضها السموات والأرض، وهو فوق السموات، وسقفها

عرش الرحمن، كيف أُريها النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في عرض الحائط حتىٰ تقدَّم إليها في صلاته ليقطف منها عنقودًا علىٰ ما ورد به الحديث؟

وجوابه: أنَّه بطريق التمثُّل، وكما يُحكىٰ عن قضيب البان الموصليِّ -وكان من الأبدال- أنَّه اتهمه بعض من لم يره يُصلِّي بترك الصَّلاة وشدَّد النَّكير عليه في ذلك، فتمثَّل له علىٰ الفور في صور مختلفةٍ، فقال: في أي هذه الصور رأيتني ما أُصلِّي؟! ولهم حكاياتٌ كثيرةٌ مبنيةٌ علىٰ هذه القاعدة، وهي من أمَّهات القواعد عندهم، والله أعلم».اهـ وهو كلامٌ جيدٌ.

وذكر التاج السبكيُّ في "طبقات الشافعية الكبرىٰ": «أنَّ الكرامات أنواعٌ وعدَّها، وذكر في النوع الثاني والعشرين منها: التطوُّر بأطوار مُختلفةٍ، قال: وهذا الذي تُسمِّيه الصُّوفيَّة بعالم المثال، وبنوا عليه تَجسُّد الأرواح وظهورها في صورٍ مُختلفةٍ من عالم المثال، واستأنسوا له بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، ومنه قصة قضيب البان».اهـ وهو مأخوذٌ من كلام العلاء القونويِّ المتقدِّم.

وقال العلَّامة الوليُّ الكبير الشيخ عبدالغفَّار القوصيُّ: في كتاب "الوحيد في سلوك أهل التوحيد": «الخصائص الإلهية لا تحجير عليها، هذا عزرائيل يقبض في كلِّ ساعةٍ من الخلائق في جميع العوالم ما لا يعلمه إلَّا الله، وهو يظهر لهم بصُوَر أعمالهم في مرائي شتىٰ، وكلُّ واحدٍ منهم يشهده ببصره في صورٍ مختلفةٍ».اهـ

وقال ابن القيم في كتاب "الروح": «للروح شأنٌ آخر غير شأن البدن، فتكون في الرفيق الأعلىٰ وهي متصلةٌ ببدن الميت، بحيث إذا سُلِّم علىٰ صاحبها ردَّت السَّلام وهي في مكانها هناك، وهذا جبريل رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وله ستمائة جناح، منها جناحان سدَّ الأفق بهما، وكان يدنو من النبيِّ

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ يضع ركبتيه علىٰ ركبتيه، ويديه علىٰ فخذيه، وقلوب المخلصين تتسع للإيمان بأن من الممكن أنَّه كان يدنو هذا الدنو وهي في مستقرِّها من السموات».اهـ

وقال العلَّامة اليافعيُّ في "كفاية المعتقد": «روينا عن بعض الأكابر أنَّه قال: ما الشَّأن في الطَّيران؛ إنَّما الشَّأن في اثنين أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب يشتاق كلٌّ منهما إلىٰ زيارة الآخر، فيجتمعان ويتحدَّثان ويعود كلُّ واحدٍ منهما إلىٰ مكانه، والناس يشاهدون كلَّ واحدٍ منهما في مكانه لم يبرح عنه».اهـ

قلت: وقد ثبت التَّبدُّل والتَّطوُّر عن كثيرٍ من الأولياء، فذكر أبو القاسم القشيريُّ في "رسالته" المشهورة: «أنَّ حبيبًا العجميَّ -وهو في سلسلة الطَّريقة الشَّاذلية- كان يُرىٰ يوم التَّروية بالبصرة، ويوم عرفة بعرفاتٍ».

وذكر العلامة اليافعيُّ في "روض الرياحين": «أنَّ بعض أصحاب سهل بن عبدالله التُّستريِّ قال: حجَّ رجلٌ سنة فلما رجع قال لأخٍ له: رأيت سهل بن عبدالله في الموقف بعرفة، فقال له أخوه: نحن كنَّا عنده يوم التروية في رباطه بباب تستر، فحلف بالطَّلاق أنَّه رآه بالموقف، فقال له أخوه: قمنا بنا حتىٰ نسأله، فقاما ودخلا عليه وذكرا له ما جرىٰ بينهما وسألاه عن حكم اليمين، فقال سهل: مالكم بهذا من حاجةٍ اشتغلوا بالله، وقال للحالف: أمسك عليك زوجك ولا تُخبر بهذا أحدًا».اهـ

ونقل التاج السبكي في "الطبقات" في ترجمة أبي العبَّاس المُلَثَّم عن الشيخ عبدالغفَّار القوصيِّ قال في كتابه المسمىٰ بـ"الوحيد": «كنا عنده -يعني أبا العباس- يوم الجمعة فاشتغلنا بالحديث، وكان حديثه يلتذ منه السامع، فبينما

نحن في الحديث والغلام يتوضَّأ، فقال الشيخ للغلام: إلىٰ أين يا مبارك؟ فقال: إلىٰ الجامع، فقال: وحياتي صليت، فخرج الغلام وجاء فوجد الناس قد خرجوا من الجامع، قال عبدالغفار: فخرجت فسألت فقالوا: كان الشيخ أبو العباس في الجامع والناس تُسلِّم عليه، فرجعت إليه فسألته، فقال: أنا أُعطيت التَّبدُّل».اهـ

وأبو العباس الملثم كان صاحب كرامات وأحوال كما قال ابن السبكي في ترجمته، وكان مقيمًا في قوص وبها توفي سنة ٦٧٢ وقبره ظاهر هناك يزار.

وذكر الشيخ خليل المالكي صاحب "المختصر" و"التوضيح" في كتابه الذي ألَّفه في مناقب شيخه الشيخ عبدالله المنوفي -وهو جزءٌ لطيفٌ- قال في الباب السادس منه في طيِّ الأرض لشيخه المذكور مع عدم تحرُّكه: «من ذلك أنَّ رجلًا جاء من الحج وسأل عن الشيخ، وذكر أنَّه رآه واقفًا بعرفة، فقال له الناس: الشيخ لم يزل من مكانه، فحلف علىٰ ذلك فطلع للشيخ وأراد أن يتكلَّم، فأشار عليه بالسكوت، ثُمَّ ذكر الشيخ خليل وقائع أخرىٰ وقعت لشيخه من هذا النوع».

ثُمَّ قال: فإن قلت: كيف يُمكن وجود الشخص الواحد في مكانين؟

قلت: الوليُّ إذا تحقَّق في ولايته يُمَكَّن من التصور في روحانيته، ويُعطىٰ القدرة علىٰ التَّصوُّر في صورٍ عديدةٍ، وليس ذلك بمحالٍ؛ لأن المتعدِّد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالىٰ، كما حُكي عن قضيب البان لَمَّا أنكر عليه بعض الفقهاء عدم الصَّلاة في جماعةٍ، ثُمَّ اجتمع ذلك الفقيه به فصلَّىٰ بحضرته ثمان ركعات في أربع صُورٍ، ثُمَّ قال: أي صورةٍ لم تُصلِّ معكم؟.

وكما حُكي عن الشيخ أبي العباس المرسي: «أنَّه طلبه إنسانٌ لأمرٍ عنده يوم

الجمعة بعد الصلاة، فأنعم له، ثُمَّ جاء له أربعةٌ كلٌّ منهم طلب مثل ذلك، فأنعم للجميع، ثُمَّ صلَّىٰ الشيخ مع الجماعة، وجاء فقعد بين الفقراء ولم يذهب لأحدٍ منهم، وإذا بكل من الخمسة جاء يشكر الشيخ علىٰ حضوره عنده».اهـ كلام الشيخ خليل.

وقال صفيُّ الدين بن أبي منصور: «جرت للشيخ مفرج الدماميني ببلده قضية مع أصحابه، قال شخصٌ منهم كان قد حجَّ لآخر: رأيت مفرجًا بعرفة، فنازعه الآخر بأن الشيخ ما فارق دمامين، ولا راح لغيرها، وحلف كل منهما بالطَّلاق، الذي كان قد حجَّ حلف بالطلاق من زوجته أنَّه رآه بعرفة، وحلف الآخر بالطلاق أنَّه لم يغب عن دمامين في يوم عرفة، فاختصما إليه وذكر كلٌّ منهما يمينه؛ فأقرَّهما علىٰ حالهما، وأبقىٰ كلَّ واحدٍ علىٰ زوجته، فسألته عن حكم ذلك، وصِدْق أحدهما يوجب حنث الآخر، وكان حاضرًا معنا رجالٌ معتبرون، فقال الشيخ لنا: قولوا إذنًا منه بأن نتكلَّم في سرِّ هذا الحكم، فتحدَّث كلٌّ منهم بوجهٍ لا يكفي، وكانت المسألة قد اتضحت لي فأشار إليَّ بالإيضاح، فقلت: الوليُّ إذا تحقَّق في ولايته تَمكن من التَّصوُّر في صورٍ عديدةٍ، تظهر علىٰ روحانيته في حين واحدٍ في جهاتٍ مُتعدِّدةٍ، فإنَّه يُعطىٰ التَّطوُّر في الأطوار، والتلبس في الصور علىٰ حكم إرادته، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعرفة حقٌّ، وصورته التي رآها الآخر لم تفارق دمامين حقٌّ، وصَدَق كل منهما في يمينه، فقال الشيخ: هذا هو الصحيح».اهـ

وقال الحافظ السيوطيُّ: «رأيت في مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء لبعض تلامذته: أنَّ رجلًا من جماعة الشيخ حجَّ، قال: فرأيت الشيخ في

المطاف، وخلف المقام، وفي المسعىٰ، وفي عرفة، فلمّا رجعت وسألت عن الشيخ، فقيل لي: هو طيب، فقلت: هل سافر أو خرج من البلد؟ فقيل: لا، فجئت إليه وسلَّمت عليه، فقال لي: من رأيت في سفرتك هذه من الرجال؟ قلت: يا سيدي رأيتك، فتبسَّم وقال: الرجل الكبير يملأ الكون».

وذكر الشعرانيُّ في ترجمة الشيخ عبدالقادر الدشطوطيِّ من "الطبقات" قال: «كان من شأنه التطور، حلف اثنان أنَّ الشيخ نام عند كلٍّ منهما إلىٰ الصباح في ليلةٍ واحدةٍ، في مكانين، فأفتىٰ شيخ الإسلام الشيخ جلال الدين السيوطيُّ بعدم وقوع الطلاق».

قلت: هذه المسألة ألَّف فيها الحافظ السيوطيُّ رسالةً خاصَّةً سمَّاها "المنجلي في تطور الولي" قال في أولها: «رُفع إليَّ سؤال في رجلٍ حلف بالطلاق أنَّ وليَّ الله الشيخ عبدالقادر الدَّشطوطيَّ بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر بالطلاق أنَّه بات عنده تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق علىٰ أحدهما أم لا؟ فأرسلت قاصدي إلىٰ الشيخ عبدالقادر فسأله عن ذلك، فقال: لو قال أربعة إنِّي بِتُّ عندهم لصُدِّقوا، فأفتيت بأنَّه لا يحنث واحدٌ منهما، وقرَّر ذلك من حيث الفقه، ثُمَّ قال: قد نصَّ علىٰ إمكان ذلك -يعني وجود الشخص في مكانين في وقتٍ واحدٍ- أئمةٌ أعلامٌ منهم: العلامة علاء الدين القونويُّ شارح "الحاوي"، والشيخ تاج الدين السُّبكيُّ، وكريم الدين الآمليُّ -شيخ الخانقاه الصَّلاحية- سعيد السعداء، وصفي الدين بن أبي المنصور، وعبدالغفَّار بن نوح القوصي صاحب "الوحيد"، والعفيف اليافعيُّ، والتَّاج بن عطاء الله، والسِّراج بن المُلقِّن، والبرهان الأبناسيُّ، والشيخ عبدالله المنوفي، وتلميذه

الشيخ خليل المالكيُّ صاحب "المختصر" وأبو الفضل محمد بن إبراهيم التلمسانيُّ المالكيُّ، وآخرون.

قال: وحاصل ما ذكروه في توجيه ذلك ثلاثة أمورٍ:

أحدها: أنَّه من باب تعدُّد الصّور بالتمثُّل، والتشكُّل كما يقع ذلك للجنِّ.

والثاني: أنَّه من باب طيِّ المسافة، وزوي الأرض من غير تعدُّدٍ، فيراه الرائيان كلٌّ في بيته، وهي بقعةٌ واحدةٌ إلَّا أنَّ الله طوىٰ الأرض وزواها ورفع الحجب المانعة من الاستطراق، فظنَّ أنَّه في مكانين وإنَّما هو في مكانٍ واحدٍ، وهذا أحسن ما يحمل عليه حديث: رَفْعُ بيت المقدسِ حتىٰ رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكَّة حال وَصْفِهِ إياه لقريشٍ صَبيحَة الإسراءِ.

الثالث: أنَّه من باب عِظَم جثَّة الوليِّ بحيث ملأ الكون؛ فشوهد في كلِّ مكانٍ كما قرر بذلك شأن ملك الموت ومنكر ونكير، حين يقبض من مات في المشرق وفي المغرب في ساعةٍ واحدةٍ، ويسألان من قُبر فيهما في الساعة الواحدة؛ فإنَّ ذلك أحسن الأجوبة في الثلاثة، ولا ينافي ذلك رؤيته علىٰ صورته المعتادة، فإنَّ الله يحجب الزائد عن الأبصار، أو يدمج بعضه في بعض، كما قيل بالأمرين في رؤية جبريل في صورة دحية، وخلقته الأصلية أعظم من ذلك، بحيث إنَّ جناحين من أجنحته يسُدَّان الأفق».

هذا كلام الحافظ السيوطيِّ في "رسالة المنجلي" وهي رسالةٌ لطيفةٌ تقع في عشر صفحاتٍ، وأغلب النقول السابقة نقلناها منها، فهي مع صِغرها مفيدةٌ جيِّدةٌ.

وذكر الشعرانيُّ في ترجمة الشيخ حسين الجاكي -إمام جامع الجاكي وخطيبه-: «أنَّه كان واعظًا ينتفع الناس بكلامه لصلاحه، فعقد له بعض أهل

عصره مجلسًا عند السلطان ليمنعوه من الوعظ، وقالوا: إنَّه يلحن، فرسم السلطان بمنعه، فشكا ذلك لشيخه الشيخ أيوب الكنَّاس، فبينما السلطان في بيت الخلاء إذ خرج له الشيخ أيوب من الحائط والمكنسة على كتفه في صورة أسد عظيم وفتح فمه يريد أن يبلع السلطان، ووقع مغشيًا عليه، فلما أفاق قال له: أرسل للشيخ حسين يعظ وإلَّا أهلكتك، ثُمَّ دخل من الحائط، فأذن السلطان للشيخ حسين، وأراد الاجتماع بالشيخ أيوب فلم يأذن له».

وذكر العلامة الشيخ أحمد بابا التنبكتيُّ في ترجمة الشيخ شعيب بن الحسن الأندلسي -المشهور بأبي مدين- نقلًا عن تلميذه الشيخ عبدالخالق التونسيِّ عنه قال: «سمعت رجلًا يُسمَّىٰ موسىٰ الطيَّار، يطير في الهواء، ويمشي علىٰ الماء، وكان رجلٌ يأتيني عند طلوع الفجر فيسألني عن مسائل الناس، فوقع لي ليلة أنَّه موسىٰ الطيَّار الذي أسمع به، فلمَّا طلع الفجر نقر الباب رجلٌ، فإذا هو الذي يسألني فقلت له: أنت موسىٰ الطيَّار؟ قال: نعم، ثُمَّ سألني وانصرف، ثُمَّ جاءني مع آخر، فقال لي: صليت الصبح ببغداد وقدمنا مكة، فوجدناهم في الصبح، فأعدنا معهم وبقينا في مكة حتىٰ صلينا الظهر، فجئنا القدس، فوجدناهم في الظهر، فقال صاحبي هذا: نعيد معهم، فقلت: لا، فقال لي: ولِمَ أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له: كذلك كان شيخي يفعل وبه أُمرنا، فاختلفنا، قال أبو مدين: فقلت لهم أمَّا إعادة الصبح بمكة فإنَّها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أقوىٰ من علم اليقين، وصلاتكم بمكة وهي أم القرىٰ فلا تعاد في غيرها، قال: فقنعا به وانصرفا».

وذكر لي مولانا الوالد -رحمه الله ورضي عنه-: أنَّ جدَّنا سيدي الحاج

أحمد، دعاه أحد أتباعه بفاس في بعض زياراته لها إلىٰ العشاء -أو الغداء عنده- في يومٍ مُعيَّن -الشك مني- فأنعم له، ثُمَّ دعاه ثلاثةُ آخرون، كلٌ منهم عيَّن ذلك الوقت من ذلك اليوم، فأنعم لهم، وذهب إليهم جميعًا في وقتٍ واحدٍ، ولم يعرفوا ذلك إلَّا من الغد حينما تقابلوا، وذكر كلٌ منهم أنَّ الشيخ كان عنده، وما إخالك -بعد هذه الوقائع المنقولة بطريق الثقات العدول- في حاجةٍ إلىٰ الدليل من السنَّة علىٰ تبدُّل الوليِّ وتطوُّره؛ إذ الأمر الحاصل المحسوس لا يحتاج إلىٰ دليلٍ، وفي الحديث: «**ليس الخبر كالمعاينة**».

وقد قال اليافعيُّ عقب حكاية الشيخ مفرج الدمامينيِّ: «إنَّ تعدُّد الصور من الوليِّ قد وقع وشُوهد ولا يمكن جحده».

قلت: ومع هذا فقد استشهد الحافظ السيوطيُّ لذلك في آخر "**المنجلي**" بحديث: «**رُفع بيت المقدس حتى وضع دون دار عُقيلٍ أو عقالٍ**».وهو عند أحمد، والنَّسائيِّ بإسنادٍ صحيحٍ كما قال.

واستشهد أيضًا بما أخرجه ابن جريرٍ وغيره وصحَّحه الحاكم عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]، قال: مُثِّل له يعقوب، وذُكر مثله عن سعيد بن جبيرٍ، وحميد بن عبدالرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن سيرين، وقتادة، وأبي صالح، وشمر بن عطية، والضَّحَّاك، وعن الحسن قال: انفرج سقف البيت فرأىٰ يعقوب، وفي رواية عنه قال: رأىٰ تمثال يعقوب.

قال الحافظ السيوطيُّ: «فهذا القول من هؤلاء السَّلف، دليلٌ علىٰ إثبات المثال، أو طي المسافة، وهو شاهدٌ عظيمٌ لمسألتنا؛ حيث رأىٰ يوسف عليه

السَّلام وهو بمصر أباه، وكان إذ ذاك بأرض الشَّام، ففيه إثبات رؤية يعقوب عليه السلام بمكانين متباعدين في وقتٍ واحدٍ، بناء علىٰ إحدىٰ القاعدتين اللتين ذكرناهما».اهـ

ولا تنسىٰ حديث جبريل وظهوره في صورة دحية، فإنَّه من شواهد ما نحن فيه وهناك أحاديث من هذا القبيل ليس لي نشاطٌ في ذكرها الآن، علىٰ أنَّ هذا لا يمنعني أن أذكر حديثًا استدلَّ به بعض العلماء في هذا الموضوع -أو ما يقرب منه- فقرأت في كتاب "المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح" للعلامة أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح الماجريُّ المغربيُّ مما رواه بإسنادٍ إلىٰ أنس بن مالكٍ قال: لما رجعنا من غزوة تبوك قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بالمدينة لأقوامًا ما سِرْتُمْ مَسيرًا ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلَّا كانوا معكم، قالوا: يا رسولَ الله وهم بالمدينة مُقيمون؟ قال: نَعَمْ، حَبَسَهُم العُذْرُ**».

ثُمَّ قال: «هذا حديثٌ صحيحٌ متفقٌ علىٰ صحَّته أخرجه البخاريُّ، وفيه دلالةٌ واضحةٌ علىٰ إثبات الكرامات بخرق العادات، في طيِّ الأرض والاحتجاب عن الخلق، وقد شهد لهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك فلا عِطْر بعد عروس، ولا ريب يبقىٰ في النفوس، وليس فيه احتمالٌ لتأويل المنكرين، ولا مجالٌ لإبطال الملحدين الخاسرين، عافانا الله من صفة تؤدِّي إلىٰ المهالك، ورزقنا بمنِّه وكرمه الإيمان بذلك»، هذا كلامه.

والحديث رواه البخاريُّ عن أنسٍ، ومسلمٌ عن جابرٍ، وتأويله بهذا المعنىٰ تأويلٌ غريبٌ طريف، فإن صح فيكون معنىٰ قوله: «**حبسهم العُذْرُ**» أنَّه حبس

أبدانهم الأصلية وذهبت للغزو أبدانهم الصورية، كما وقع من الملائكة يوم بدرٍ فإنَّهم شهدوا الغزوة في صورة فرسان مُعتجِرين بعمائم، ويكون الحديث علىٰ هذا دليلًا لمسألتنا؛ لأنَّه إذا كانت أبدانهم في المدينة محبوسةٌ للمرض، ولهم أبدان أُخرىٰ في الغزو فهذا هو التطُّور.

هذا ولا يفوتني أن أنبِّهك علىٰ خطأٍ وقع في "الفتاوي البزازية" من كتب الحنفية فقد جاء فيها: «سُئل الزعفرانيُّ عمن يزعم أنَّه رأىٰ ابن أدهم يوم التروية ورآه أيضًا في ذلك اليوم بمكَّة؟ قال: كان ابن مقاتلٍ يُكفِّره فيقول: ذلك من المعجزات لا من الكرامات، وأمَّا أنا فأستجهله ولا أطلق عليه الكفر، وقال محمَّد بن يوسف: يكفر، وعلىٰ هذا ما يحكيه جهلة خوارزم: أنَّ فلانً كان يُصلِّي سُنَّة الفجر بخوارزم، وفرضه بمكَّة». اهـ

وهو غلطٌ ظاهرٌ، فالصواب: أنَّه لا كُفر ولا جهل علىٰ ما تبيَّن من النقول التي قدَّمناها، وقد أشار السعد إلىٰ رد هذا في "شرح المقاصد" حيث قال: «ظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيبٍ من أهل البدع والأهواء، وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنَّة حيث قال فيما رُوي عن إبراهيم بن أدهم أنَّهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكَّة: أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفيُّ حين سُئل عما يُحكىٰ: أنَّ الكعبة كانت تزور أحدًا من الأولياء هل يجوز القول به؟ فقال: نقض العادة علىٰ سبيل الكرامة لأهل الولاية جائزٌ عند أهل السنَّة». اهـ كلام السعد، وهو يشير إلىٰ ما في "الفتاوي البزازية" كما هو ظاهرٌ.

هذا ما يتعلَّق بالتطور إثباتًا ونفيًا، وقد علمت أنَّه جائزٌ واقعٌ، وأنَّه لا عبرة

بمن نفاه.

بقي الكلام في التكليف هل يتوجَّه إلىٰ جميع الصورة أو صورةٍ واحدةٍ؟ ولم أرهم تعرَّضوا له فيما قرأت ورأيت، ولعلَّهم تركوه لوضوحه؛ لأنَّه من الواضح المعلوم أنَّ التكليف إنما يتوجَّه إلىٰ الذات الأصلية التي تدرَّجت في هذه الحياة تدرُّجًا طبيعيًّا وتطوَّرت أطوارًا معتادةً، فإليها يتوجَّه الخطاب وهي المقصودة بالثواب والعقاب، أما الذوات الأُخرىٰ فإنما هي ذوات مثالية تظهر عند الحاجة إليها إظهار قدرة الله تعالىٰ وإكرامه لأوليائه، ثُمَّ تتوارىٰ فلا يتوجَّه عليها تكليفٌ أصلًا.

هذا ما عندي في هذا المقام أفدتك به، ولم أدَّخر عنك وسعًا، فعسىٰ أن يكون مزيلًا لحيرتك، وحَكَمًا فاصلًا بينك وبين من اختلفت معهم.

غير أني أرجو ألا يكون سببًا في اغترارك بأولئك المريلين ومَن علىٰ شاكلتهم ممن يملؤن بطونهم بأنواع المخدرات، ويتركون الصلوات وسائر الواجبات، زاعمين أنَّهم يؤدُّونها عند الكعبة أو غيرها من الأماكن البعيدة، فكن حذرًا مُتيقِّظًا إلَّا فيمن تختبره بنفسك، ولا تصدق من الكرامات في هذا الوقت المظلم إلَّا ما رأته عيناك المرَّة بعد المرَّة بحيث يخرج عن حد المصادفة، فقد كثرت الأكاذيب في هذا الباب.

ألا ترىٰ إلىٰ حكاية طيران النعش بالميت كيف شاعت بمصر فقط شيوعًا كبيرًا، وهي أكذوبةٌ لا أصل لها، وقد كنت متردِّدًا فيها عندما سمعت بها لأول مرة، ثُمَّ لم ألبس أن جزمت بكذبها علىٰ كثرة من أخبرني بأنَّه شاهدها، وقد قرأت منذ خمس سنين تأليفًا لطيفًا للعارف الشعرانيِّ ألَّفه لبيان كذب هذه

الكرامة المفتعلة ونحىٰ فيه باللائمة علىٰ العوام والجهلة الذين يدَّعون ذلك، وأنَّهم لا يراقبون الله فيما يقولون، وأيم الله إنَّه لصادقٌ.

وقد حصل أنِّي حضرت جنازة شيخنا ختام علماء مصر المغفور له محمَّد بخيت رحمه الله، وبعد الصَّلاة عليه بالأزهر سِرنا خلف النعش، فادَّعىٰ بعض من كان بجانبي أنَّه رأىٰ النعش يطير في تلك اللحظة فأحددت نظري فلم أرَ شيئًا، فقلت له، فعاد وأكد أنَّه طار، ولفت نظري إلىٰ رؤيته ثانيًا فلم أرَ شيئًا، فقال: صدِّقني أنَّه طار، فقلت: سبحان الله ترىٰ ما لا نرىٰ؟! وكم لها من نظيرٍ.

ومن المدهش أنهم يدَّعون هذا الطيران لأُناسٍ كانوا في حياتهم فُسَّاقًا مُجاهرين، فلا أدري كيف يفهمونه؟ أكرامةٌ هو أم استدراجٌ، أم هو أمرٌ عاديٌّ ليس فيه ما يُستغرب؟! وإن كان عاديًّا عندهم فلم لا يحصل في سائر الأقطار الإسلامية غير مصر؟!

ألا فليتَّقِ الله هؤلاء المُدَّعون وليعلموا أنَّ الميت مشغولٌ عنهم بما هو فيه من نعيمٍ أو غيره، وأنَّه لا يعود عليه من النفع بهذا الكذب المكشوف شيءٌ، وإنَّما يعود عليهم إثم كذبهم وتضليلهم بحيث يضرُّون أنفسهم من غير أن ينفعوا من كذبوا له، وهذه غاية الخيبة نسأل الله السلامة منها.

وليس من غرضي الاسترسال في هذا الموضوع الذي لو شئت فردت لإبطاله مقالًا خاصًّا، ولكن غرضي التنبيه علىٰ ما كثر من الأكاذيب حول الأولياء والكرامات، مما يدعو إلىٰ كثيرٍ من التحفُّظ والاحتراس مع اليقظة والتحرِّي، وإنَّ من الحزم سوء الظنِّ، وبالله التوفيق.

هذا ما نشرتُه بعددين من "مجلة الإسلام" (عدد ٣١ صادر يوم الجمعة ٨

من شعبان سنة ١٣٥٨/ وعدد ٣٣ صادر يوم الجمعة ٢٢ من شعبان سنة ١٣٥٨) سوىٰ قصة الشيخ موسىٰ الطيَّار مع أبي مدين، فإنِّي ألحقتها الآن، وقد قرأه أهل العلم حين ظهوره في المجلة واستحسنوه، ووجدوه مبنيًّا علىٰ الجواز العقليِّ، ومؤيَّدًا بالوقائع المنقولة بطريق الإثبات إلَّا الوهابية الجهلة؛ فإن عقولهم قصرت عن فهم ما فيه، ومداركهم ضاقت عن إدراك ما اشتمل عليه.

وكتب الشيخ النجديُّ -أحد دعاتهم- في كُتيِّبٍ له سمَّاه: "كيف ذل المسلمون؟" يُعلِّق عليه بكلامٍ كله سفه وإقذاع، وبألفاظٍ متخيرةٍ من قاموس الشتائم لا تليق إلَّا بأمثاله المجرمين السفهاء، وبنىٰ عليه لوازم وإلزامات لا تلزم إلَّا في عقله المختل، ولو جاء هذا البحث عن طريق الغربيين الذين أثبتوا أخيرًا إمكان تجسد الروح، وظهورها في مكان بعيد عن مكان الجسم الأصلي، ومخاطبتها في الأمور المختلفة عن طريق تحضير الأرواح الذي كتبوا فيه المؤلفات العديدة لكان أول من يدعو إلىٰ تصديقه وتأييده، ولظلت عنقه خاضعةً له لا ينبس فيه ببنت شفة شأنه في ذلك شأن أشكاله قليلي الدين ضعفاء الإيمان الذين يستبعدون كثيرًا من المعجزات والكرامات ويصدِّقون ما يرد عن الغربيين ولو كان أشبه بالخيال منه بالواقع، ولقد سمعت بعض المفتونين يقول عن نظرية داروين الباطلة بالبداهة: إذا أثبتها العلم الحديث وجب تأويل القرآن ليوافقها!!

ومن العجب أن تجد ذلك المجرم النجدي يتطاول في كتيبه المذكور علىٰ علماء المسلمين أحياءً وأمواتًا، ويسوِّد صحيفته بشتمهم وإيذائهم، وبلغ في أعراضهم الطاهرة، ويذمُّ كتبهم أقبح ذمٍّ كأن بينه وبينهم ثأرًا، ثُمَّ تراه في نقده

لكتاب "حياة محمَّدٍ" يردُّ بذوقٍ وأدبٍ ولا يذكر المردود عليه إلَّا بـ(حضرة الدكتور) فما السبب في هذا؟!

قد يقول قائلٌ: سبب هذا أنَّ أولئك العلماء الفضلاء أغلبهم ذهب إلىٰ ربِّه لا يُخشىٰ منهم ضررٌ بخلاف مؤلف "حياة محمَّدٍ" فإنَّه لا يزال علىٰ قيد الحياة، وبسبيل أن يلي المناصب الحكومية التي يستطيع بسببها أن يقتص من المجرم النجديِّ إن سمع أنَّه شتمه وآذاه.

وربما يذكر هذا القائل في تقييد السبب الذي أبداه: أنَّ هذا النجديَّ الأثيم كان طالبًا برواق الحرمين، ثُمَّ تطاول علىٰ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجويِّ -رحمه الله- في ردِّه عليه، فطُرد من الأزهر وحُرم بدل الجراية الذي كان يستعين به، فهو لذلك يخشىٰ أن يقع له حادث يماثل هذا؛ لأنَّه جبانٌ حقيرٌ يخاف ولا يستحي، وهذا سببٌ صحيحٌ معقولٌ.

وعندي سببٌ آخر ينبغي أن يُضمَّ إليه؛ إذ الأسباب يجوز تعددها، ذلك أنَّ أولئك العلماء الذين ولغ في عرضهم هذا النجديُّ الدنيء يحبُّون النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويعطِّرون كتبهم ومجالسهم بالثناء عليه، ويذكرون فضل هدايته علىٰ العالم، ويتقرَّبون إلىٰ الله بذكر معجزاته وشمائله، ويتشرَّفون بالانتساب إلىٰ خدمة جنابه العظيم، بخلاف صاحب كتاب "حياة محمد" فإنَّه نفىٰ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جميع المعجزات غير القرآن، وأوَّل الإسراء تأويلًا يُخالف ما دلَّ عليه القرآن وصرَّحت به السنَّة، ويُباين ما يعتقده المسلمون، وصرَّح بعدم الاعتماد علىٰ الأحاديث النبوية إلَّا بقدر ما يوافق القرآن -في رأيه طبعًا- مُستندًا إلىٰ حديثٍ مكذوبٍ جاء فيه: «**اعرضوا حديثي**

على القرآن، فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله».

وأتىٰ بطامَّاتٍ سبق إلىٰ بعضها الغربيون واخترع باقيها من قِبل نفسه، وهذا المسلك يرضى عنه ذلك الوغد النجدي من حيث إنَّه ليس فيه مدح النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا تعظيم له إلَّا بقدر محدودٍ يراه اعتدالًا، ويرىٰ كلام القاضي عياض، والبوصيريِّ، والقسطلانيِّ غلوًّا وإفراطًا، بل يعد بعضه داخلًا في باب التخريف.

ولقد سألني مرة متهكِّمًا كيف كان محمَّدٌ نورًا مع العلم بأنه خلق من نطفة كسائر الناس وكان من لحم ودم؟ فلم أجبه عن هذا السؤال الذي يدل علىٰ غِلٍّ في قلبه، وسائر كلامه عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يدل علىٰ ذلك، فإني ما سمعته يذكر اسمه إلَّا مجرَّدًا عن السيادة والصلاة، ويمثل به في أقبح الأشياء.

تذاكرنا مرة في معنىٰ الظلم هل هو التصرف في مِلك الغير بغير إذنه، أو وضع الشيء في غير موضعه؟ وكان من رأيه اختيار الثاني، فقال يستدل عليه: لو لم يكن الظلم ما ذكر لكان محمدٌ في أطباق النيران، وفرعون في الفردوس، من غير أن يكون في ذلك ظلم!!!!

فانظر إلىٰ بشاعة هذا التمثيل وخطأ الاستدلال، وقد كان يمكنه أن يذكر لفظ المؤمن أو الطائع أو المتقي، فإنه يؤدي المعنىٰ المقصود من غير أن يمسَّ الجناب النبويَّ بشيءٍ ولكنه الغِلّ يغلي في قلبه علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيظهر أثره علىٰ لسانه.

وقد أخبرني الشيخ يوسف الزواويُّ أنه سأل هذا الوغد النجديَّ عن سبب حملة النجديين علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: أجيبك

بصراحةٍ هو الذي بدأنا بالعداوة! يُشير بهذا إلىٰ ما جاء في "صحيح البخاريِّ" وغيره عن ابن عمر قال: ذكر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ بارك لنا في شَامِنا، اللهمَّ بارك لنا في يمَنِنا، قالوا: يا رسول الله وفي نَجْدِنا؟ قال: اللهمَّ بارك لنا في شَامِنا، اللهمَّ بارِكْ لنا في يمَنِنا، قالوا: يا رسول الله وفي نَجْدِنا؟ فأظُنُّه قال في الثالثة: هناك الزَّلازِلُ والفتن وبها يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان**».

وهذا الحديث صريحٌ في الإشارة إلىٰ هذه الفئة الضالة، التي ظهر قرنها في نجدٍ، وأظهر خلاف المسلمين، واستباح غزوهم وقتلهم، إلىٰ آخر ما هو معروفٌ، فلا نُطيل به.

ولهذا الوغد النجدي رسالة سمَّاها: "مشكلات الأحاديث النبوية والجواب عنها" ما جمعها إلَّا ليجيب عن هذا الحديث الذي أظهر للناس نواياهم، ووصمهم وصمة لا تُمحىٰ إلىٰ آخر الدهر، ولو ذهبت أعدُّ مخازي هذا النجدي من تهاونه في الصلاة، وكذبه في المناقشات العلمية، ووقاحته وجرأته علىٰ الله ورسوله أعياني العدُّ فأكتفي بهذا القدر الكافي في التحذير والاستبصار مع رعاية جانب الاختصار، وبالله التوفيق.

الفصل الثامن

فيما أكرم الله به أولياءه من رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجتماعهم به في اليقظة وأخذهم عنه.

وهذا مطلبٌ عزيزٌ نفيسٌ خفي علىٰ كثيرٍ من الناس فأنكروه واستبعدوا وقوعه، وهو لعمر الله سائغٌ في قضايا العقول، واقع بصحيح المنقول، كما بينه الحافظ السيوطي وابن مغيزل وغيرهما، والأصل فيه ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثَّلُ الشَّيطان بي**».

قال البخاريُّ: «قال ابن سيرين: إذا رآه في صورته».

وقال القاضي أبو بكر بن العربيُّ: «رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بصفته المعلومة إدراكٌ علىٰ الحقيقة، ورؤيته علىٰ غير صفته إدراكٌ للمثال، فإنَّ الصواب أنَّ الأنبياء لا تُغيِّرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقةً وإدراك الصفات إدراك المِثل».اهـ

وقوله: «**فسيراني في اليقظة**» اختلف العلماء في تأويله فقيل: معناه فسيراني في القيامة، وتُعقِّب بأنه لا فائدة لهذا التخصيص؛ لأنَّ كلَّ أمَّته يرونه يوم القيامة، وقيل: المراد به من آمن به في حياته ولم يره لكونه غائبًا عنه، فيكون مبشرًا له بأنه لابدَّ أن يراه في اليقظة قبل موته.

وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في شرحه للأحاديث التي اختصرها من البخاريِّ: «هذا الحديث يدل علىٰ أن من رآه في النوم فسيراه في اليقظة، وهل هذا علىٰ عمومه في حياته وبعد مماته أو هذا كان في حياته؟ وهل ذلك لكل من رآه

مطلقًا أو خاص بمن فيه الأهلية والإتباع لسنته عليه السلام؟ اللفظ يعطي العموم، ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصِّصٍ منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمتعسِّفٌ.

وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه، وقال علىٰ ما أعطاه عقله: كيف يكون من قد مات يراه الحيُّ في عالم الشاهد؟!

وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران:

أحدهما: عدم التصديق لقول الصادق عليه الصَّلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوىٰ.

والثاني: الجهل بقدرة القادر وتعجيزها، كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة وكيف قال الله تعالىٰ: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة:٧٣]، وقصة إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام في الأربعة من الطير، وقصة عزيرٍ، فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سببًا لحياته، وجعل دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام سببًا لإحياء الطيور، وجعل تعجُّب عزيرًا سببًا لموته وموت حماره ثُمَّ لإحيائهما بعد مائة سنة، قادرٌ أن يجعل رؤيته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم سببًا لرؤيته في اليقظة.

وقد ذُكر عن بعض الصحابة -أظنه ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما- أنه رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتذكَّر هذا الحديث، وبقي يُفكِّر فيه، ثُمَّ دخل علىٰ بعض أزواج النبيِّ أظنها ميمونة، فقصَّ عليها قصَّته، فقامت وأخرجت له مرآته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: رضي الله عنه فنظرتُ في المرآة فرأيتُ صورة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولم أرَ لنفسي صورةً.

وقد ذُكر عن جماعةٍ من السلف والخلف ممن كانوا رأوه صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم في النوم -وكانوا ممن يُصدِّقون بهذا الحديث- فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين، فأخبرهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بتفريجها ونصَّ لهم علىٰ الوجوه التي يكون منها فرجها، فجاء الأمر كذلك بلا زيادةٍ ولا نقصٍ.

قال: والمنكر لهذا لا يخلو إمَّا أن يصدِّق بكرامات الأولياء أو يكذِّب بها، فإن كان ممن يُكذِّب بها فقد سقط البحث معه، فإنه يُكذِّب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة وإن كان مصدِّقًا بها، فهذه من ذلك القبيل؛ لأنَّ الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالَمين العلويِّ والسفليِّ، فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك» اهـ كلامه.

ونقل الحافظ في "فتح الباري" بعضه، وقال عقبه ما نصه: «وهذا مشكلٌ جدًّا، ولو حُمل علىٰ ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلىٰ يوم القيامة، ويعكِّر عليه أنَّ جمعًا جمًّا رأوه في المنام، ثُمَّ لم يذكر واحدٌ منهم أنه رآه في اليقظة؛ وخبر الصادق لا يتخلَّف.

وقد اشتدَّ إنكار القرطبيُّ علىٰ من قال: من رآه في المنام فقد رأىٰ حقيقته، ثُمَّ يراها كذلك في اليقظة كما تقدَّم قريبًا، وقد تفطَّن ابن أبي جمرة لهذا، فأحال بما قال علىٰ كرامات الأولياء، فإن يكن كذلك تعيَّن العدول عن العموم في كل راءٍ، ثُمَّ ذكر أنه عامٌّ في أهل التوفيق، وأمَّا غيرهم فعلىٰ الاحتمال؛ فإنَّ خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء كما يقع للصِّدِّيق بطريق الكرامة والإكرام، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة».اهـ

ويُجاب عن الإشكال: بأنَّ الصحبة إنما تثبت بالرؤية المتعارفة المعهودة علىٰ

قيد الحياة، حتىٰ إنَّ الحافظ نفسه رجَّح عدم ثبوت الصحبة لمن رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ميتًا قبل أن يُدفن، والرؤية التي تحصل للأولياء هي علىٰ سبيل خرق العادة، فلا تثبت بها صحبة ولا ينبني عليها حكمٌ شرعيٌّ كما لا يخفىٰ، وكون الجمع الجم لم يذكروا أنهم رأوه في اليقظة بعد رؤياهم له في المنام لا يدلُّ علىٰ عدم حصولها كما هو ظاهرٌ، ولو سُلِّم فلا بدَّ من حصول الرؤية ولو عند الاحتضار، فلا تُفارق روحه جسده حتىٰ يراه عليه الصَّلاة والسَّلام وفاءً بوعده.

كما قال الحافظ السيوطيُّ مثل ذلك في حقِّ العامَّة: «وعبارته وقوله -يعني ابن أبي جمرة- إنَّ ذلك عامٌّ وليس بخاصٍّ بمن فيه الأهلية، والاتباع لسنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة علىٰ الرؤية في المنام ولو مرَّةً واحدةً تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يُخلف، وأكثر ما يقع ذلك للعامَّة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتىٰ يراه وفاءً بوعده، وأمَّا غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم إمَّا كثيرًا وإمَّا قليلًا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم علىٰ السنَّة، والإخلال بالسنَّة مانعٌ كبيرٌ». اهـ

وقال حجَّة الإسلام الغزاليُّ في كتاب "المنقذ من الضلال": «ثُمَّ إنني لما فرغت من العلوم أقبلت بهمَّتي علىٰ طريق الصوفية، والقدر الذي أذكره ليُنتفع به: أنني علمت يقينًا أنَّ الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصَّةً، وأنَّ سيرهم وسيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكىٰ الأخلاق، بل لو جُمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين علىٰ أسرار الشرع من العلماء ليُغيِّروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم ويُبدِّلوه بما هو خيرٌ منه لم يجدوا إليه سبيلًا، فإنَّ جميع حركاتهم وسكناتهم في ظواهرهم وبواطنهم

مقتبسةٌ من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة علىٰ وجه الأرض نورٌ يُستضاء به».

إلىٰ أن قال: «حتىٰ إنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد، ثُمَّ يترقَّىٰ الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلىٰ درجاتٍ يضيق عنها نطاق النطق».اهـ

وقال القاضي أبو بكر بن العربيُّ في كتاب "قانون التأويل": «ذهبت الصوفية إلىٰ أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس في تزكية القلب، وقطع العلاقة وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس، والإقبال علىٰ الله تعالىٰ بالكلية علمًا دائمًا وعملًا مستمرًّا كُشفت له الحُجُب، ورأىٰ الملائكة وسمع أقوالهم، واطَّلع علىٰ أرواح الأنبياء وسمع كلامهم».

قال: «ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكنٌ للمؤمن كرامةً، وللكافر عقوبةً».اهـ

قال ابن الحاجِّ في "المدخل": «رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فِي اليقظة بابٌ ضيِّقٌ وقلَّ مَن يقع له ذلك، إلَّا من كان علىٰ صفةٍ عزيزٍ وجودها في هذا الزمان -بل عُدمت غالبًا- مع أنَّا لا نُنكر من يقع له هذا من الأكابرِ الذين حفظهم الله تعالىٰ في ظواهرِهم وبواطنِهم، وقد أنكر بعض علماء الظاهرِ رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فِي اليقظة، وعلَّل ذلك بِأن قال: العين الفانية لا ترىٰ العين الباقية، والنبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فِي دار البقاء والرائي في دار الفناء.

وقد كان سيدي أبو محمَّدٍ رحمه الله يحلُّ هذا الإِشكال ويردُّه: بأنَّ المؤمن إذا مات يرىٰ الله وهو لا يموت، والواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرَّةً».اهـ

وقال القاضي شرف الدين هبة الله بن عبدالرحيم البارزيُّ في كتاب "توثيق عُرىٰ الإيمان": «قال البيهقي في كتاب "الاعتقاد": الأنبياء بعد ما قبضوا رُدَّت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربِّهم كالشهداء، وقد رأىٰ نبيُّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج جماعةً منهم وأخبر -وخبره صدق- أنَّ صلاتنا معروضةٌ عليه وأنَّ سلامنا يبلغه، وأنَّ الله تعالىٰ حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء.

قال البارزيُّ: وقد سُمع من جماعةٍ من الأولياء في زماننا وقبله: أنهم رأوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في اليقظة، وقد ذكره الإمام شيخ الإسلام أبو البيان نبأ بن محمَّد بن محفوظٍ الدمشقي في "نظيمته"».اهـ

وقال الشيخ أكمل الدين البابرتيُّ الحنفيُّ في شرح "مشارق الأنوار" في الكلام علىٰ حديث من رآني في المنام... إلخ: «الاجتماع بين الشخصين يقظةً ومنامًا لحصول ما به الاتحاد، وله خمسة أصولٍ كليَّةٍ: الاشتراك في الذات، أو في صفة فصاعدًا، أو في الأفعال، أو في المراتب، وكلُّ ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوَّته علىٰ ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقلُّ، وقد يقوىٰ علىٰ ضدِّه فتقوىٰ المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس، ومن حصَّل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمَّل الماضين اجتمع بهم متىٰ شاء».اهـ

ونقل الشيخ صفيُّ الدين بن أبي المنصور في "رسالته"، والشيخ عفيف الدين اليافعيُّ في "روض الرياحين" عن الشيخ الكبير قدوة العارفين أبي عبدالله القرشيِّ قال: «لمَّا جاء الغلاء الكبير إلىٰ ديار مصر توجَّهتُ لأن أدعو، فقيل لي: لا تدعُ فما

يُسمع لأحدٍ منكم في هذا الأمر دعاء، فسافرت إلى الشام فلما وصلت إلى قرب ضريح الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام تلقَّاني الخليل، فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم ففرج الله عنهم.

قال اليافعيُّ: قوله: «تلقَّاني الخليل» قول حقٍّ لا يُنكره إلَّا جاهلٌ بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى موسى عليه السَّلام في الأرض ونظره أيضًا هو وجماعةً من الأنبياء في السموات وسمع منهم مخاطباتٍ، وقد تقرَّر أنَّ ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي».اهـ

ونقل سراج الدين بن الملقن في "طبقات الأولياء" عن الشيخ عبدالقادر الكيلانيِّ قال: «رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل الظهر، فقال لي: يا بُنيَّ لِمَ لا تتكلَّم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجلٌ أعجميٌّ كيف أتكلَّم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه سبعًا وقال: تكلَّم على الناس وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتجَّ عليَّ، فرأيت عليًّا رضي الله عنه قائمًا بإزائي في المجلس، فقال لي: يا بُنيَّ لِمَ لا تتكلَّم؟ فقلت: يا أبتاه قد ارتجَّ عليَّ، فقال: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه ستًا، فقلت: لِمَ لا تكملها سبعًا، قال: أدبًا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ توارى عنِّي، فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادي عليها ترجمان اللسان فتُشترَى بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع».

وقال ابن الملقن أيضًا في ترجمة الشيخ خليفة بن موسىٰ النهر ملكي: «كان كثير الرؤية لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظة ومنامًا».

وقال كمال الدين الأدفوي في "الطالع السعيد" في ترجمة الصفي أبي عبدالله محمد بن يحيىٰ الأسواني -نزيل أخميم، من أصحاب أبي يحيىٰ بن شافع- كان مشهورًا بالصلاح وله مكاشفات وكرامات، كتب عنه ابن دقيق العيد، وابن النعمان، والقطب القسطلاني، وكان يذكر أنه يرىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويتمتَّع به».

وقال الشيخ عبدالغفار بن نوح القوصيُّ في كتابه "الوحيد": «من أصحاب الشيخ أبي يحيىٰ أبوعبدالله الأسواني المقيم بأخميم، كان يخبر أنه يرىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في كل ساعة حتىٰ لا تكاد تمر ساعة إلا ويخبر عنه».

وقال الشيخ عبدالغفار في "الوحيد" أيضًا: «كان للشيخ أبي العباس المرسي وصلة بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، إذا سلَّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ردَّ عليه السلام ويجاوبه إذا تحدَّث معه».

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في "لطائف المنن": «قال رجلٌ للشيخ أبي العباس المرسي: يا سيدي صافحني بكفِّك هذه؛ فإنك لقيت رجالًا وبلادًا، فقال الشيخ: والله ما صافحت بكفي هذه إلَّا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: وقال الشيخ: لو حُجب عني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين».

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في "رسالته"، والشيخ عبدالغفار

في "الوحيد": «حكي عن الشيخ أبي الحسن الوناني قال: أخبرني أبو العباس الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد بن الرفاعي فقال لي: ما أنا شيخك، شيخك عبدالرحيم بقنا، فسافرت إلى قنا، فدخلت على الشيخ عبدالرحيم فقال لي: عرفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: لا، قال: رُح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فحين وضعت رجل وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فرجعت إلى الشيخ فقال: عرفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: نعم، قال: الآن كملت طريقتك، لم تكن الأقطاب أقطابًا، والأوتاد أوتادًا، والأولياء أولياء إلا بمعرفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال في "الوحيد": «وممن رأيته بمكة الشيخ عبدالله الدلاصي: أخبرني أنه لم تصح له صلاة في عمره إلَّا صلاة واحدة، قال: وذلك أني كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلي إمامًا وخلفه العشرة فصليت معهم -وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين وستمائة- فقرأ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الركعة الأولى: (سورة المدثر)، وفي الثانية: (عم يتساءلون)، فلما سلم دعا بهذا الدعاء: **اللهم اجعلنا هداة مهديين، غير ضالين ولا مضلين، لا طمعًا في برك ولا رغبة فيما عندك؛ لأن لك المنة علينا بإيجادنا قبل أن لم نكن، فلك الحمد على ذلك لا إله إلا أنت**، فلما فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سلَّم الإمام، فعقلت تسليمه فسلَّمت».

وقال الشيخ صفي الدين في "رسالته": «رأيت الشيخ الجليل الكبير أبا

عبدالله القرطبيَّ، أجل أصحاب الشيخ القرشي، وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية، وكان له بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وصلة وأجوبة ورد للسلام، وحمَّله رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رسالةً للمَلِك الكامل وتوجَّه بها إلىٰ مصر وأدَّاها وعاد إلىٰ المدينة».

وقال ابن فارس في كتاب "المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية": «سمعت سيدي عليًّا رضي الله عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن علىٰ رجلٍ يقال له: الشيخ يعقوب، فأتيته يومًا فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظةً لا منامًا وعليه قميصٌ أبيض قطن، ثُمَّ رأيت القميص عليَّ، فقال لي: اقرأ، فقرأت عليه (سورة والضحىٰ)، و(ألم نشرح)، ثُمَّ غاب عنِّي، فلما بلغت إحدىٰ وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبالة وجهي فعانقني وقال لي: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١] فأوتيت لسانه من ذلك الوقت».

وقال الشيخ برهان الدين البقاعي في "معجمه": «حدثني الإمام أبو الفضل بن أبي الفضل النويري: أنَّ السيد نور الدين الأيجي -والد الشريف عفيف الدين- لما ورد إلىٰ الروضة الشريفة وقال: السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، سمع من كان بحضرته قائلًا من القبر يقول: **وعليك السلام يا ولدي**».

وقال الحافظ محبُّ الدين بن النجَّار في "تاريخه": «أخبرني أبو أحمد داود بن علي بن محمد بن هبة الله بن المسلمة: أنا أبو الفرج المبارك بن عبدالله بن محمد بن النقور قال: حكىٰ شيخنا أبو نصر عبدالواحد بن عبدالملك بن محمد بن أبي سعد

الصوفي الكرخي قال: حججت وزرت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فبينا أنا جالسٌ عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكري ووقف بإزاء وجه النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: السلام عليك يا رسول الله، فسمعت صوتًا من داخل الحجرة: **وعليك السلام يا أبا بكرٍ**، وسمعه من حضر».

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن موسىٰ بن النعمان في كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" -وهو موجودٌ بدار الكتب المصرية-: «سمعت يوسف بن علي الزناتي يحكىٰ عن امرأة هاشمية -كانت مجاورة بالمدينة، وكان بعض الخدَّام يؤذيها- قالت: فاستغثت بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسمعت قائلًا من الروضة يقول: **أما لكِ فيَّ أسوة؛ فاصبري كما صبرت** -أو نحو هذا- قالت: فزال عني ما كنت فيه، ومات الخدَّام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني».

وأخبرني مولانا الوالد -رحمه الله وأثابه رضاه-: أنَّ الإمام الشاطبي لما حجَّ وزار، التزم أن يقرأ القرآن بالقراءات عند الروضة الشريفة، فلما أتمه سمع قائلًا من داخل القبر يقول: **بارك الله فيك يا شاطبي هكذا أُنزل عليَّ**».

وأخبرني الشيخ محمد راغب بن الحاج محمود بن الشيخ هاشم الطباخ قال: أخبرني الشيخ الأجل محمد كامل بن أحمد بن عبدالرحمن الحلبي: أخبرني والدي، عن والده -شيخ القراء والمحدثين في عصره الشيخ عبدالرحمن بن موفق الدين عبدالله بن الشيخ العلامة بن عبدالرحمن بن عبدالله الحنبلي الحلبي الشامي- عن والده الشيخ عبدالرحمن قال: أخبرني العلامة السيد يوسف الحسيني الحنفي: أخبرني السيد الشريف المحدِّث الثقة المعمر الشيخ أحمد بن السيد عبدالقادر الرفاعي المكي: أخبرني مفتي تونس العالم الفاضل المحقِّق

بقية السلف أبو العباس السيد أحمد بن السيد حسن الشريف التونسي المالكي: أخبرنا شيخنا جمال الدين القيرواني، عن شيخه الشيخ يحيىٰ الحطَّاب المالكي، أخبرنا عمِّي بركات، عن والده: وأخبرني والدي الشيخ محمد الحطاب، عن والدهما الشيخ محمد بن عبدالرحمن الحطَّاب شارح "مختصر خليل المالكي" قال: «مشينا مع شيخنا العارف بالله الشيخ عبدالمعطي التونسي لزيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلما قربنا من الروضة الشريفة ترجَّلنا ومعنا الشيخ، فجعل -رحمه الله تعالىٰ- يمشي ويقف، حتىٰ وصلنا إلىٰ الروضة الشريفة، فجعل الشيخ -نفعنا الله به- يتكلَّم وهو مواجه لقبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلما انصرفنا من الزيارة سألناه عن سبب وقفاته، فقال: كنت أطلب من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القدوم عليه، فإذا قال: أقدم يا عبدالمعطي قدمت، وإلَّا انتظرت، قال: فلما وصلت إلىٰ الروضة قلت: يا رسول الله أَكُل ما رواه البخاريُّ عنك صحيحٌ؟ فقال: **صحيحٌ**، فقلت: أرويه عنك يا رسول الله؟ فقال: **اروِه عنِّي**».

وقال الشيخ العلامة أبو العباس الهلالي في "فهرسته": «إنَّ الشيخ سيدي محمد العربي التلمسانيَّ كان لا يأذن في قراءة "دلائل الخيرات" إلَّا لمن كان غير شارب الدخان، وكان يقول: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شرط عليه ذلك وكان ممن يراه يقظةً».

وقال الشيخ اليفرتي في "صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر": «أنَّ مولاي عبدالله بن عليٍّ بن طاهر سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن عشبة الدخان؟ وكان ممن يراه يقظةً، فقال له: هي حرامٌ، هي حرامٌ،

هي حرامٌ».

وممن كان يرىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظةً ويسأله عما أُشكل عليه القطب الكبير والعارف الشهير الشريف سيدي عبدالعزيز بن مسعود الدبَّاغ الحسنيُّ تجد ذلك في عدَّة مواضع من كتاب "الإبريز"، وكذلك القطب الكبير سيدي علي الجمل الحسنيُّ، وتلميذه شيخ الأولياء مولاي العربي الدرقاويُّ الحسنيُّ، وتلميذه الولي الكامل سيدي محمد البوزيديُّ الغماريُّ الحسنيُّ، كانوا يرون النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويجتمعون به ويسألونه عن كل ما يهمهم، وكذلك غيرهم من كُمل الأولياء ممن لا يحصون كثرةً كابن العربي الحاتميِّ، والسيوطيِّ، والشعرانيِّ رضي الله عنهم أجمعين وأنالنا مما أعطاهم بفضله وكرمه آمين.

وقد عقد العلامة الصالح الشيخ يوسف النبهاني -رحمه الله وأثابه رضاه- الباب التاسع من كتاب "سعادة الدارين" في الكلام علىٰ رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظةً ومنامًا، فجلب من النقول عن العلماء والأولياء ما تقرُّ به أعين المؤمنين، جزاه الله خير الجزاء.